دروس في تاريخ الأديان

حسين توفيقي

المترجم:

انور الرصافي



بسم الله الرحمن الرحيم

دروسٌ في تاريخ الأَديان

حسين توفيقي
تعريب: أنور الرصافي

٣١
مكتب تخطيط
وتدوين المناهج الدراسية
ذي الحجة ١٤٢٥ق / ١٣٨٣ش

مركز جهانى علوم اسلامى

التوزيع: قم ـ شارع بهار
قرب هتل الزّهراء ﷺ، هاتف ـ فاكس: ٧٧٤٩٨٧٥
www.eshraaq.com
E-mail: public-relations@Qomicis.com

دروسٌ في تاريخ الأَديان

المؤلف: حسين توفيقي

تعريب: أنور الرصافي

الطبعة الثانية: ذي الحجة ١٤٢٥ق / ١٣٨٣ش

المطبعة: صدف ● **عدد الطبع:** ١٥٠٠ ● **القيمة:** ١٢٠٠٠ ريال

الناشر: منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية

توفيقي، حسين، ١٣٣٠ـ
دروس في تاريخ الأديان / تأليف حسين توفيقي؛ تعريب انور الرصافي؛ اعداد مركز العالمي للدراسات الاسلامية، مكتب تخطيط وتدوين المناهج الدراسية.ـ قم: مركز العالمي للدراسات الاسلامية، ١٤٢٣ق. = ١٣٨١.
٢٢٤ص .ـ (مكتب تخطيط وتدوين المناهج الدراسية؛ ٣١)
ISBN 964 - 7741 - 16 - 2: ١٢٠٠٠ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان اصلى: آشنايى با اديان بزرگ.
عربى.
كتابنامه: ص. [٢٢١]ـ٢٢٣؛ همچنين به صورت زيرنويس.
چاپ دوم: ١٤٢٥ق. = ١٣٨٣.
١. اديان. ٢. اديان ـ تاريخ. الف. رصافى ـ انور، مترجم. ب. مركز جهانى علوم اسلامى. ج. مركز جهانى علوم اسلامى. دفتر برنامه ريزى و تدوين متون درسى. د. عنوان. ه. عنوان: آشنايى با اديان بزرگ.
BL٨٠/٢/ت٩آ٥٠٤٣ ٢٩١

كلمة الناشر

لا شك ان وضع مناهج دراسية ذات فاعلية ومرونة لا يتيسّر إلاّ اذا كانت بمستوىٰ تطلّعات الحياة الحديثة والتطورات الهائلة التي شهدها العلم في فروع المعرفة لا سيما في حقل المعلومات والثورة المعلوماتية والتي بدأت تجتاح كافّة مناحي الحياة وتلحّ علىٰ ضرورة وضع مناهج دراسية عصرية واعداد متخصّصين.

وفي الاطار ذاته فقد ادّىٰ ذيوع الثقافة السلطوية في العالم والعولمة الثقافية من قبل وسائل الاعلام المرئية وغير المرئية الىٰ ظهور مستجدات وشبهات حادّة وعالقة لا يمكن اجهاضها الا من خلال انشاء مراكز تعليمية تأخذ علىٰ عاتقها وضع مناهج دراسية عصرية وتجنيد الطاقات العلمية في سبيل نشر افكار ايجابية بنّاءة وقيم متعالية باسلوب حديث بغية تحصين عقائد المسلمين من الانهيار امام تلك الشبهات.

إن انتعاش هذه المراكز رهن نظام تعليمي دقيق وثابت ومجرّب، وتشكّل البرامج التعليمية والمناهج الدراسية والأساتذة، عموده الفقري.

إن فاعلية البرامج التعليمية تكمن في تجاوبها مع متطلّبات العصر، وتوافر الإمكانات، ومؤهّلات الطلّاب. كما أن تقويم المناهج الدراسية يعتمد الىٰ حدّ كبير علىٰ طرحها لآخر المنجزات العلمية بأحدث الأساليب المتّبعة في التربية والتعليم.

هذه المراكز بحاجة الىٰ تقويم دائم، وإعادة نظر في مناهجها الدراسية، وتجديدها بأرقىٰ الأساليب ووفق آخر ما وصلت إليه التقنيات العلمية، بغية الحفاظ علىٰ مستوىٰ نشاطها العلمي.

إنّ حوزات العلوم الدينية التي تقع علىٰ عاتقها مهمّة إعداد علماء الدين ونشر المبادئ الإسلامية، غير مستثناة من هذه القاعدة باعتبارها من مؤسّسات التعليم الديني.

ومن حسن الحظ، فإنّ الحوزات العلمية ـ وببركة الثورة الإسلامية ـ أخذت منذ سنوات عدّة تفكّر جدّياً في إصلاح نظامها التعليمي، وتجديد النظر في مناهجها الدراسية.

وانطلاقاً من الشعور بالمسؤولية، قام المركز العالمي للدراسات الإسلامية ـ الذي يمثّل جزءاً من هذه المجموعة، ويضطلع بمهمة تعليم الطلّاب غير الايرانيين ـ قبل غيره من سائر المؤسّسات التابعة للحوزة بإنشاء «مكتب تخطيط وتدوين المناهج الدراسية».

هذا المكتب مع تثمينه للجهود المضنية التي بذلها العلماء في سبيل التجاوب مع هذه الحاجة واقتطافه ثمار نتاجاتهم العلمية، سعى الىٰ تنظيم المناهج الدراسية وفق برامج جديدة مستوحاة من الأساليب التعليمية المعتمدة علىٰ آخر المنجزات العلمية.

وقد أُنجزت حتى الآن ـ بفضل همّة وإرادة الباحثين وفضلاء الحوزة ـ الخطوات الأولى لهذا المشروع من خلال تأليف ما يربو علىٰ خمسين كتاباً دراسياً في مجالات العلوم الدينية ـ الإنسانية المختلفة.

والكتاب الذي بين يديك دروسٌ في تاريخ الاديان يمثّل أحد النماذج المختارة من هذه الكتب. ويُعدّ هذا الكتاب خطوة راسخة علىٰ هذا الطريق، وجهداً يستحق التقدير بذله العالم المتضلع حجة الإسلام والمسلمين حسين توفيقي و ترجمه الى العربية الأخ الفاضل انور الرصافي، فشكراً متواصلاً لهما ولجميع الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل.

و في الختام لابدّ من القول: إن أيّ عمل لا يكاد يخلو في بداياته من زلّات وهفوات ولذا فاننا نتطلّع الىٰ أصحاب العلم والفضيلة الذين نأمل أن لا يضنّوا علينا بآرائهم الصائبة، فهذا التطلع هو مهماز شروعنا في العمل، ومبعث أملنا بمستقبل زاهر.

مكتب تخطيط وتدوين المناهج الدراسية
المركز العالمي للدراسات الإسلامية
١٤٢٥ق/١٣٨٣ش

الفهرس

المسيحية ١٤٥

١

الكليات

١ـ تعريف «الدين»، «المذهب»، «الملة» و «الشريعة»

مع تقدّم العلوم عُلِمَ أنه من المتعذّر إعطاء تعريف كامل لظاهرة من ظواهر العالم،لأن التعريف ينبغي أن يكون جامعاً مانعاً، يعني أن يضمّ في طيّاته كافّةمصاديقه و أن يمنع عن حوزته دخول الأغيار.

و كان الرأي السائد في الماضي يذهب إلى إمكانية طرح تعريف جامع مانع، إلّا أنّ تعريفاً كهذا بدأ اليوم عزيز المنال، فأغلب التعاريف تسلط الأضواء على زواياخاصة من الموضوعات.

ثمّ إنّ بعض الموضوعات يتيسّر تعريفه خلافاً لبعض آخر، حيث يصعب إبداء تعريف له.

و يُعدّ **الدين** من جملة الموضوعات التي يصعب وضع تعريف لها، ويعود ذلك الىٰ التنوع الهائل للأديان في المجتمعات البشرية.

وقد بذل العلماء ما في وسعهم بغية الحصول على وجوه مشتركة لتعريف الأديان،و لكنّ النجاح لم يحالفهم، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ وضع تعاريف لاحصر لها للدين، تفتقد جميعها إلى الجامعية و المانعية.

فقد قيل في **تعريف الدين**: انه الاعتقاد بأمر مقدّس و قيل: هو الإيمان بموجودات روحانية، و قيل: إن‌الدين عبارة عن الاعتقاد بقوة أو قوىٰ فوق‌البشرية، ينبغي إطاعتها و عبادتها.

إنّ اصطلاح «الدين» أو «الأديان» في هذا الكتاب فيطلق علىٰ الأديان كافّة، سواءأكانت صحيحة أو منسوخة، محرّفة أو مجعولة، قال سبحانه و تعالىٰ في حقّ‌الكافرين: ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.[١]

١ـالكافرون / ٦.

المذهب ؛ أطلق اصطلاح المذهب في الماضي على المدارس الفكرية السائدة في داخل الدين الواحد (من قبيل المذاهب الأربعة أو الخمسة في الفقه الإسلامي) إلّا أنّ اصطلاح «Religion» أخذ في الغرب بالتوسّع حتىٰ راح يطلق على المدارس داخل منظومة الدين الواحد، و على الدين نفسه. هذا الاصطلاح بالمعنى الجديد تناقله دعاة التجديد في بلادنا منذ نصف قرن، حتىٰ أصبح يستخدم في كلا **المعنيين**.

الملّة ؛ و تعني لغةً: الطريقة أو الشريعة في الدين ، واصطلاحاً: مجموعة الدياناتالتوحيدية، ففي علم الكلام الإسلامي يُعرف أتباع الديانات التوحيدية بالملّيين، كما يُطلق المرتدّ الملّي علىٰ من أسلم من أهل الكتاب ثمّ ارتدّ. و خصّ علماء الإسلام اصطلاح الملة بالإسلام أيضاً. و منذ قرن مضىٰ أصبحت كلمة «الملة» في اللغة الفارسية تطلق على الشعب، و يبدو أن هذا الاستعمال سرىٰ إليها من اللغة التركية.

و **الشريعة**؛ وتعني الأحكام و القوانين السماوية، و تطلق أحياناً على الدين.

٢ـ الدين عند علماء الاجتماع

إذا ما قيس الدين بالطب مثلاً، فسرعان ما نصل إلى النتيجة التالية: و هي أن الدينأمر اجتماعي والطب موضوع فردي.(١)

و يرىٰ علماء الاجتماع أنّ الدين مؤسّسة اجتماعية. و لأجل هذا تناولوه بالبحث و الدراسة، خلافاً لعلم الطب الذي نأوْا بأنفسهم عنه.

و ما أثار اهتمامهم من مبحث الدين هو جانبه العلمي، فالعلوم في الماضي كانتذات صلة وثيقة بماوراء الطبيعة، هذه الصلة أسفرت عن ظهور ما يسمّىٰبالعلوم الغريبة، و حالت دون ظهور علوم أخرىٰ كعلم الاجتماع. و العلومالغريبة (كالكيمياء مثلاً) تعذر وصفها و تبيينها، و تمحّضت لاقتراح أساليب كانت تدّعي أنّها توصل إلى نتايج معيّنة. و قد سادت الذهنية الفكرية قديماً روحُ الكتمان و الخفاء، لذا كان طبيعياً أن لايبرز علم الاجتماع ـ الذياستهدف توضيح الظواهر ـ. ومنذ أواخر القرون الوسطىٰ بدأت نغمة فصلالعلم عمّا

---

١ ـ و نظراً للعلاقة الوثيقة بين الفرد و المجتمع فإنه يمكن أن يقال: أن كل موضوع فردي فهو إجتماعي، و كل موضوع اجتماعي فهو فردي.

وراء الطبيعة بالظهور في الغرب، و أخذ نطاقها يتّسع حتى شمل معظم أرجاء العالم.

من هنا، لايستغرب كثيراً عندما يتحدّث علماء الاجتماع عن الدين ، فـإنهم لم يـعيروا أهمية لجانبه السماوي، زعماً منهم أنه من مصنوعات الذهن البشري،ومرحلة متكاملة من السحر، التجأ إليه من أجل تأمين الحاجات المعيشية ، لأن النظرة العلمية تتلخّص فـي أنّ الحوادث التي لها صلة بالسماء يمكن تفسيرها و توضيحها بعيداً عن الغيب.

و يرىٰ علماء الاجتماع أن الدين في مراحله الأولىٰ يشبه السحر الإبتدائي إلى حدّ كبير، لان الساحر و المؤمن يسعيان بأساليبهما لتسخير الوجود، و توفير الراحة و الدعة. فالساحر و المؤمن يبغيان الاستجابة لما يمليه القلب و ما يحقق أمانيهما، فيرفعان أيديهما بالدعاء و يستمدّان العون من القوىٰ المنشودة، مع فارق أنّ الأول يبحث عن القوة التي يسـتمدّ مـنها العون في الطبيعة، و الثاني يؤمن أنّها في ماوراء الطبيعة.

و ثمّة فارق آخر، هو أن الأول يتصرّف في الطبيعة لحيازة القوىٰ المحيطة به، ويسعىٰ لإخضاعها لرغباته، في حين أنه لاسبيل أمام الثاني سوى التضرّع من أجل الحصول على رضا هذه القوىٰ الغيبية.

فالساحر يؤثر في القوى الطبيعية، و يطلب منها الانصياع ، أما المـؤمن فـهو يسـتنجد بالقوىٰ الغيبية لتدفع عنه عاتية القوىٰ الطبيعية.

ان الساحر و المؤمن كلاهما يطلبان معاضدة القوىٰ الطبيعية، لكن الأول ينطلق من مقام الأمر ، بينما ينطلق الثاني من موقع الاسترحام.

٣ـ مراحل الدين

يتفق العلماء مع أتباع الديانات علىٰ أن الدين كسائر الظواهر الأخرىٰ يتكامل، غير أن أصحاب الديانات يعتقدون أن مراحل الدين تتكامل كتكامل المراحل الدراسية، في حين يرى العلماء أن الدين بدأ من السحر و عبادة الطبيعة و الشرك، و ختم بالتوحيد ، و قد لفتَ انتباههم إلى ذلك وجود أنواع من الأديان البدائية في نقاط بعيدة و نائية من العالم.

٤ـ فائدة تاريخ الأديان

إن الدافع الأساسي وراء دراسة أيّ موضوع و تحليله . هو الاستجابة لغريزة التحري و البحث عن الحقيقة، فأنت ترى العلماء يتعمّقون في دراسة الظواهر، دون أن يكون هـدفهم

جنّي الأرباح الاقتصادية أو المنافع المادية ،نعم إن أسفرت عن نتائج مطلوبة، حينها تُستثمر منافعها الاقتصادية، و بهذا الدافع يُفسَّر تعاون الدول و تشجيعها لعلمائها الذين يخوضون غمار التحقيق باندفاع و شوق دون ان يعلموا ان ابحاثهم ستثمر عن نتائج ام لا.

إن الباحث في تاريخ الأديان يستفيد من بحثه في سائر العلوم الانسانية، نظراً للصلات الوثيقة التي تربط بينها، و تتأكد هذه الصلة في العلوم المتشابهة.والدين ـكظاهرة عاشت مع الانسان منذ أن ظهر علىٰ وجه البسيطة ـاحتلّ أهمية خاصة عند أهل التحقيق بعد اتضاح تأثيره البالغ علىٰ حياة البشر، ودوره الهام و الواضح في نمو و نضوج العلم و الفن.

و الفائدة الأخرىٰ المترتبة على البحث في تاريخ الأديان، هي تعزيز العلاقات بين المجتمعات المختلفة. من هنا تعمد الدول الكبرىٰ و بغية إحكام سيطرتها على الدول الصغيرة إلى الاتصال بالمستشرقين للاستفادة من خبرتهم بعقائد الشعوب و نظمهم الروحية.

و إضافة إلى ما سبق، فإن البحث في تاريخ الأديان يوفّر منفعة معنوية لأصحاب الديانات أنفسهم، و يضفي عمقاً لاعتقاداتهم الدينية، حيث يتيح لهم الفحص و التنقيب عن الثغرات و الانحرافات التي تعتري الأديان الأخرىٰ،بغية اثبات صحة ما اعتقدوه من دين.

كما أن الخوض في تاريخ الأديان يفسح المجال للوقوف على العقائد الدينية للشعوب، الأمر الذي يُيسّر سبل هدايتها إلى الصراط السوي، و اطلاعها علىٰ ما يلمّ بعقائدها من نقائص.

٥ـ تصنيف الأديان

يمكن تصنيف الأديان من زوايا مختلفة إلى الأصناف التالية:

أـ الأديان البدائية (كما هو السائد بين الأقوام البدائية)، الأديان القديمة (كالأديان البائدة في الشرق الأوسط)، و الأديان الجديدة (كالأديان الكبيرة المعاصرة).

ب ـ الأديان البسيطة (كالأرواحية، و الطوطمية، و الفتشية)، و الأديان الفلسفية (كالهندوسية، و البوذية، و الكونفوشيوسية) ، و الأديان الوحيانية (مثل الزرادشتية، و اليهودية، و المسيحية، والإسلام).

ج ـ الأديان السامية (كاليهودية ، و المسيحية، و الإسلام)، و الأديان الآرية (مثل أديان إيران القديمة ، والهند، و الروم، و اليونان القديم). و أديان الشرق الأقصىٰ

(كالكونفوشيوسية، و الطاوية، و الشنتو).

د ـ الأديان الشرقية (كالهندوسية، و البوذية، و الشنتو) ، و الأديان الغربية (كاليهودية، و المسيحية، و الإسلام).

و ثمّة تصانيف أخرىٰ ذكرت في المصادر المختصة بتاريخ الأديان.

الخلاصة

أ ـ يتعذّر إعطاء تعريف دقيق و جامع للدين.

ب ـ الدين عند علماء الاجتماع عبارة عن مرحلة متكاملة من السحر، التجأ إليهالانسان من أجل تأمين الحاجات المعيشية، لأن النظرة العلمية تتلخص في أن كل ما ينزل من السماء يمكن تفسيره و توضيحه.

ج ـ يعتقد أصحاب الديانات أن مراحل الدين تتكامل كتكامل المراحل الدراسية، في حين يرى الباحثون أن الدين بدأ من السحر، و ختم بالتوحيد.

د ـ لتاريخ الأديان فوائد جمّة، منها: الاستجابة لحبّ البحث عن الحقيقة، والانتفاع به في سائر العلوم، و تعزيز العلاقات بين المجتمعات، و إضفاء عمق للاعتقادات.

هـ ـ يمكن تصنيف الأديان من زوايا مختلفة إلىٰ أصناف عديدة.

تمارين

١ـ ما هو تعريف الدين، المذهب، الملة و الشريعة؟

٢ـ اذكر مراحل الدين عند علماء الاجتماع؟

٣ـ ما هي فوائد البحث في تاريخ الأديان؟

مصادر البحث

١ ـ الياد. م، «**من البدائيين الىٰ زن**»، لندن، ١٩٦٧.

٢ ـ الياد. م، «**انماط من الديانة المقارنة**»، لندن، ١٩٧٩.

٣ ـ براندون. س، «**قاموس الديانات المقارنة**»، لندن، ١٩٧٠.

٤ ـ بروس. ف، «**الكتاب المقدس و التقاليد المقدسة**»، مائشستر، ١٩٦٨.

٥ ـ زينهر. ب، «**دائرة المعارف الموجزة للعقائد الحية**»، لندن، ١٩٧٧.

٦ ـ سمث، همستوث، «**ديانات الانسان**»، نيويورك، ١٩٦٥.

٧ ـ شلبي، احمد، «مقارنة الأديان»، ط الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٩٦.

٨ ـ فود. و، «**مسألة الانسان الدينية**»، لندن، ١٩٧٨.

٩ ـ لينغ. ت، «**تاريخ الأديان، شرق و غرب**»، نيويورك، ١٩٧٠.

١٠ ـ مور. أ، «**أيقنة الأديان**»، لندن، ١٩٧٧.

١١ ـ نوس. ج، «**ديانات الانسان**»، ط السادسة، نيويورك، ١٩٨٢.

١٢ ـ هاستنجز. ف، «**دائرة معارف الأديان و الاخلاق**»، نيويورك، ١٩٦١.

١٣ ـ هينلز. ج، «**قاموس الديانات المقارنة**»، لندن، ١٩٧٠.

14 - Sharma , Arvind (ed) , our Religions , New york: Harpercollins Publishers, 1993.

٢

الأديان البدائية

١ـ الدين عند الإنسان البدائي

يرى الباحثون في العلوم الإنسانية، أنّ الدين ظهر منذ عصر مبكّر في النزوع إلى عبادة الطبيعة، وقد شوهدت اليوم نماذج من هذا النزوع عند جماعات بدائية تقطن في بقاع بعيدة و نائية من العالم، و تجلّىٰ في تعظيم القوى الطبيعية و استمداد عطائها و إحسانها. و تؤدّي الجماعات البدائية في عصرنا الحاضر طقوساً دينية خاصة، يرتدون خلالها ملابس عجيبة و غريبة، و يضعون أقنعة على الوجوه، و ينتظمون في رقصات معيّنة، ملتمسين في ذلك العون من القوىٰ الطبيعية، فتراهم مثلاً يخاطبون السحابَ بإنزال المطر، و الأنهارَ و الجداول بإرواء الأراضي المجدبة بعيداً عن طغيان الفيضانات، و الأرض بالخصوبة، و المزارعَ بالبركة في المحاصيل، و أمثال ذلك.

٢ـ العناصر المشتركة للأديان البدائية

على الرغم من انتشار الأديان البدائية في العالم، و صعوبة العثور على صلة تجمعها، إلّا أنّ الغريب حقاً هو أنّ تلك الأديان تتشابه في معتقداتها، و يمكن تلخيص عناصرها المشتركة على النحو التالي:

١ ـ ٢. الله و الآلهة

ينبغي أن يُعلم أن أصحاب الديانات يؤمنون بإله عظيم ذي علم و قدرة غير متناهيتين، و هو فوق تصوّر البشر، و إذا ورد في النصوص الدينية خلاف ذلك فلابدّ من تأويله.

و قد أشار القرآن الكريم إلى أن المشركين كانوا يؤمنون بالله ، و هو من الجلالة و العظمة و التنزيه و التقديس بمكان، بحيث يصبح و كأنه بمنأىٰ عن العالم المادي، و من هنا يجب ـ في اعتقادهم ـ التوسّل بالأرباب و الشركاء الذين أوكل إليهم مهمّة تدبير العالم، و الرجوع إليهم بدلاً عنه، و هذا يشبه إلى حدٍّ كبير الرجوع إلى الأسباب التي توفّر حاجاتهم المعيشية، و قد زيّف الأنبياء والرسل عليهم السلام هذا الاعتقاد، وأكدوا أنه لاحيلة و لاقدرة للشركاء حتىٰ يُتوسل بهم.

و دلّ التاريخ علىٰ أنّ الشرك بالله ظهر منذ عصور سحيقة في القدم، و في العصر الحاضر فإن ما يقرب من نصف سكان المعمورة من هندوس و بوذية و شنتو و أديان بدائية ما زالوا يعبدون الأوثان.

و يرىٰ علماء الاجتماع أن ظهور الشرك مقدّم على التوحيد، و لكن أصحاب الديانات التوحيدية ينكرون بشدّة هذه الفرضية، و يؤكدون أن الشرك هو الزيغ عن جادة التوحيد.

و تزعم بعض الأديان أنّ الالهة تجلّت للإنسان عبرالتاريخ ، و ما الأوثان إلّا رموز لها، و هي بذلك لاتعتقد بأن الأنبياء رسل الله إلى البشر.

٢ ـ ٢. عبادة السلف

أسفر الخوف من الموت عن ظهور خرافات سادت أوساط الجماعات البدائية التي كانت تعتقد بوجود ارتباط بين الأموات و الأحياء، و قد ساور الخوف من رجوع الأموات بعض الجماعات قديماً، ممّا اضطرّها إلى تقييد الأموات بالحبال، و إحكام القبور،

للحيلولة دون عودتهم مرّة أخرىٰ إلى الحياة. هذه المعتقدات تبدّلت تدريجياً إلى عبادة السلف التي تجسّدت في الأوثان ، و سادت في عصور مختلفة معظم أرجاء العالم، و تتجلّي مظاهرها اليوم في بقاع كاليابان.

٣ ـ ٢. السحر

إن السحر في الأديان البدائية يختلف عما نتصوّره، ففي تلك الأديان يُعدّ السحر طقوساً تقام لأجل الاستمداد من قوىٰ الطبيعة والاستعانة بها، و يدير دفتها السحرة الذين لايتميزون عن الآخرين في العلم بل بحلول قوىٰ دفينة فيهم كما يعتقد بذلك الناس، و يستغل السحرة تلك القوىٰ لمعالجة المرضىٰ، و يُطلق علىٰ هذا الصنف من السحرة اسم (شامان) Shaman ؛ كما يمارس السحرة الرياضة في عزلة، و يَسِمون أجسادهم بعلامات.

٤ ـ ٢. نحر القرابين

اختلف نوع القرابين المهداة إلى الالهة بين الأقوام ، فمن إراقة الماء أو الشراب و إهداء الزهور و المحاصيل إلىٰ ذبح الحيوانات و الأطفال و النساء، مروراً بإلقاء الأطفال في النار، و كان يُلجأ أحياناً ـ و للحيلولة دون انخفاض عدد النفوس ـ إلى الإغارة علىٰ بلاد أخرىٰ لجلب الأسرىٰ، و ذبحهم كقرابين أمام الالهة.

و ثمّة نوع آخر من القرابين راج بين مختلف الأقوام يُطلق عليه قرابين العفة، حيث تُمارس الدعارة احتراماً للأصنام (Hierodouleia).

إهراق الجرعة نوع آخر من القرابين التي كانت جزءاً من مراسم الاحتفال بتعاطي الشراب، و جاء ذكره في التوراة[١] و في الشعر العربي:

شربنا و أهرقنا على الأرض جُرعةً ... فللأرض من كأس الكرام نصيبُ

---

١ ـ الخروج : ٤٩ / ٤١ و موارد أخرىٰ .

و قد نُسخ اتخاذ الانسان كقربان في العصور اللاحقة، و بقي منحصراً في الحيوانات ، إلّا أنه ظلّ يُمارس إلى عصر قريب من عصرنا. أما في العصر الحاضر فإن قوانين البلدان تمنع القيام بمثل هذا الفعل الشنيع، و لكن لم تزل بين الحين و الآخر ترد أخبار من مناطق نائية في الهند و بقاع أخرى مفادها أن وثنياً ذبح ابنه بعيداً عن أعين الشرطة قرباناً للالهة، أو أنه كاد يفعل ذلك لولا منع الناس إيّاه، و يُعدّ ارتكاب هذا الفعل اليوم جريمةً يعاقب عليها صاحبها، على الرغم من التبجيل و الثناء الذي كان يناله في الماضي السحيق، و لعلّ ما أمر الله به سبحانه إبراهيم عليه السلام من ذبح ابنه إسماعيل ، كان اختباراً لمدىٰ حبّه و إيمانه بمعبوده الحقيقي.

٣ـ الطوطم

طوطم القبيلة في الأديان البدائية عبارة عن: علامة تحفظ القبيلة؛ و هذه العلامة تتجلّىٰ في حيوان أو نبات أو جماد ، وقد حازت أنواع مختلفة من الحيوانات على احترام أقوام عديدة، حتىٰ أنّ صورها تنعكس في بعض الأحيان علىٰ أعلام الدول، و تاريخ الشعوب حافل بذلك، و يمكن أن نستنتج من وحي عبادة الأسد في أفريقيا ، والنمر في الهند، و العُقاب و الدبّ و كلب البحر في أمريكا الشمالية، و الثور في اليونان و مصر، و البقرة في الهند و أفريقيا و الدول الاسكندنافية، و الجاموس في جنوب الهند، والكنغر في استراليا ؛ انّ الحيوانات المذكورة كانت طوطماً لهذه الأقوام، و مازالت بعض الحيوانات كالطير و الثعبان تُقدس ـ في الوقت الحاضر ـ عند بعض الشعوب، و طوطم اصطلاح اقتُبس من لغة الهنود الحمر في أمريكا.

٤ـ التَّبو

التَّبو(Taboo) عبارة عن محرمات القبيلة، مثل مقررات الزواج و الغذاء، فقد يكون الزواج عند قبيلة مباحاً بين أفرادها، و عند قبيلة أخرىٰ حراماً، الأمر الذي يُلزم أفرادها بالتردد إلىٰ قبائل أخرىٰ بحثاً عن ازواج، و جاء اصطلاح التَّبو من لغة القبائل البدائية التي تقطن جزر بولينيزيا في المحيط الهادي.

٥ـ مانا

زعمت الأديان القديمة أن في بعض الأشياء كالحجر و الخشب و الشجر و الحيوان قوة خارقة للعادة، و لذا ينبغي طلب الحاجة منها و التبرك بها. هذه الأشياء يطلق عليها مانا (Mana) ، و ما زالت آثار هذا الدين لائحة في الأديان الأخرىٰ. و قد جاء هذا الاصطلاح من لغة القبائل البدائية التي قطنت جزر بولينيزيا.

٦ـ الارواحية

الأرواحية (Animism) دين قديم للعديد من الأقوام الغابرة، و مفاده أن لجميع مظاهر الطبيعة روحاً يجب عبادتها و السجود لها، و قد سادت بين الأقوام القديمة عبادة الأرض، السماء و الأجرام السماوية، النار، الرعد، البرق، السحاب، البحار، الأنهار، العواصف، الغابات، النباتات، الحيوانات لاسيما البقر، و ثعبان الكوبرا، و كذلك عبادة طوطم القبيلة و روح الأجداد و السلف، مع تفقد الأرواح الخبيثة كالشيطان و الجن، وقد ذمّ القرآن الكريم النزوع إلىٰ عبادة الجن و اللجوء إليه.[١]

١ـ الأنعام / ١٠٠، سبأ / ٤١، الجن / ٦.

و تعتقد الارواحية أن للطبيعة كما للإنسان شعوراً، و ما الأصنام إلّا رموز لقوى الطبيعة، فينبغي عبادتها و تقديم القرابين لها، اعتقاداً منها بأن الطبيعة سترضخ لها. و مازالت آثار هذا الدين لائحة في بعض الأديان الموجودة اليوم كالهندوسية.

٧ ـ الفتشية

الفتيش (Fetish) اصطلاح برتغالي بمعنى السحر، و الإيمان بالفتيش ـ الذي هو احترام شيء مادّي تكمن فيه قوة خارقة للعادة ـ ساد في أوساط الأقوام البدائية، و هذا الشيء قد يكون حجراً أو مواد معدنية، و حسب معتقدات تلك الأقوام، فإن حيازة الفتيش تعني الوصول إلى السعادة المنشودة.

٨ ـ الأساطير

كان البشر يتشبّث بالأساطير لتوضيح الظواهر حين يعجز عن كشف أسرار العالم، و كان يستلهم ذلك من قوة الخيال. و للأساطير أبعاد مختلفة: بنّاءة تارة كإشاعة الفضائل و الكمالات و تحلّي الروح الإنسانية بهما، و مخرّبة أخرىٰ كتعطيل الفكر البشري عن تفسير الظواهر. و كما أن الفكر يعمّ المجموعات البشرية قاطبة، فكذلك بديله أي الأسطورة، فتجد النصف الأول من «شاهنامة» الفردوسي يعجّ بالأساطير التي فيها سرد لوقائع أبطال نظراء رستم، ذلك القائد الأسطوري الذي خاض غمار الحروب من أجل سيادة العدالة و القيم.

أن الفلسفة و الدين من وجهة نظر البعض مرحلة أسطورية متكاملة، و لكن هذا الإدعاء لايصدق في حق الدين حسب الرؤية الدينية التي ترىٰ أن الاعتقاد بذلك ينافي الإلتزام بالدين.

الخلاصة

آ ـ ظهر الدين ـ عند الباحثين في العلوم الانسانية ـ منذ عصر مبكّر في النـزوع الىٰ عبادة الطبيعة.

ب ـ ثمّة عناصر مشتركة بين الأديان البدائية.

ج ـ الطوطم عبارة عن علامة تحفظ القبيلة، وقد تتجلّىٰ في حيوان أو نبات أو جماد.

د ـ التبو عبارة عن محرّمات القبيلة مثل مقررات الزواج و الغذاء.

هـ ـ مانا ، تطلق علىٰ الأشياء التي تكمن فيها قوة خارقة للعادة ينبغي طلب الحاجة منها و التبرّك بها.

و ـ الأرواحية، مفادها انّ لجميع مظاهر الطبيعة روحاً يجب عبادتها و السجود لها.

ز ـ الفتشية و هي شيء مادي تكمن فيها قوة خارقة للعادة.

ح ـ الأساطير تشبث البشر بها لتوضيح الظواهر حين يعجز عن كشف اسرار العالم، و لها أبعاد بنّاءة و اخرىٰ مخربة.

تمارين

١ـ ما هي العناصر المشتركة بين الأديان البدائية؟

٢ـ اذكر نماذج من الأديان البدائية مع تعريف لها.

٣ـ ما هي الأرواحية و الفتشية؟

٤ـ لماذا تشبّث الإنسان البدائي بالأساطير؟

مصادر البحث

١ ـ جيمس، ي ، «**دين ما قبل التاريخ**»، لندن، ١٩٦١.

٢ ـ در خيم، ي ، «**الصور البدائية للحياة الدينية**» ، لندن، ط الثانية، ١٩٦٧.

٣ ـ شلبي، أحمد، «**مقارنة الأديان**» القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦.

٤ ـ نوس، جون ، «**تاريخ جامع أديان**» (بالفارسية)، طهران، منشورات الثورة الإسلامية، ١٣٧٠.

5- Eliade, Mircea (ed), The Encyclopedia of Religion, New york: Macmillan Publishing Company, 1987.

6- Hastings, James(ed), Encyclopedia of Religion and Ethics, New york: Charles Scribner's sons, n.d.

7- Parrinder, Geoffrey, Worship in the World's Religions, London: Sheldon press, 1976.

٣

الديانات القديمة

١ ـ مصر

تعتبر مصر من الدول الأثرية المعروفة في العالم، حيث ازدهرت فيها الحضارة في نحو الألف الثالث قبل الميلاد، و حكمتها حكومات مقتدرة. و ينحدر المصريون من أصل قبطي، و منه أخذ الغرب كلمة (Egypt) الذي يُطلق على مصر.

و قد طوى المصريون مراحل مختلفة من الأديان البدائية، و أقبلوا على عبادة أنواع من الآلهة التي تمثّلت بعدد من الحيوانات الأهلية و الوحشية، و عبادة الفراعنة.

١ ـ ١. ظهور الدين و تنوّعه في مصر القديمة

اعتقد المصريون القدماء بموجودات غيبية ، و آلهة ذوات أسماء و صفات مختلفة، و لمابلغ عدد الآلهة من الكثرة بمكان، عمدوا إلى الحدّ منها، و الاكتفاء في عهد قصير بآلهة الشمس. و راج في تلك العصور أيضاً الاعتقاد بألوهية حيوانات كاللبوة و التمساح، و طيور أهلية كالوزة.

كما حازت عبادة القطط على اهتمام واسع، حتى أن الإيرانيين في العصر الهخامنشي رسموا ـ في إحدى حروبهم مع المصريين ـ قططاً على مجانّهم، فلما رآها المصريون كفّوا عن رشقهم بالنبال، و أغمدوا سيوفهم، فكان النصر حليف الإيرانيين.

كما اعتقد المصريون بموجودات خيالية تمثّلت في جسم إنسان برأس حيوان، و

كانت لهم أصنام يعبدونها.

و كانوا حين يعزمون علىٰ ركوب نهرالنيل، كانوا يتوجّهون إلى معبد التمساح فيرفعون الصلوات، و يقدّمون النذور و الصدقات، طمعاً في حفظهم من خطر التماسيح المفترسة.

٢ ـ ١. اسطورة الالهة الثلاثة: أوزوريس، إيزيس، و حوريس.

قال قدماء المصريين إن اوزوريس (إلٰه الخصب) تزوّج أخته (إيـزيس) و انـجبت حوريس (إلٰه الشمس)، وقُتل أوزوريس علىٰ يد أخيه ست (إلٰه الجدب)، و ألقىٰ جثّته في النيل، و جدّت ايزيس في البحث عن جثّة زوجها المقتول حتىٰ عثرت عـليها ثـم أخفتها، و تمكّن ست ـ بعد جهد ـ من العثور على الجثّة، فقطّعها إلى أربعة عشر قسماً، و وزّعها علىٰ جميع مقاطعات مصر. ولما شبّ حوريس خاض حرباً ضدّ عمّه ثأراً لأبيه. كان النصر فيها حليفه، و اقتاد ست إلىٰ أمّه مكبلاً بالأغلال، فأشفقت عـليه إيـزيس، ففكّت قيوده، و أطلقت سراحه.

ثمّ إنّ حوريس جمع أقسام جثّة أبيه. و أحياه بمعونة (إلٰه الحكمة) إلا أن أوزوريس لم يبق طويلاً في الدنيا، بل تخلّىٰ عنها لولده حوريس، وذهب إلى العالم السفلي ليـصبح حاكماً لمملكة الموتىٰ.

٣ ـ ١. عبادة الشمس

إن لعبادة الشمس في بقاع مختلفة تاريخاً حافلاً يتوغّل في القدم، وقد أشـار اليـها القرآن الكريم في عدّة سور[١]. و حقاً أنه ليس في أوساط الآلهة التي عُبدت إلى جانب الخالق سبحانه من جارت الشمس في خيراتها و بركاتها اللامتناهية.

وثمّة آلهة ـ في مصر القديمة ـ لساعات النهار المختلفة، تنوب عن الشمس، فكان «رع» إلٰهَ الظهيرة، و «خفرع» إلٰهَ الصباح، و «آتوم» إلٰه الغروب.

---

١ ـ النمل / ٢٤.

كما أنهم آمنوا بالجُعَل كممثل عن الشمس في الأرض، و شاعت صوره على الطلسمات و تماثيل الفراعنة، التماساً للبركة والسعادة.

٤ ـ ١. عبادة فرعون

انتشرت عبادة الفراعنة في الماضي، وكان آخر أثر لها هو عبادة امبراطور اليابان الذي ألغاها بنفسه عام ١٩٤٦م، و ما زالت آثار هذه السنّة موجودة اليوم عند بعض الملوك و السلاطين كملك تايلند.

إنّ فراعنة مصر كأباطرة اليابان اعتبروا أنفسهم جديرين بالعبادة، لأنهم آلهة من نسل الشمس.

٢ ـ بابل

كانت بابل لسنوات طوال مركزاً للحضارة والعلم و الثقافة، وورد اسمها في الكتاب المقدّس لليهود و النصارىٰ و القرآن الكريم[١]، و يعدّ الجبر و المثلّثات و الكثير من المسائل الرياضية و العلمية الأخرىٰ من الآثار التي خلفتها هذه الحضارة.

١ ـ ٢. التحوّل و التغيّر الذي طرأ على الديانة البدائية في بابل

كشفت عمليات الحفر و التنقيب التي أجريت في مناطق مختلفة من العراق عن وجود تماثيل لعدد كبير من الآلهة كانت مدفونة تحت التراب، و قد نُقلت هذه التماثيل الى مختلف متاحف العالم. هذا العدد الضخم من الآلهة هو في الواقع صورة متكاملة للأرواحية البدائية.

كما شهدت بابل أيضاً تحولاً و تكاملاً في الدين من الفتشية إلى الاعتقاد بعدد كبير من الآلهة ، و استغرق هذا السير التكاملي ما يقرب من (٤٠٠٠) سنة، ثمّ استقرّ الأمر أخيراً

---

١ ـ الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

علىٰ عبادة عدد من الآلهة التي تنوب عن أرواح الشمس و القمر و بقيّة السيّارات في مدن مختلفة ، و يعتبر (مردوك) الإلهٰ الأعظم لامبراطورية بابل.

٢ ـ ٢. الآلهة الثلاثة

صنف العدد الضخم من الآلهة عند البابلين إلىٰ مجموعتين ثلاثيتين ، هما مجموعة آنو (إلٰه السماء) ، و أنليل (إلٰه الهواء) ، و إيا (إله الماء) ، و مجموعة شِمِش (إله الشمس) ، و سين (إلٰه القمر) ، و عشتار (إلٰهة الخصب).

وكانت للآلهة المذكورة أزواج، و قد استحوذت عشتار (إلٰهة الخصب) على اهتمام خاص، و يطلق على زوجها اسم تمّوز.

ولما بلغت الحضارة البابلية أوج رقيّها و ازدهارها، أقبل البابليون علىٰ عبادة مردوك، ونقشت صوره في كل مكان، واعتبر سيد الآلهة أجمعين.

٣ ـ ٢. إله آشور

لما سقطت بابل بأيدي أقوام آشور الشماليين حلّت عبادة آشور (إله الأشوريين) محل مردوك، و انتشرت صوره في كل مكان، و ما أن انتصر البابليون على الآشوريين حتى استعاد مردوك سابق مجده التليد، إلا أنه سرعان ما فقده عند سقوط بابل بيد كورش، و حلّ آهورامزدا محله.

٣ـ اليونان

اليونان شبه جزيرة صغيرة تقع في الجنوب الشرقي من أوروبا. كانت في الماضي السحيق مركزاً نشطاً للثقافة و الفن و الفكر ، و يطلق الغرب على هذا البلد اسم (Greece)، ومنه اشتُقّت كلمة إغريق في اللغة العربية. و كلمة اليونان اشتقت من ايوني (Ionia) اسم إحدىٰ مقاطعاتها، و سمّىٰ اليونانيون بلادهم هيلس (Hellas) و هو اسم

أجدادهم القدماء، و قد حازت معتقدات اليونانيين علىٰ أهمية خاصة في مباحث معرفة الدين لارتباطها الوثيق بالفكر و الأسطورة.

١ ـ ٣. دين قدماء اليونان

كان لقدماء اليونان آلهة ذكور و إناث أعظمها شأناً زيوس الذي كان يُطلق عليه أحياناً اسم زيوس بتروس، أي زيوس الأب ، و يطلق قدماء الهندوس على هذا الإله اسم ديوس بيتار، و قدماء الروم اسم جوبيتر. و آلهة اليونان تشترك في أغلب الأحيان مع آلهة قدماء الآريين. و من آلهتهم:

أبولون (إلٰه الشمس)

بوسيدون (إلٰه البحر)

هستيا (إلٰهة الأم)

دميتر (إلٰهة الخصب و المحصولات)

هرمس (إلٰه الحكمة)

و آرس (إلٰه الحرب)

٢ ـ ٣. الأساطير

سعى الإنسان منذ القدم إلى إعطاء إجابات مقنعة للاستفسارات التي تُطرح من خلال خلق الأساطير ، مستعيناً بقوة خياله ، و ذلك بهدف التخلص من دوّامة الشك و الحيرة التي تعتريه ، و ما الفلسفة و الأدب و بعض الأديان إلّا نتاج الأساطير التي كان لها دور هامّ في حياة الإنسان الفكرية، و مثال ذلك أساطير الشاهنامة التي راجت في بلادنا و ترسّخت في أذهان الناس، و التي تمدّ القارئ بالمتعة كلما أخذ في قراءتها.

و كان قدماء اليونان يعبدون آلهتهم الأسطورية، و يقدّمون لها القرابين ، وقد تقدّمت أسماء بعضها، و من الصعب بمكان إحصاء أسماء جميع آلهة اليونان أو آلهة الشعوب القديمة.

كان اليونانيون أناساً ذوي ذهنية وقّادة و بحّاثة، اضطرّوا ـ لقصر باعهم في العلم ـ إلى خلق الأساطير ، لكي تركن ذهنيتهم الباحثة الى ساحل الأمان و الاستقرار، فتجد أنهم عبدوا أوثاناً متنوعة بدلاً من عبادة خالق السموات و الأرض، كما اهتموا بالفلسفة أيضاً، و رفعوا لواءها في أعصارهم، في حين عجزت أقوام أخرىٰ عن اللحاق بهم في هذا المضمار.

٣ ـ ٣. ظهور الفلسفة

شهدت اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد ظهور فلاسفة كبار، طرحوا أفكاراً جديدة، و من أشهر هؤلاء الفلاسفة: سقراط ، و تلميذه أفلاطون ، و أرسطو تلميذ أفلاطون. و قد راجت أفكار أرسطو في المعاهد العلمية في أوروبّا و العالم الإسلامي ما يناهز الألفي سنة، و قلّ من وجد في نفسه الجرأة علىٰ نقدها. و على الرغم من أن فلسفة اليونان و أفكار أرسطو فقدت اليوم مقامها الشامخ الذي كانت عليه، إلّا أنّ العلماء لايجدون بدّاً من التعريج عليها كلما استعرضوا الجذور التأريخية للنظريات الفكرية الجديدة.

وقد استفاد فلاسفة اليونان في صياغة أفكارهم من الأساطير استفادة كبرىٰ، وثمّة آثار كاملة لأفلاطون متوافِرة اليوم، و تعجّ بأسماء عدد كبير من الآلهة. و كانوا يعترضون على نسبة صفات قبيحة إلى الآلهة في الأناشيد الحماسية القديمة. إنّ أفكار أفلاطون في حقل الإلٰهيّات جعلت منه إنساناً إلٰهياً، حتىٰ أطلق عليه «أفلاطون الإلٰهي».

كما أنّ أرسطو حينما طرح مبحث المحرك الأول ، أصبح حسب اعتقاد الفلاسفة الموحدين قريب الاعتقاد بإلٰه الأديان التوحيدية.

٤ ـ ٣. عقائد عامة الناس

طرأ في هذا العصر تحول في أفكار عامة الناس، تبلور في اعتقادهم بأن الإلٰه زيوس

يقف علىٰ قمة جبل (المب)، و يحيط به سائر الآلهة. و كانوا لا يؤمنون بحياةٍ بعد الموت، بل عكفوا علىٰ عبادة الأوثان بغية نيل السعادة الدنيوية. هذه الأوثان هي مظاهر للآلهة و الأبطال الأسطوريين، و كان لها كَهَنة.

٤ ـ الرومان

كانت الامبراطورية الرومانية من أعظم الدول القديمة سطوة وقوة، و قد توسعت لتشمل معظم أوروبّا و مصر و سوريا و آسيا الصغرىٰ. و اضطلع الرومانيون منذ الماضي السحيق بفنّ العمران و النحت والرسم و الأدب و إدارة البلاد، و قد اعتنقوا المسيحية بعد ثلاثة قرون من ميلاد المسيح عليه السلام، وسعوا إلى نشرها من خلال الاستعانة بحضارتهم العريقة.

١ ـ ٤. ديانة قدماء الرومان

كان لقدماء الرومان دين بدائي، حيث عبدوا إلٰهة «ديانا» و اتخذوا لها هيكلاً في تلال قريبة من روما، يفدون إليه أثناء الاحتفالات السنوية، و كان من طقوسهم تناول الطعام المقدس الذي يطبخ علىٰ نار مقدسة، و كان لإعداد الطعام المذكور مراسم خاصة، نحجم عن ذكرها خوفاً من الإطالة، إلّا أن تناوله مازال رائجاً عند بعض الديانات كالعشاء الرّباني في المسيحية.

٢ ـ ٤. نوما

إنّ دين نوما (Numen) يعني الروح، و هو الاعتقاد بأن كل شيء من مظاهر الطبيعة، سواء أكان انساناً أو حيواناً أوجماداً له روح، و بعض هذه الأرواح خيّرة طيّبة، و بعضها خبيثة شريرة، و هي قبل أن تصبح آلهة كانت لها طبيعة مبهمة و غير متميّزة، إلّا أنّ الرومانيين في المراحل اللاحقة قد حدّدوا معالمها و حاكوا حولها الأساطير والملاحم.

٣ ـ ٤. آلهة الرومان

اما آلهة الرومان فقد عكست حياتهم الزراعية و العائلية و الحربية، و اذا أرادوا النجاح في شيء رفعوا الصلاة إلى الإله المختص الذي عرفوه منذ القدم، و فوق الآلهة جميعاً، عبدوا و هو ـ نظير زيوس إله اليونانيين ـ إله النور و الرعد و البرق والصاعقة، و تختص عبادته حينما يصبح القمر بدراً.

٤ ـ ٤. الطقوس الدينية

تتلخّص الطقوس الدينية عند الرومان بعبادة الامبراطور و تقديم القرابين للآلِهة، و إقامة الاحتفالات لها.

الخلاصة

أ ـ تعتبر مصر من الدول الأثرية المعروفة في العالم حيث ازدهرت فيها الحضارة في نحو الالف الثالث قبل الميلاد و حكمتها حكومات مقتدرة.

ب ـ تنوع الدين في مصر القديمة فمن عبادة الآلهة الثلاثة أوزوريس، إيـزيس، و حوريس الىٰ عبادة الشمس و فرعون.

جـ ـ كانت بابل لسنوات طوال مركزاً للحضارة و العلم و الثقافة، و شهدت تـحولا و تكاملا في الدين من الفتشية الىٰ الاعتقاد بعدد كبير من الآلهة.

د ـ حلت آلهة آشور محل مردوك لما سقطت بابل بأيدي أقوام آشور.

هـ ـ كانت اليونان في الماضي السحيق مركزاً نشطاً للثقافة و الفن و الفكر و كان لقدماء اليونان آلهة ذكور و اناث. و قد اضطروا لقصر باعهم في العلم الىٰ خلق أساطير.

و ـ شهدت اليونان ظهور فلاسفة كبار أمثال: سقراط، أفلاطون، أرسطو.

ز ـ إنّ الامبراطورية الرومانية كانت من أعظم الدول القديمة سطوة وقوة، وقد عـبد قدماء الرومان إلهة «ديانا» التي أقاموا لها هيكلا علىٰ تلال روما، اضافة الىٰ عدد ضخم من الآلهة و فوقها جميعاً جوبيتر.

تمارين

١ـ اذكر بنحو موجز أسطورة الآلهة الثلاثة عند المصريين القدماء؟

٢ـ ما هي ديانة قدماء المصريين؟

٣ـ اذكر تعريفاً لنوما؟

٤ـ من هو جوبيتر؟

مصادر البحث

١ ـ شلبي، احمد، «**مقارنة الأديان**» القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦.

٢ ـ غرانت، ف، «**الديانة الرومانية القديمة**»، نيويورک، ١٩٥٧.

٣ ـ غراي، ج، «**أسطورة الشرق الأدنىٰ**»، لندن، ١٩٦٩.

٤ ـ فرغسون، ج، «**ديانات الامبراطورية الرومانية**»، لندن، ١٩٧٠.

٥ ـ كيرك، غ، «**طبيعة الأساطير اليونانية**»، نيويورك، ١٩٧٥.

٦ ـ نوس، جون، «**تاريخ جامع أديان**» (بالفارسية)، ترجمة علي أصغر حكمت، طهران، منشورات الثورة الاسلامية، ١٣٧٠.

٧ ـ نيلسون، م ، «**تاريخ الديانة اليونانية**»، اكسفورد، ١٩٢٥.

٨ ـ وايزمن، د ، «**الآشوريون و البابليون**»، كمبردج، ١٩٦٥.

٤
الهند

زحف الآريون قبل نحو (٣٥٠٠) سنة من آسيا الوسطى الى اطراف نهر السند (في جنوب باكستان الحالية)، واتجهوا شرقاً حتى وصلوا الى بلادٍ، أُطلق عليها فيما بعد اسم «الهند».

وتزامن هذا الزحف مع زحف أفواج أخرىٰ من الآريين صوب إيران و أوروبّا.

وعلى الرغم من أننا نجهل بالمرّة اللغة الأصلية للأقوام الآرية، إلّا انّ لغاتهم بعد الهجرة هي لغات الهند وأوروبّا التي بينها قرابة أسرية.

ان لغة الأقوام الآرية التي انحدرت الى الهند، هي السنسكريتية (San - Skrita) التي تربطها قرابة مع اللغة الفارسية القديمة والبهلوية والأوروبية. وهذه القرابة قدّمت خدمات جليلة لعلم الألسنة، فالحرف (هـ) في اللغة الفارسية يقابل الحرف (س) في السنسكريتية، وعليه فإن كلمة الهند مثلاً تقابل كلمة السند (Sindhu)، وكلمة هوما (نبات مقدس عند الزردشت) تقابل سوما (Soma) (نبات مقدس عند الهندوس).

١ ـ الهندوسية

كان يطلق على دين الهندوس قديماً اسم البرهمية نسبة الى براهما إله الهندوس. وتعتبر الهندوسية شكلاً متكاملاً للأرواحية، ومن هنا لم يعرف لها مؤسّس يمكن الرجوع اليه.

فالهندوسية دين متطور و هو يتضمّن مجموعة من التقاليد والأوضاع الاجتماعية

والثقافية مقرونة بتهذيب النفس وترويضها. وقد ترك هذا الدين بصمات واضحة على حضارة الهند، وعلى حياة سكّانها الفردية والجماعية.

١ ـ ١. سكّان الهند قبل زحف الآريين

امتاز سكان الهند و إيران الأصليون ـ قبل هجرة الآريين إلى هذه البلاد ـ بقصر القامة واسميرار البشرة، و كان لهم دين وثقافة وطقوس خاصة على مستوى حضارة ما بين النهرين، وقد اندثروا في إيران بشكل كامل إلّا أنّ جماعات منهم بقيت في الهند، واتجهت صوب جنوب الهند، وتُعرف اليوم باسم الدرافيدية (Dravidians) ، ويشكّل المنبوذون (Untouchables) طائفة كبيرة منهم، وسيأتي الكلام عنهم بالتفصيل.

وقد كشفت عمليات الحفر والتنقيب التي أجريت في مدينة موهنجودارو (Daro-Mohenjo) الواقعة على نهر السند (بالباكستان) عن وجود آثار عظيمة لحضارتهم، كما كشفت التنقيبات عن وجود عدد كبير من آلهة الهندوس قبل زحف الآريين الى الهند .

٢ ـ ١. أصول الديانة الهندوسية

أصول الديانة الهندوسية عبارة عن الاعتقاد بالكتب القديمة والطقوس الدينية للبراهمة واحترامها، وعبادة الآلهة التي ظهرت في الأدوار القديمة. والاعتقاد بالتناسخ ، و رعاية مقررات الطبقات الاجتماعية في أسلوب المعيشة والزواج، واحترام الموجودات الحيّة أيضاً لاسيما البقرة التي هي من أصول دينهم.

إنّ لفظة «أم» التي تعني آمين، لفظة مقدسة للغاية عند الهندوس ، لأنها الاسم الأعظم الإلهي، وهذه النظرة تشبه الى حدّ بعيد نظرة اليهود الى لفظة يهوه التي هي الاسم الأعظم.

٣ ـ ١. آلهة الفيدا

آمن الهندوس بعدد ضخم من الآلهة السماوية والأرضية، وذكروا لها أسماء وصفات عجيبة و غريبة، وأقاموا لكل منها هياكل عظيمة. وترتبط هذه الآلهة فيما بينها بروابط نسبية وسببية.

وقد نقلت كتبهم المقدسة الكثير من التفاصيل عن الصفات الجسمية والنفسية لهـذا العدد من الآلهة. ويعتبر الاعتقاد بتجلّي الآلهة على هيئة انسان أو حيوان في أدوار مختلفة من المعتقدات التي حازت على اهتمام واسع.

وقد صنّفت الآلهة وفق الطبقات الاجتماعية السائدة، ومن أشهرها:

اغني (Agni) إله النار.

فارونا (Varuna) إله السماء.

ايشفارا (Isvara) إله القوة والقدرة.

رودرا (Rudra) إله الخوف والفزع.

راما (Rama) إله العواطف.

كريشنا (Krishna) إله الماء الصافي.

ياما (Yama) إله الموتى وحاكمهم، وهو يماثل (جم) عند الزردشت.

اشفين (Asvin) وتعني الفارس. وتطلق على ملكين اثنين من ملائكة الهندوس الذين يعتقدون أنهما يمنحان الصحة والسعادة والغنى.

ويعتقد الهندوس أيضاً بألوهية كالي (Kali) التي تعني أسود، وهي قبيحة المنظر، ويقدّمون إليها هدايا من عمليات السلب و النهب.

جدير بالذكر أنّ الأصنام تنحت بشكل جذّاب، حتّى عُدّ الصنم في الشعر كناية عن المحبوب الجميل.

٤ ـ ١. الكتب المقدسة

جُمعت أدعية ومعتقدات الهندوس في مجموعة اطلق عليها اسم الفيدا (vedas) التي تعني العلم في اللغة السنسكريتية، وعرفت بـ(شروتي) (Sruti) التي تعني الوحي والإلهام أو العلوم المقدّسة الموروثة.

ويعتقد المؤرخون أنّ تصنيف مجموعة الفيدا يعود إلى ما بين ١٤٠٠ ـ ١٠٠٠ق . م . وعلى هذا الأساس أطلق العصر الفيدي على الفترة الممتدّة ما بين ١٥٠٠ ـ ٨٠٠ ق . م .

والفيدات عبارة عن أربعة كتب دينية، وهي:

١ ـ ريغ فيدا (Rig-Veda) ، وضعت ليتضرّع بها أتباعها أمام الآلهة أو يتغنون بها.

٢ ـ ياجور فيدا (Yajur-Veda)، وتشمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

٣ ـ ساما فيدا (Sama-Veda) ، وتشمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.

٤ ـ آثارفا فيدا (Atharva-Veda)، وآثارفا: اسم مصنّف هذه الفيدا.

وقام البراهمة في الأزمنة اللاحقة بشرح وتفسير هذه الفيدات، ولهذا السبب احتوت كل من هذه الفيدات على سفرين:

الأول: المَنْتَرينات (Mantaras)، وهي عبارة عن نصوص أوراد في تعظيم النار والشمس وسائر مظاهر الطبيعة، إضافة الى أوراد أيّام الرخاء والحمل وغفران الذنوب.

الثاني: البراهْمانات (Brahmanas) ، وهي نصوص هندوسية قديمة تصور منطق وعقلانية ومبادئ نظام الأضاحي البراهماني.

وقد أطلق الباحثون على الفترة ما بين ٨٠٠ ـ ٥٠٠ ق . م بالعهد البراهمي .

وثمّة كتب لاحصر لها دينية وفلسفية وعرفانية وأدبية أغنت التراث الثقافي للهند، وتُرجمت إلى لغات مختلفة ، منها الكتاب المعروف بكليلة ودمنة، واسم الكتاب في الأصل السنسكريتي بانجاتانترا (Panca-tantra) أي الأجزاء الخمسة.

وقد حازت كتب مهابْهاراتا (Maha-bharata) وراما يانا (Ramayana) ذات المحتوى الأسطوري والملحمي والحماسي على احترام بالغ، وترجمت الى مختلف لغات العالم.

وثمّة كتاب آخر معروف وجذّاب للغاية، هو بهغافاد كيتا (Bhagavad-gita) الذي يعني أناشيد الرب، هو جزء من الملحمة الكبرى مهابهارتا، وقد يطلق عليه اختصاراً اسم كيتا، ويتطرق الى موضوع النقاء والخلاص (Bhakti)، ويكفي لبيان أهميّة هذا الكتاب أنه ترجم مراراً الى مختلف لغات العالم الحيّة.

ويتضمّن الكتاب الحوار الذي دار بين كريشنا و بين الأمير أرجنا (Arjuna)، وهو أجلّ كتب الهندوس، و فاق في شهرته جميع الكتب الدينية و العقلية عندهم.

ولم تكن نُظُم الكتاب على منوال واحد، إلّا أنّ كلماته ساحرة، تدفع بالقارئ إلى مطالعته بشوق و رغبة، ممّا حدا إلى تزايد الإقبال عليه.

إنّ سرّ نجاح كيتا يكمن في أنه بيّن السبيل الأمثل للنجاة والفلاح، وهو النقاء والخلاص، ولأجل إثبات ذلك استعان بالقصّة التالية:

كان أرجنا زعيم أحد الحزبين المتحاربين متأثّراً بأحوال بيئته، مؤمناً بمعتقدات عصره، وخاضعاً للأفكار الشائعة، فلمّا اصطفت الصفوف ودقت الطبول، وآن أوان القتال، تلجلج في مباشرته، وجرى بينه وبين كريشنا الحوار التالي:

قال أرجنا لكريشنا وهو واقف بين الصفين ينظر الى الذين جاؤوا لمحاربته:

سيدي أرى أمامي أقاربي الأعزاء وأصدقائي القدماء، ففيهم الأخ وابن الأخ، والخال وابن الخال، والعم وابن العم، فيهم الأبناء والأحفاد، وفيهم الشيوخ الذين نشأتُ على تبجيلهم، أراهم أمامي وقلبي يرتعد، ويدي ترتعش، وأشعر بحلقومي كأنه قد جفّ، هل يليق بي أن أُحارب هؤلاء الأحبّاء الأعزّاء، والأسلاف الأجلّاء؟ كلّا، لأنّي إن حاربتهم أُحرم من راحة البال أبداً. إنّ حياة الذلّ والفقر خير من النصر الذي أناله بقتلهم، أجل لا يحلّ لي قتلهم، وأنّهم لو قتلوني فإنّي لا أرضىٰ برفع يدي عليهم، لاريب أنّهم ظالمون ومع ذلك لايطاوعني قلبي في قتالهم. ثمّ إنّي إن حاربتهم فنيت أسرتنا العريقة في المجد

بأسرها، وبفنائها تفنى سائر عاداتها وتقاليدها، وإذا ذهبت العادات والتقاليد فـما الذي يمنع البقية الباقية منها، ولا سيما النساء من الضلال والغواية؟ فينتشر الشر وتعمّ الفتنة في النساء، وبفساد النساء تختلط الأنساب ، وتزول فروق المراتب البشـرية. إذ هـذا لشـرّ مستطير، وهو ما ينتج من هذه، الحرب وسفك الدماء.

فالذين يتحاربون و يسبّبون هذا الفساد لابدّ من أن يجازوْا بالجحيم، وليس هؤلاء، وحدهم الذين يُصلَوْن بالنار، بل يدخلها أسلافهم كذلك، لأنّهم قد فقدوا أخلافهم الذين عليهم أن يقدّموا لأرواح الأسلاف ما يجلب لها الراحة والسعادة، وهكذا تفنى الرسـوم والعادات، وهكذا يذهب الدين، فيصير نسياً منسياً، ونحن ما زلنا نسمع أن الذين كانت حالتهم هكذا يدخلون الجحيم الأبدي، ولذلك فمباشرتنا الحرب إثم ليس فوقه إثم.

ويجيب كريشنا قائلاً:

إنّ خَوَرَكَ يا أرجنا في هذه الساعة الرهيبة لعار ليس فوقه عار، وأنت لن تجد بعده راحة البال طول حياتك، وسيكون ذلك سمة سوداء على جبينك لا يمحوها الدهر أبداً. أيها البطل الشجاع، ماهذا الجبن الذي لا يليق برجل مثلك؟ وطّد نفسك على الحـرب، وسر الى النصر الذي ينتظرك.

فقال له أرجنا:

كيف يحلّ لي أن أحاربهم ، وأنا أرى فيهم أساتذتي وأعمامي وأخوالي الذين يجب عليّ احترامهم؟ أليست حياة التسوّل خيراً من الملك الذي أناله بقتلهم؟

فيبتسم كريشنا من قول أرجنا، ويقول له:

تتكلّم بكلام العقلاء، ثمّ أراك تهتم بما لا يهتم به العقلاء، ألا تعلم أن العامل في مثل هذا الموقف لا يبالي بالحياة ومصيرها؟ هل تظنّ أنّني أنا وأنت وجميع هؤلاء الملوك وسائر هؤلاء الناس، وُجدوا بعد أن لم يكونوا شيئاً؟ هذا ما لايقوله عاقل، لا يمكن وجود شيء

من لا شيء، كلّ من هو موجود الآن، وُجد من قبل، وسيبقى موجوداً دائماً، وكما ترى الحياة تطرأ عليها الطفولة، والشباب والشيخوخة كذلك، ينتقل الروح من جسد الى جسد آخر ، وهذا التنقل هو الذي نسمّيه بالموت، ولذلك فإن العقلاء لا يزعجهم الموت.

يا أرجنا إنّ الألم واللّذة مناطهما بالمشاعر إلتي مآلها الى الفناء، فلا ينبغي لك أن تقيم لها وزناً، والذي يرتفع فوق الألم واللذة هو الذي ينال السعادة الدائمة والنجاة الأبدية. لايمكن أن ينعدم ماهو موجود، ولا يمكن وجود شيء من العدم، عليك بهذه المعرفة.

يا أرجنا يفنئ الجسم، ولا فناء للروح، فالروح ليست لها بداية ولا نهاية، فعليك يا أشجع الشجعان أن تُبعد هذه الأفكار الباطلة عن نفسك، وأن تتأهب للقتال، لأن واجبك هذه الساعة هو القتال. عليك أن تعلم أن الروح لاتقْتُل و لاتُقتل، انها ليست بأمر حادث، بل قديمة أزلية أبدية لاتتغيّر و لاتتبدّل و لاتموت بموت الجسد، فالذي يرى الروح خالدة يعلم كذلك أنه لايقتل أحداً ولا يقتله أحد، وكما يبدّل الإنسان لباسه، كذلك الروح تغيّر قشرتها، فينتقل من جسد الى جسد... .

ثمّ قال: إن تأخّرك عن الحرب يا أرجنا مناهض لواجبك كرجل من كشترى (طبقة المحاربين) . ان القدر قد ساق إليك هذه الحرب التي ليست إلا باباً للجنة، والسعيد من تسنح له فرصة كهذه، وأنت إن ضيّعتها تبوء بإثمك، ويعيّرك الناس بالجبن. يظن المحاربون أنك قعدت عن الحرب خوفاً وجبناً، فتسقط عن الأعين التي مازالت تبجّلك. تفكّر أيُّ أساً يكون فوق هذا الأسى؟ وهل هناك عار على الرجل أكبر من أن يقال إنه جبان؟ وأنت إن قُتلت دخلت الجنة، وإن عشت فزت بملك عظيم. فوطّد نفسك على القتال، وباشره غير مبال بالعاقبة.

وقد حازت مسألة وحدة الألوهية على اهتمام واسع، وفي هذا الإطار، فقد ورد في كتاب كيتا تعاليم ابانيشادات مقطع، يقول فيه كريشنا :

أنا برهما، الإله الواحد الأزلي.

أنا القربان، أنا الدعاء والصلوات.

أنا خيرات الأموات.

أنا ذلك العالم الرحب اللامحدود.

أنا الأب والأم والسلف وغاية المعرفة.

أنا لفظة أُم المصفاة من الماء العذب وضياء الشمس.

أنا كتب ريج فيدا، ياجور فيدا، ساما فيدا.

أنا الطريقة، الشريعة، المعلم، الرب، القاضي، الشاهد ، الصومعة والملجأ، الصديق والعدو، نبع الحياة، وكل شيء يبدأ ويعود، والبذور والفصول، والمحصول.

أنا الموت، أنا الحياة.

يا أرجنا، أنا حياة العالم التي تراها، وحياة الآخرة التي لاتراها.

٥ ـ ١ . الثقافة والتربية الفيدائية

بلغت سطوة رجال الدين الهندوس (البراهمة ـ Brahmand) أوجها في حدود القرن السادس قبل الميلاد. حيث ساد نظام طبقي صارم، ألقى بظلاله على بلاد واسعة كالهند منذ أكثر من (٢٥٠٠) سنة، وماتزال آثاره باقية الى اليوم.

وقد أطلق الباحثون على الطبقات الاجتماعية اسم كاست (Caste)، وهو اصطلاح برتغالي ، معناه الأصل.

ويصنف المجتمع الهندوسي إلى أربع طبقات:

١ ـ البراهمة (Brahmanas) ، وهم طبقة الكهنة و رجال الدين.

٢ ـ الكشتريا (Kshartrias) ، وهم طبقة الملوك، والأمراء، والمقاتلين.

٣ ـ فيشيا (Vaisyas)، وهم طبقة التجار والزراع.

٤ ـ الشودرا (Sadras) وهم أصحاب المهن السافلة والخَدَم.

ويمنع شرعاً وعرفاً معاشرة أفراد كل طبقة من الطبقات المذكورة للطبقات الأخرى، لا سيما الطبقة الأخيرة، حيث يُحظر الاتصال بها، بل النظر إليها من قبل أفراد الطبقات العليا، ويُعدّ تجاوز ذلك من الذنوب الكبيرة التي لا تُغتفر.

وثمّة طبقة أدنى من الطبقات الأربع المذكورة، وهي طبقة المنبوذين (Untouchables)، وأفراد هذه الطبقة هم سكان الهند الأصليون من غير الآريين. ويحظر على هؤلاء مخالطة أفراد سائر الطبقات أو التردد إلى أماكن سكناهم، إلّا إذا اقتضت الضرورة ذلك كالقيام بجمع القُمامة مثلاً، و إذا أرادوا ذلك، فعليهم أن يرفعوا أصواتهم معلنين عن طبقتهم، كي لا تقع أنظار الطبقات العليا عليهم، وفي غير هذه الصورة يجب على من نظر إليهم التطهّر بالغسل، كما يتم البيع والشراء معهم من بُعد كأن يضع النقود في مكان خاص وينادي بالمتاع الذي يبغيه، ويتوارى عن الأنظار.

كما يحظر عليهم الاستماع الى تلاوة الكتاب المقدس، ومن استمع لها منهم، يجازى بصبّ الرصاص المذاب في أذنيه.

وممّا يثير العجب أن المنبوذين أِلفوا هذه الاُمور ، إيماناً منهم بأنها حق ، وأن التعاسة التي نزلت بهم ليست إلّا نتاج الأعمال القبيحة التي ارتُكبت في الماضي، وحلّت بهم عن طريق التناسخ، وكانت تعدّ كل محاولة لتضييق الهوة بين الطبقات الأربع[1] والحدّ من الفوارق الطبقية والدفاع عن المنبوذين محاولة غير مقبولة ومحظورة شرعاً وقد اُلغيت هذه السنن الاجتماعية رسمياً عام (١٩٥٥م) ، إلّا أن آثارها ماتزال باقية.

ويحظى نهر الكنج (Ganga) المعطاء ـ والذي يعني السريع ويغطي مساحات شاسعة من الهند ـ بمرتبة عالية من القداسة عند الهندوس ، ويعتبر الغسل فيه وخصوصاً في مدينة

---

١ ـ يذكر انه ظهرت بالتدريج ٢٠٠٠ طبقة فرعية ضمن الطبقات الأربع الرئيسية.

بنارس (Benares) عبادة مهمة، وحظيت النيلوفر (Padma) بالقداسة ايضاً.

و راجت في أوساطهم القرابين كعبادة، لا سيما قرابين الخيول (Asva-Medha)، ومن ثمّ أقيمت هذه المراسم من أجل تلبية الحاجات.

ويُعدّ أهيمسا (Ahimsa) ـ الذي يعني الاحتراز عن أذي الحيوانات ـ أصلاً مهماً، اكتسب أهميّة بعد تأثّره بتعاليم مهاويرا. هذه التعاليم تمنع تناول لحوم الحيوانات، وتعتبره عملاً غير أخلاقي، وقد تركت هذه المسألة أثراً عجيباً على أسلوب معيشة الهندوس.

و الهندوس يحرقون أجساد أمواتهم، وينثرون رمادها في نهر الكنج، وتزامن هذا العمل في الماضي مع نوم الزوجة في وسط ركام من الحطب، وحرقها مع زوجها الميت، ولأجل بعث الرغبة والشوق عند الزوجة للإقدام على هذا الأمر، أُطلق عليها لقب ستي (Sati) ـ أُطلق هذا المصطلح السانسكريتي في اللغة العربية على المرأة التي تحظى بمقام اجتماعي رفيع ـ و إذا لم تستطع الزوجة تحمل هذه التضحية، فإنها تحلق شعر رأسها، وتبارح الوطن. ولما احتلّ الانجليز بلاد الهند عام (١٨٢٩ م)، منعوا حرق الزوجة حيّة، فلم يتخلّف عن هذا المنع إلّا قليل.

٦ ـ ١. فلسفة أوبانيشادات

في العصر البراهمي (٨٠٠ ق. م ـ ٥٠٠ ق. م)، بلغت طقوس القرابين حدّ الإفراط، و طغى انتشارها على المسائل الدينية العميقة التي آلت إلى الأفول، وأسفر الإفراط في قرابين الخيول والحيوانات الأخرى إلى إلحاق أضرار بالغة باقتصاد البلد وإلى إفراغ خزينة الملك، ممّا دفع بالبراهمة إلى التفكير جدّياً في إصلاح الدين من خلال إعداد البراهمانات، وهي تشتمل على قسمين:

أ ـ أرنياكات (Aranyakas)، وتضم المسائل الضرورية للمرتاضين.

ب ـ أبانيشادات (Upanishads) وتعني الجلوس عن قرب، كناية عن تعلّم أسرار الدين.

وقد حاز أبانيشادات على شهرة واسعة، وتُرجم هذا الكتاب لأوّل مرّة إلى اللغة الفارسية عام (١٠٦٧ هـ) ترجمه العالم الفنان العارف الأمير دارا شكوه بن شاه جهان ملك المسلمين في الهند، بهدف بيان وجوه الاشتراك بين العرفان الإسلامي والهندوسي، وأطلق عليه اسم السرّ الأكبر (وهذه الترجمة هي التي جعلت الغرب يقف على كتاب أبانيشادات).

كما يطلق على أوبانيشادات كلمة فدانتا (Vedanta) وتعني نهاية الفيدات، وهذا الكتاب يلج عمق الفيدات، ويجذب انتباه الناس إلى أن هذه الآداب والرسوم الظاهرية تنطوي على أسرار ومفاهيم باطنية، وحاز الكتاب على شهرة عالمية، حتى أن بعض موضوعاتها التعليمية جاءت في كتاب الميزان للعلامة الطباطبائي[(١)].

٧ ـ ١. الآلهة الثلاثة

آمن الآريون الهنود ـ كسائر المشركين ـ باله العالم الحقيقي، وأطلقوا عليه اسم برهما (Brahman) ومعناه القائم بالذات والأزلي والأبدي، ولم تكن لديهم في البداية أوثان ولا معابد لها، بل كانوا يقيمون طقوسهم في الهواء الطلق، ويعبدون الآلهة التي كانت رمزاً للكواكب والنجوم في السماء، ثم اقبلوا في الأدوار اللاحقة على عبادة عدد لا حصر له من الأصنام والأوثان، وأقاموا لها هياكل عظيمة ومختلفة، وأضافوا إلى آلهتم آلهةً أُخرى مثل إلٰهة الأرض، وإلٰهة ثعبان الكوبرا، وإلٰهة الأم.

إنّ الآلهة الثلاثة للهندوس (Hindu Trimutrti) عبارة عن :

---

١ ـ الميزان ١٠ / ٣٠١ـ٣٠٢.

١ ـ برهما (Brahman)، ربّ الخلق.

٢ ـ شيفا (Siva)، ربّ الفناء والدمار، وقد انتشرت تماثيله ذات الأيدي الأربع في حالة الرقص، ويدل رقص شيفا على دوره الهام في الدمار والفناء.

٣ ـ فشنو (Vishnu)، ربّ الحفظ، والتجليات العشر لهذا الإله على طول التاريخ عبارة عن: السمك، السلحفاة، الخنزير الوحشي، موجود على هيئة نصف إنسان ونصف أسد، القزم، راما (Rama) وبيده طبر، راما، كريشنا (Krishna)، بوذا (Buddha)، وكلكي (Kalki)[1].

وقد تشعبّت الهندوسية إلى فرق لا حصرلها، و هي تعيش مع بعضها البعض في صلح وصفاء، ويؤكد أتباع هذه الفرق على زوايا خاصة من الدين، وأقبلت كل فرقة على عبادة إله من الآلهة الثلاثة، ويشكّل أتباع شيفا وفشنو نسبة عالية منهم. يذكر أن عبدة شيفا يعبدون عورته أيضاً ويطلقون عليها اسم لينغا (Linga)، وتنتشر تماثيل لينغا ومعابده بصورة كبيرة أيضاً.

ويبرز معبد سومنات (Somanatha) من بين (١٢) معبداً كبيراً وضخماً، شُيّدت افتخاراً للينغا، حيث اكتنزت فيه ثروة خيالية هائلة، وكانت له (١٤) قبة من الذهب ممّا أثار طمع السلطان محمود الغزنوي، الأمر الذي دفع به عام (٤١٦ هـ) إلى مهاجمته والاستيلاء على الثروات المكتنزة فيه.

وقد برر الهندوس حملات السلطان محمود السابقة على معابدهم الأخرى بغضب صنم معبد سومنات على أصنام بقية المعابد.

وعلى أية حال، فقد جهز السلطان محمود الغزنوي جيشاً جراراً بذريعة تحطيم ومحو أصنام معبد سومنات، وبعد أن قتل خلقاً كثيراً من الهندوس، أهوى بمقمعته[2] الثقيلة

---

١ ـ وهو الموعود به في آخر الزمان لإصلاح العالم، يظهر على فرس أبيض شاهراً سيفه.

٢ ـ المقمعة: عصا من خشب أو حديد في رأسها شيء كالكرة.

على رأس تمثال لينغا فحطمه، ونقل منه قطعة إلى غزنة، وجعلها إلى جانب المسجد الجامع ليشاهدها الملأ إظهاراً لفتحه، كما بعث بقطعات أُخرى إلى مكة المعظمة وبغداد وسائر البلاد الإسلامية(١).

وثمّة فرقة من عَبَدة شيفا ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي، أطلق على أفرادها لينغاوات، وتعني حاملي اللينغا، لأنهم يجعلون في أعناقهم قلائد فيها أصنام لينغا، وقد نُسبت إلى بعض هذه الفرق أشياء غريبة، كذبح الانسان، وتناول الشراب في جماجم الأموات.

وقد ذهب بعض فرق شكتي (Sakti) ـ وتعني القوة ـ إلى حلول القوة الإلٰهية في الجنس اللطيف ، ولهذا السبب فإن في معابد شكتي نساء شابات يزاولن الرقص. وتعتقد بعض هذه الفرق أن الرقص الذي يُمارس بطريقة وحشية، مصحوباً بالأنغام المزعجة والحركات التي تصدر بنحو جنونيّ، كلها أساليب لازمة لتكامل الروح.

٨ ـ ١. نظرية التناسخ وتصور كارما

طبقاً لقانون كارما (Karman) ـ الذي يعني العمل ـ فإن الإنسان سيرىٰ نتيجة عمله في أدوار الرجوع إلى الدنيا مجدداً، فمن يعمل خيراً، فإنه يحظى بعد رجوعه إلى الدنيا بحياة طيبة سعيدة، ومن يعمل شراً، فإنه يحيا بعد رجوعه في تعاسة وشقاء، وقد يتجلّى بهيئة حيوان . وحسب نظرية التناسخ، فإنّ رجوع الإنسان يمكن أن يتزامن مع إحدى الصور الأربع، التي سنذكرها تباعاً :

١ ـ الرسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في الجمادات.

٢ ـ الفسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في النباتات.

٣ ـ المسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في الحيوانات.

---

١ ـ تعرض معبد سومنات للدمار مرات عديدة، ويرجع بناؤه القائم الآن إلى عام (١٩٥١ م).

٤ ـ النسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في الإنسان (التناسخ).

وتتجلّى سمسارا (Samsara) وتعني التناسخ في الأديان والمذاهب (حتى عند بعض الفرق الإسلامية المنحرفة) بصور وعناوين مختلفة، ولكن هذه العقيدة اكتسبت أهمية خاصة في دين الهندوس ، ويعتقد الهندوس أن الإنسان في معرض دوامة التناسخ ، ومكابدة نتائج الولادات المكررة في هذا العالم المليء بالمشقة والمحن.

والمنقذ الوحيد للانسان من دوامة التناسخ والولادات المكررة في هذا العالم ، هو اللحوق بنيرفانا (Nirvana) وتعني هذه الكلمة لغةً الخمود والهدوء، واصطلاحاً الفناء في الله، وقد حازت النيرفانا على اهتمام واسع من قبل البوذيين.

٩ ـ ١ . فلسفة وحدة الوجود

يعتقد حكماء وعلماء الهندوس أن هذه الأعداد الهائلة من الآلهة، إنما هي مظاهر لإلٰه واحد عظيم، وأن الموجودات قاطبة تشكل أجزاء هذا الإلٰه العظيم. وهذا العالم بجميع ما فيه، ليس في الواقع إلّا خيالاً، ويطلق على هذا الخيال اسم مايا (Maya) أي الوهم والخداع، وحسب تصوراتهم فإن جميع هذه الصور الوهمية سوف تفنىٰ ويبقى برهما حقيقة ثابتة لا تزول.

وقد سحر العرفان الهندوسي الغرب في القرون الأخيرة، كما أن العرفان الاسلامي أثار انتباه الغرب إلى الاسلام.

إنّ قوانين الأخلاق والتصوف للدين الهندوسي كانت ـ ومنذ قرون غابرة ـ موضعاً للاهتمام ، وقد ترك التفكير الهندوسي بصمات واضحة على أهل التصوف في المسيحية والإسلام.

وتتلخّص أصول الايمان الهندوسي في أربعة أشياء:

١ ـ الوهية الروح.

٢ ـ وحدة الموجودات.

٣ ـ وحدة الألوهية.

٤ ـ وحدة المذاهب والأديان.

إنّ الدين الهندوسي دين منفتح على بقية الأديان، لذا فإنه يتيسّر للهندوس أن يعتنقوا أدياناً أخرى إضافة إلى دينهم، وعلى الرغم من ذلك فإن التعصب المقيت نجده شائعاً عند الهندوس، ويكفي أن نذكر أن غاندي وبسبب اعتقاده بضرورة مساواة الهندوس مع المسلمين، قد أضمر له جماعة من الهندوس العداء، الأمر الذي حدا بأحد أعضاء هذه الجماعة إلى أن يطلق النار عليه ويرديه قتيلاً.

إنّ التعصب القومي الهندوسي وصل ذروته في العقود الأخيرة، وأحد مظاهر هذا التعصب الأعمىٰ المقيت، هو تخريب مسجد بابريالذي راحت ضحيّته العشرات من المسلمين والهندوس. وكانت ذريعتهم في هذا العمل التخريبي هي أن مكان مسجد بابري كان مهد الإله راما، فهم يدّعون أنّ فشنو (إحد الآلهة الثلاثة) قد تجلّى بصورة صنم راما، وأنه تمّ بناء معبد له في ذلك المكان الذي تحول فيما بعد الى مسجد، وبهذه الذريعة راحوا ينصبون الأصنام على أطلال هذا المسجد ويعبدونها ريثما تحين الفرصة المناسبة لبناء معبدهم.

١٠ ـ ١. فلسفة اليوغا

يعتقد الهندوس أن الوصول إلى الحقيقة أو الاتحاد بالإلٰه القادر يتم عبر طريقة اليوغا (Yoga)، وتعني وضع القيود، وهي رياضة صعبة وصارمة، يجلس فيها المرتاض جلسة القرفصاء، ويستغرق في السكون والتأمل طويلاً. وثمّة أساليب أخرى متداولة مثل الوقوف منكوساً، الانحناء وتعليق اليدين، الجلوس على سرير مشحون بالمسامير. هذه

الأعمال قد تستمر لعقود كثيرة ، يرافقها أُمور صعبة للغاية، منها وضع الماء أمامه، والبقاء في حالة الظمأ[١].

وعلى الرغم من أن الهدف من هذه الرياضة، هو الوصول إلى الحقيقة، إلّا أنه تظهر أحياناً للقائم بها كرامات، ويعتقد اليوغي (Yogin) أنّ هذه الأُمور تحول دون وصوله للكمال، ويتفق كثيراً أن تظهر منه أعمال خارقة للعادة دون أن يلتفت اليها بل لا يعير لها أهميّة.

ومن أمثلة ذلك سكون الدم في العروق على اثر التمرينات الشاقة، الأمر الذي يؤدّي إلى انخفاض عملية التنفس، حيث يكتفي اليوغي بعدّة شهقات طيلة السنة. ويتمّ أيضاً عبر اليوغا التحكم بالنبض وسائر الأعمال الحياتية للبدن. في جميع هذه الحالات يختار الجسم أساليب أخرى جديدة ، ويظلّ حياً، وقد يتفق أن يُدفن اليوغي حياً لمدّة ستة أشهر، ثمّ يُنبش قبره ويُخرج منه، فتعود إليه الحياة بمجرد أن يأخذ شهيقاً واحداً، كما توفّرت لبعضهم قابليات أُخرى مثل التخلّص من الجاذبية الأرضية، أو إيقاف قطار متحرك، أو قابلية غلي الماء بإلقاء نظرة واحدة عليه، وغير ذلك[٢].

وقد قام علماء الغرب بإخضاع أصحاب اليوغا لتجارب علمية متنوعة ، أثبتوا خلالها واقعية بعض الحالات التي تطرأ عليهم، وفي هذا الإطار تشكّلت هيئة علمية برئاسة الدكتور بروس (Brosse) ، قامت بإجراء تحقيقات وتجارب عليهم ، ونشرت ما انتهت إليه من نتائج [٣].

---

١ ـ جاءت آداب وشرائط اليوغا في كتاب بتانجالي (Patanjali) ، ونقله إلى العربية العالم الاسلامي الكبير أبو ريحان البيروني.

٢ ـ جدير بالذكر أن أمثال هذه الأُمور، هي في الواقع شائعات لا أساس لها من الصحة، وقصص خيالية حيكت حولهم تفوق الواقع كثيراً.

٣ ـ مجلة Presse Medicale، العدد ٨٣، ١٤اكتوبر ١٩٣٦ .

٢ ـ الديانة الجينية

تبدو الهندوسية كشجرة قديمة نشرت أغصانها على أرض واسعة، بعض هذه الأغصان خالف البراهمة الذين كانوا في أوج نفوذهم، و أبدى اعتراضاً على القيود الصعبة المفروضة من قبلهم. ومن جملة تلك الأغصان الهندية، الطائفة الجينية (Jaina) ـ وتعني المنتصر ـ التي شُيّدت أركانها في القرن الخامس قبل الميلاد.

١ ـ ٢. سيرة مهاويرا

يعتقد الجينيون أنّ مهاويرا (Maha-Vira) ـ ويعني البطل العظيم ـ هو مؤسس الديانة الجينية ، و هو الزعيم الرابع والعشرون، وقد سبقه (٢٣) زعيماً ظهروا قبل آلاف السنين.

ولد مهاويرا في القرن السادس قبل الميلاد في أسرة هندية عُرفت بالثراء ونبذ الحياة الدنيوية، ووصل بعد رياضات شاقّة إلى الحقيقة ، وهو في الثلاثين من عمره، والتحق بالنيرفانا عام (٥٢٦ ق . م) بعد أن نشر ديانته.

٢ ـ ٢. الفلسفة والأخلاق

إنّ من أغرب سنن الجينيين ، هي حرمة ارتداء الملابس ، حيث يعتقدون أنّ مهاويرا كان في حالة مزاولة الرياضة الشاقة ونبذ المتع الدنيوية.

ولما رأى أنّ الحياء يشعره بالإثم، خلع جميع ثيابه ، وبقي عارياً طيلة عمره. وقد نشب خلاف بين أتباع هذه الديانة في حدود سنة (٧٩ ق . م) حول حدود هذا العراء، وانقسموا إلى طائفتين:

الأولى تسمّىٰ ديجامبرا (Digambra) وتعني أصحاب الزيّ السماوي، أي الذين اتخذوا السماء كساءً لهم (والمقصود بهم العراة).

والثانية تسمّىٰ سفيتامبرا (Svetambara) أي أصحاب الزيّ الأبيض، وهم الذين تأثر بهم غاندي زعيم الهند الذي خلع ثيابه في شبابه، واكتفى بالزيّ الأبيض.

وقد تكهن ويل ديورانت بانتحار غاندي نتيجة تأثّره بالأفكار الجينية (وذلك عند التطرق إلى الديانة الجينية في المجلد الأوّل من كتابه قصة الحضارة)، وكان غاندي على قيد الحياة، إلّا أنه خرّ صريعاً برصاص هندوسي متطرف، ولم تتح الفرصة لإثبات صحة أو سقم تنبّؤ هذا المؤرّخ الكبير.

وتعتبر الذلة والهوان من الفضائل في الديانة الجينية، وتعتقد طائفة الديجامبرا أنه لا سبيل أمام النساء إلىٰ الكمال، بل يجب عليهنّ الانتظار، والتحول إلىٰ رجال في أدوار التناسخ اللاحقة.

٣ ـ ٢. أهيمسا

طرحت الديانة الجينية ـ إضافة إلىٰ قبولها للمعارف الهندوسية ـ أفكاراً جديدة. وأصرّت على تحكيم قواعد أخلاقية صارمة.

وحسب معتقدات هذه الديانة، فإن النجاة تكون رهن أصلين:

أحدهما: تحمل الرياضات الشاقة، وثانيهما: أهيمسا، وهي التحرز عن إلحاق الأذى بالحيوانات، بل حتى النباتات والجمادات، وعلى هذا الأساس أعتبر حرث الارض وتهيئتها للزراعة أمراً محرماً، على الرغم من جواز تناول الفواكه، كما حرمت المحصولات التي تتعلّق الاستفادة منها بحفر الأرض مثل البطاطا والبنجر والجزر واللفت.

وقد شيّد أتباع هذه الديانة مستشفيات ضخمة لمعالجة الحيوانات الأهلية والوحشية، و اعتادوا على وضع كمامات على أفواههم لئلا تدخل فيها الحشرات وتهلك، ولنفس السبب يلجأون إلىٰ تصفية الماء قبل شربه للحيلولة دون القضاء على الديدان المتواجدة فيه، كما أنهم يستخدمون مكنسة من ريش الطاووس لإبعاد الحشرات عن الطرق التي يسلكونها، كما يعتبر الانتحار عن طريق ترك الطعام والشراب فضيلة ليس فوقها فضيلة، و بهذا الاسلوب قضى مهاويرا نحبه.

٤ ـ ٢. الكتب الدينية

ولهذه الديانة كتب دينية مدوّنة، يبلغ عددها (٣٩) كتاباً، ومن جملة تراثها في مسألة معرفة حقيقة الوجود، هي قصة الفيل في الظلام الدامس، حيث أراد الناس معرفة هيئة الفيل من خلال لمسه، وقد ابتعد الجميع عن جادة الصواب في تصوره، دون أن يحالفهم النجاح في معرفة هيئته[١].

٥ ـ ٢. الأتباع

يبلغ عدد أتباع هذه الديانة في الوقت الحاضر ما يقرب من مليوني نسمة، ويقطن معظمهم في الهند، واضطروا ـ مواكبة للعصر ـ إلىٰ ارتداء ملابس كاملة، وامتهنوا التجارة بدل التسكع، وأقدموا على سلسلة اصلاحات في ديانتهم، واقتصرت مراسمهم العجيبة والغريبة على النسّاك والرهبان.

٣ـ البوذية:

تعتبر الديانة البوذية إحدى فروع الديانة الهندوسية، إلّا أنها تجاوزت حدود الهند، و زحفت نحو الشرق الأقصى، واستطاعت أن تجذب أتباعاً كثيرين بما تضمّنته من أفكار عرفانية سامية، وأخيراً اتسع نطاقها لتشمل أمريكا و أوروبّا.

١ ـ ٣. سيرة بوذا

بوذا (Buddha) ويعني الملهم، المشرَق عليه، هولقب غوتاما ساكياموني (Gautama Sakya - muni) مؤسس الديانة البوذية الاصلاحية، وحسب معتقدات البوذية، فإن بوذا هو ابن ملك مدينة كبيلا فاستو (Kapila-Vastu) الواقعة في شمال الهند.

---

١ ـ نقلت هذه القصة في كتاب المثنوي، الدفتر الثالث، رقم الأبيات ١٢٥٩ – ١٢٦٨.

ولد عام ٥٦٣ ق.م. وأطلق عليه في البداية اسم سيذارتا (Siddhartha)، ويعني «الّذى حقّق غايته»، وقد تنبّأ المنجّمون بأنه حين يشاهد آلام المرضى وهرم الشيخوخة وصور الموت والفناء، ويلتقي بأحد المرتاضين، فإنه سيعزف عن الدنيا ويُقبل على الرياضة، ولهذا السبب حاول أبوه إبعاده عنها من خلال توفير حياة رغيدة ونعمة مقيمة له، وسارع أبوه فزوّجه، وهو في مطلع شبابه ببنت عمه ياسودهرا (Yasodhara)، ولم يطل الوقت حتى رزق ابناً سمي راهولا (Rahula)، وفي سن (٢٩) من عمره وبعد أن شاهد الأمور السالفة الذكر، تسلل ليلاً من القصر والنعمة التي كان فيها، وانخرط في سلك الرهبان، بارشاد من آلارا (Alara)، وبعد ست سنوات من الرياضة الشاقّة والصارمة في الغابة، خاب أمله في الوصول إلىٰ الحقيقة عن طريقها، فتخلّى عنها، وأخذ بالتأمل والتفكر والمراقبة الروحية، واستغرق جهاده الأكبر هذا ست سنوات أُخرىٰ، ومن ثمّ أمضى ما يقرب من سبعة أسابيع في صراع عنيف مع مارا (Mara) ـ أي الشيطان ـ تحت شجرة عرفت فيما بعد بشجرة اليقظة، وفي النهاية رصد الحقيقة، وتنورت بصيرته، وصار بوذا عصره.

وحسب معتقدات البوذيين، فقد ظهر على مسرح التاريخ في العصور الغابرة عدّة بوذاوات، أطلق على كل واحدٍ منها قبل ظهوره بوذي ستف (Bodhi-Sattva) وتعني من تيسّرت له المعرفة الكاملة، أو بوذا بالقوة.

وجاب بوذا البلاد لمدة (٤٠) سنة في سبيل نشر دعوته، والتفت حوله مجموعة من الشباب علّمهم مبادئه ولقّنهم دعوته، وكان من أبرزهم ابن عمه آننده (Ananda).

وأخيرا التحق بالنيرفانا عام ٤٨٣ ق.م. و هو في سنّ الثمانين.

إنَّ قصة حياة بوذا العجيبة امتازت بالجاذبية منذ أزمان سحيقة، ولهذا فإنها ترجمت إلىٰ مختلف لغات العالم، وقد ترجمت إلىٰ اللغة العربية مع اضافات من الثقافة السريانية،

واشتهرت بين المسلمين باسم قصة بلوهر و يوذاسف.[١]

٢ ـ ٣. تأسيس النظام

إنّ الافكار الاصلاحية التي نادى بها بوذا ـ والتي تناهض تطرف البراهمة وتلغي الاختلاف الطبقي ـ تعدّ أساس المبادىء الأخلاقية التي تضمّنتها مجموعة تعرف باسم **تري بيتكا** (Tri-Pitaka) وتعني السِّلال الثلاث، وتعتمد هذه المبادىء إلىٰ حدّ بعيد على أصول الديانة الهندوسية من الاعراض عن الدنيا، وتهذيب النفس، والتأمل، والمراقبة، والحثّ على التخلص من دوامة هذه الحياة الدنيا الشاقة، والالتحاق بالنيرفانا، إلّا أنها توسعت في مفاهيمها.

إنّ ديانة بوذا سادت معظم أرجاء الهند في القرون اللاحقة، ثمّ أخذت بالانتشار في الدول المجاورة، وظهر في القرن الثامن والتاسع عالمان هندوسيان قاما بإصلاح الديانة الهندوسية، الأمر الذي أدّى إلىٰ اختفاء الديانة البوذية من الهند شيئاً فشيئاً، وحلت محلها الديانة الهندوسية، إلّا أنّ البوذية أخذت بالانتشار في الشرق الأقصى وبأشكال مختلفة.

٣ ـ ٣. فلسفة بوذا

لمّا وصل بوذا إلىٰ الحقيقة كما يُدْعىٰ، انطلق إلىٰ مدينة بنارس للعثور على الرهبان الخمسة الذين أعرضوا عنه، وكان يعتقد أنهم يبحثون مثله عن الحقيقة، الأمر الذي يتيح له تلقينهم مبادئه، وما أن وطأت قدماه أرض بنارس حتى التقى بهم، ودارت بينهم المحاورة التالية:

---

١ ـ انظر: إكمال الدين للشيخ الصدوق : ٢/٥٧٧ ـ ٦٣٨ ؛ بحارالأنوار للعلامةالمجلسي: ٧٨ / ٣٨٣ - ٤٤٤، ووردت ترجمة القصة باللغة الفارسية في رسالة مستقلة، ضمن كتاب «عين الحياة» للمجلسي، كما ترجمت إلىٰ اللغة العربية مع تغيير أسماء أبطالها من الارا وبوذي ستف إلىٰ بلوهر ويوذاسف.

قال أحدهم للآخر: هذا سيذارتا يقدم علينا، فمن الأفضل أن ندعه وشأنه، لأنه تخلّى عن الرهبنة.

ولكن لمّا اقترب منهم بادروه بالسلام، وطلبوا منه الجلوس إلىٰ جانبهم، وقالوا له: هل استنارت عيناك بالحقيقة أخيراً؟

بوذا: نعم

الرهبان: ما هو سرّ الوجود وحقيقته؟

بوذا: هل تعتقدون بالكارما (قانون جزاء الأعمال)؟

الرهبان: نعم

بوذا: فاعلموا أنه بداية الحكمة ومعرفة الحقيقة. الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر، هذا هو القانون الأول للحياة، وكل ما سواه قائم به.

الرهبان: لم تأت بجديد.

بوذا: لو كانت الحقيقة هذه، فالتضرع والدعاء والقربان للربِّ لا يجدي نفعاً.

الرهبان: وكيف؟

بوذا: إن الماء ينحدر نحو الأسفل دائماً، والنار حارة أبداً، والثلج بارد دائماً، فلو تضرعتم بين يدي آلهة الهندوس جميعها، لما أثر ذلك في تغير مجرى الماء نحو الاعلى، وفي جعل النار باردة والثلج حاراً. فقوانين هذه الظواهر لا تبطل، والتضرع والدعاء أمام الآلهة لا يجديان في إبطالها.

فبهتوا، وأبدوا موافقة لهذا الكلام، فاسترسل بوذا قائلاً: إذا كان ما نطقت به حقاً، فإن كتاب الفيدات الذي يرسم أسلوب الدعاء والتضرع والقربان بعيد عن الصواب، وأُعلن – وخلافاً لزعماء الدين – أن الفيدات ليست مقدسة.

تعجب الرهبان لهذه الجرأة، وساورتهم الحيرة، وراحوا يسألون بوذا: هل تريد من

ذلك القول أنّ برهما حينما خلق العالم لم يصنف الناس إلىٰ طبقات اجتماعية مختلفة؟

بوذا: لا اعتقد بالمرة أن برهما خلق شيئاً كي يكون العالم من صنعه.

الرهبان: فمن هو صانع العالم؟

بوذا: اعتقد أنّ العالم أزلي مستمر، ليس له مبدأ ولا نهاية. أيها الرهبان: هناك حدان متناقضان، يجب أن يبتعد عنهما الذين تخلوا عن الحياة الدنيا. الاول: الانسياق في الملذات، وهذا أمر سافل وعقيم، والثاني: هو طريق التقشف وإماتة الجسد، وهذا أمر مؤلم وعقيم أيضاً.

٤ ـ ٣. الأخلاق

وأخيراً سأل الرهبان بوذا: فأيهما الصواب؟

بوذا: وجدت بعد تفكير طويل طريقاً وسطاً يفتح العيون ويحفّز العقول، ويقود إلىٰ الراحة والمعرفة والاشراق والنيرفانا. إنه طريق طويل ذوثمانية مسالك، وهي:

١ ـ **الاعتقاد الصحيح**، ويعني الاعتقاد بأن الصدق يقود الانسان نحو الفلاح.

٢ ـ **العزم الصحيح**، ويعني التحلّي بطبيعة هادئة، تمنعه من إلحاق الأذى بالحشرات والحيوانات.

٣ ـ **القول الصحيح**، بالابتعاد عن الكذب والتفوه بالكلام البذيء.

٤ ـ **العمل الصحيح**، بالاحتراز عن السرقة وتلطيخ الأيدي بدماء الآخرين.

٥ ـ **العيش الصحيح**، بتجنّب ارتكاب الأفعال القبيحة، كأكل الربا، والاكتساب بمال السرقة.

٦ ـ **الجهد الصحيح**، بالسعي إلىٰ الخير، والهرب من الشر.

٧ ـ **الفكر الصحيح**، ويعني غلبة الهدوء، وعدم إفساح المجال للفرح والحزن بأن

يأخذا طريقهما إلىٰ الفكر.

٨ ـ **التأمل الصحيح**، وهو ثمرة الخضوع للمسالك السبعة، وعندها سينال الهدوء الواقعي.

وهناك قيود تسعة، تحدث عنها بوذا، وهي:

١ ـ الاجتناب عن أذى الدوابّ.

٢ ـ الاجتناب عن السرقة.

٣ ـ الاجتناب عن الخيانة.

٤ ـ الاجتناب عن الكذب.

٥ ـ الاجتناب عن المسكرات.

٦ ـ الاجتناب عن الغرور.

٧ ـ الاجتناب عن التفوه بالكلام البذيء.

٨ ـ الاجتناب عن الجهل.

٩ ـ الاجتناب عن العداء.

٥ ـ ٣. الفرق البوذية

انقسمت الديانة البوذية إلىٰ ثلاث فرق:

١ ـ **المهايانا** (Mahà-Yàna) وتعني العجلة الكبيرة. وتنتشر هذه الفرقة في الصين. حيث اصطبغت الديانة البوذية بسنن ومعتقدات كونفوشيوس وتاوسيم في الصين، والشنتو في اليابان. ومن طقوسها التي حازت على شهرة عالمية (الدهيانة) وتعني بالسانسكريتية التأمل، وتسمّى في الصين جانغ (Chang)، وفي اليابان زين (Zen).

٢ ـ الهينايانا (Hina-Yana) وتعني العجلة الصغيرة، وتنتشر هذه الفرقة في سريلانكا (سيلان سابقاً) ودول جنوب شرق آسيا.

ويطلق أتباع العجلة الصغيرة على ديانتهم اسم ثيرفاده (Theravada)، وتعني ديانة السلف والعظماء، وقد دوّنت كتبهم باللغة الباليّة، وهي لغة هندية قديمة.

٣ ـ الفيجريانا (Vajra-Yana) وتعني عجلة الألماس، وتنتشر هذه الفرقة في التبت، حيث اختلطت الديانة البوذية هناك بالسحر والكهانة والطوطم، وأوجدت لها مؤسسات دينية مقتدرة. ويطلق على الديانة المذكورة أيضاً اسم **اللامائية** (Lamaism)، ويعرف زعيمها الديني بـ«**الدالاي لاما**» (Dalai Lama).

يذكر أنه حينما يتوفىٰ زعيم هذه الفرقة، يعكف الرهبان على البحث والتفتيش عن طفل يكون قد ولد متزامناً مع وفاة الدلاي لاما ليحل محله، ثم يربى هذا الطفل تربية خاصة، وبعد أن يطوي مراحل تعليمية مختلفة، يرتقي منصَّة الزعامة الدينية.

وقد اضطُرّ الدلاي لاما في هذا العصر إلىٰ مغادرة التبت بعد زحف الشيوعيين إليها من الصين، والاستقرار في الهند، والمواظبة فيها على العبادة والإرشاد.

وعيّن أخيراً ـ وخلافاً للسنة الرائجة ـ طفلاً يخلفه في منصبه، مما أثار حفيظة العديد من الرهبان والكهنة.

٦ ـ ٣. الكتب البوذية المقدسة

ويعدّ ثري بيتكا ـ وتعني السلال الثلاث ـ من أقدم الكتب المقدسة عند البوذيين، ويشتمل على ثلاثة أقسام:

١ ـ قواعد الرهبنة.

٢ ـ منهج الفلاح والصلاح.

٣ ـ المفاهيم الفلسفية والنفسية.

وثمّة كتب مقدسة تختص بفرق بوذية مختلفة.

٤ ـ ديانة السيخ

تشعبت الديانة الهندوسية إلى فروع أخرى، أشهرها ديانة السيخ (Sikh) وتعني التلميذ.

لقد أدّى التقاء الإسلام بالهندوسية في الهند عبر عصور مختلفة إلى ايجاد مذاهب مزدوجة. وفي هذا الاطار قام أحد عرفاء المسلمين الكبار، ويدعى كبير (١٤٤٠ – ١٥١٨ م) بإضفاء صبغة التوحيد الإسلامي على بعض العقائد الهندوسية، والتف حوله جمع غفير من الموالين والتلاميذ وأسس أحد هؤلاءالتلامذة ويدعى نانك (Nanak) ديانة السيخ، وهو أوّل غورو (guru) – وتعني المعلم – تولى زعامة الطائفة السيخية، ثم أعقبه خلفاؤه التسعة. وازداد نفوذ هذه الطائفة شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت كياناً سياسياً وديناً مقتدراً.[١]

امتهن السيخ حرفة التجارة، وانتشروا في كافة أرجاء العالم مزاولين حرفتهم.

١ ـ ٤. سيرة نانك (مؤسس الديانة السيخية)

هو الغورو نانك ولد عام (١٤٦٩ م) لأسرة تنتمي إلى طبقة الاكشتريا، وتقطن إحدى قرى لاهور. تتلمذ على عرفاء مسلمين وهندوس، و زار الدول الاسلامية، وقصد مكة للحج. وانتهى به المطاف إلى تأسيس الديانة السيخية، وبنى تعاليمه على أساس أقوال وتعاليم الأولياء والصوفيين من المسلمين والهندوس. توفي عام (١٥٣٩م).

وقام بعد الغورو نانك تسعة أشخاص تعاقبوا على تولي زعامة الطائفة، وأطلق على

---

١ ـ تأثر الامبراطور أكبر، وهو أعظم أباطرة المغول في الهند بهذه الديانة عام (١٠٠٠ هـ)، وابتكر ديناً جديداً سمّاه الدين الأكبري، سعى فيه إلى تحقيق الصلح والوئام بين الطوائف والأديان.

كل واحد منهم لقب الغورو، وإليك قائمة بأسمائهم وتاريخ ولاداتهم ووفياتهم:

١ ـ الغورو نانك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩ م).

٢ ـ الغورو أنجد (١٥٠٤ ـ ١٥٥٢ م).

٣ ـ الغورو عمار داس (١٤٧٩ ـ ١٥٧٤ م).

٤ ـ الغورو رام داس (١٥٣٤ ـ ١٥٨١ م).

٥ ـ الغورو أرجان (١٥٦٣ ـ ١٦٠٦ م).

٦ ـ الغورو هارغوبند (١٥٩٥ ـ ١٦٤٤ م).

٧ ـ الغورو هار راي (١٦٣٠ ـ ١٦٦١ م).

٨ ـ الغورو هاكريشان (١٦٥٦ ـ ١٦٦٨ م).

٩ ـ الغورو تاج بهادر (١٦٢١ ـ ١٦٧٥ م).

١٠ ـ الغورو غوبند سنغ (١٦٦٦ ـ ١٧٠٨ م).

٢ ـ ٤. التعاليم

أطلق نانك اسم (الحقّ) على اللّٰه تعالى، وكان يقول: إنَّ اللّٰه مهما أطلق عليه من اسم فهو الحق القادر المتعال فقط، وإنّ السعادة والوصول إلى النيرفانا تكمنان في الاستغراق في ذكر الحق، وآمن بالمايا أو الوجود الوهمي للعالم، الذي ورد ذكره في الديانة الهندوسية، كما آمن بدوامة التناسخ والكارما (قانون جزاء الأعمال)، وأباح لاتباعه أكل اللحوم، وألغى الفوارق الطبقية.

٣ ـ ٤. الآثار المذهبية

شيّد الغورو أرجان (خامس زعماء الطائفة) معبداً وهيكلاً ضخماً مطلياً بالذهب في مدينة أمريتسار (Amritsar) بالهند، وألّف كتاب «غرانت صاحب – Granth-Sahib» الذي يعدّ من أهمّ الكتب المقدسة عند السيخ.

٤ ـ ٤. التاريخ السياسي للسِّيخ

راجت بين السيخ على عهد الغورو غوبند سنغ (عاشر زعماء الطائفة) مسألة البيعة في القضايا السياسية، وأخذت هذه الطائفة تسلك طريق العنف، بعد أن كانت سلمية في البداية، ومنذ ذلك الوقت أطلقت على نفسها اسم **الخالصة**، أي العارية عن التكلف، و رفعت شعارات خمسة، تبدأ كلها بحرف الكاف باللغة البنجابية:

١ ـ الكيسا: إرسال شعر الرأس واللَحىٰ.

٢ ـ الكانكا: حيازة المشط.

٣ ـ الكاشا: ارتداء سروال قصير لا يتجاوز الركبة.

٤ ـ كارا: لبس سوار من الفولاذ.

٥ ـ كيَرْپان: حمل سيف أو خنجر من الفولاذ.

وقد شهد عهد الغورو العاشر وقوع صراع عنيف مع المغول، قتل فيه عدد كبير من أتباعه، بينهم أبناؤه الأربعة، وطرد من البنجاب، وكان قد أعلن انتهاء تعاقب المرشدين (الغورو) في السيخ بعده.

ويرتبط السيخ فيما بينهم بعلاقات وثيقة، ويناضلون من أجل الانفصال عن الهند، وتأسيس دولة مستقلة، وما اغتيال السيدة غاندي إلّا حلقة من سلسلة نشاطاتهم السياسية، ولهم تبليغات مذهبية، وكتب في هذا المضمار ترجمت إلى مختلف اللغات.

الخلاصة:

م ـ الهندوسية: هي دين متطور ومجموعة من التقاليد والأوضاع الاجتماعية والثقافية مقرونة بتهذيب النفس وترويضها، وكان يطلق على دين الهندوس قديماً اسم البرهمية نسبة إلىٰ براهما إله الهندوس. وتعتبر الهندوسية شكلاً متكاملاً للأرواحية، ومن هنا لم يعرف لها مؤسس يمكن الرجوع إليه.

و تتلخص أصولها الاعتقاد بالكتب والطقوس الدينية للبراهمة، عبادة الآلهة، والاعتقاد بالتناسخ و رعاية مقررات الطبقات الاجتماعية في المعيشة والزواج واحترام الموجودات الحية.

ب ـ الجينية: شيّدت اركان الديانة الجينية في القرن الخامس قبل الميلاد من قبل مهاويرا.

ومن أغرب سنن الجينيين هي حرمة ارتداء الملابس.

وحول حدود هذا العراء انقسموا إلىٰ ديجامبرا وسفيتامبرا.

جـ ـ البوذية: مؤسس الديانة البوذية هو بوذا ولد عام ٥٦٣ ق.م وتوفي عام ٤٨٣ ق.م.

إنّ المباديء التي نادى بها بوذا تعتمد إلىٰ حد كبير على اصول الديانة الهندوسية من الاعراض عن الدنيا وتهذيب النفس والتأمل والمراقبة والحث على التخلص من دوامة هذه الحياة الدنيا الشاقة والالتحاق بالنيرفانا.

و يُعدّ (ثري بيتكا) من أقدم الكتب المقدسة عند البوذيين ويشتمل على قواعد الرهبنة ـ منهج الصلاح ـ المفاهيم النفسية والفلسفية.

د ـ السيخية: مؤسس الديانة السيخية هو نانك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩ م) ولقب بـ «الغورو نانك» وأعقبه تسع خلفاء تولوا زعامة الطائفة.

أطلق نانك على الله تعالى اسم الحق، وان السعادة والوصول إلىٰ النيرفانا تكمنان في الاستغراق في ذكر الحق، وآمن بالمايا والتناسخ والكارما.

تمارين

١ ـ ما هي أصول الديانة الهندوسية؟

٢ ـ اذكر أسماء آلهة الفيدا؟

٣ ـ ما هو التناسخ و ما هي أقسامه؟

٤ ـ ما هي الديانة الجينية ومن هو مؤسسها؟

٥ ـ ما هي أصول الديانة البوذية؟

٦ ـ اذكر أهم الكتب المقدسة عند البوذيين؟

٧ ـ ما هي الديانة السيخية ومن هو مؤسسها؟

٨ ـ ما هي أصول الديانة السيخية؟

مصادر البحث

١ ـ الدنبرغ، هرمان، «**فروغ خاور**» (بالفارسية)، ترجمة بدر الدين الكتابي، طهران، منشورات اقبال، ١٣٧٣.

٢ ـ بتاس، داسفو، «**تاريخ الفلسفة الهندية**»، لندن، كمبردج، ١٩٢٢.

٣ ـ توماس، ا.، «**حياة بوذا: الاسطورة والتاريخ**»، لندن، ١٩٤٩.

٤ ـ زاهنر، ر.، «**الهندوسية**»، لندن، اكسفورد، ١٩٦٢.

٥ ـ شلبي، أحمد، «**مقارنة الأديان**» القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦ .

٦ ـ غرانت صاحب

٧ ـ الفيدات

٨ ـ كونز، ادوارد، «**البوذية جوهرها وتطورها**»، اكسفورد، ١٩٥١.

٩ ـ نوس، جون، «**تاريخ جامع اديان**» (بالفارسية)، ترجمة علي أصغر حكمت، طهران، منشورات الثورة الاسلامية، ١٣٧٠.

١٠ ـ هولم، ج، «**دراسة الأديان**»، لندن ، ١٩٩٧ .

١١ ـ هيوم، روبرت، «**اديان زنده جهان** » (بالفارسية)، ترجمة عبد الرحيم كواهي، طهران، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، ١٣٧٣.

12 - Dubois, Abbe, Hindu Manners, Customs and Ceremonies, Oxford: Oxford University Press,1906

٥
الصين واليابان

١ ـ الكونفوشيوسية

كونفوشيوس (Confucius) : حكيم صيني، سياسي أسّس مذهب الكـونفوشيوسية الذي راج في بلاد الصين، ثمّ أفل نجمه بعد مدّة وجيزة. وحلّت محله الديانة البوذية.

١ ـ ١. سيرة كونفوشيوس

في حدود عام ٥٥١ ق . م . وفي ولاية لو (Lu) الصينية، ولد لأُسرة كـونغ (kung) الحاكمة في تشو (Tsow) طفل سُمّي كيو (Chiu)، وفي الثالثة من عمره مات أبوه وترك زوجته ضحية لفقر مدقع، ومع ذلك استطاعت هذه الأرملة أن توفّر لابنها الوحيد تعليماً طيباً، أثار إعجاب معلّميه الذين أثنوا على اهتمامه بالدراسة وفهمه للأشياء ، وتكهّنوا له بمستقبل باهر.

ولما بلغ التاسعة عشرة منحه الوزير الأعظم لتلك الولاية وظيفة أمين مخازن الحبوب، وكان إلى جانب وظيفته تلك يكرّس جهوده لدراسة الشعر والموسيقى، فـذاع صـيته ، وتوافد عليه العلماء طلباً للعلم والكمال وأطلق عليه الناس اسم كونغ – فو – تشي أي كونغ الفيلسوف ، ومن هنا غلب عليه إسم كونفوشيوس .

كانت حياة كونفوشيوس مليئة بالأحداث ، حيث تقلّب في عدّة مناصب حكومية إلى جانب تربية التلاميذ، وتسلّم الوزارة وهو في الخمسين من عمره ثمّ ترقى وصار وزيراً

أعظم، مما أثار حسد مناوئيه، الأمر الذي دعاه إلى اعتزال الحياة السياسية ، والتنحّي عن كافّة المناصب الحكومية، والاقتصار على التدريس.

وأخيراً توفى عام ٤٧٩ ق.م. وكان مجهولاً إلى حدّ كبير، لكنّه اشتهر بعد قيام تلامذته وأتباعه بنشر أفكاره.

٢ ـ ١. الآثار

كتب كونفوشيوس في أواخر عمره عدّة كتب، أصبحت جزءً من التراث الأدبي للصين، وهذه الكتب عبارة عن :

١ـ شو تشنغ (كتاب التاريخ).

٢ـ شي تشنغ (كتاب الشعر).

٣ـ لي جي (كتاب الشعائر).

٤ـ إي تشنغ (كتاب التغيّرات).

٥ـ جون جيو (تدوين مذكّرات الربيع والخريف).

والكتب الأربعة الأولى، هي مختارات من أقوال الحكماء الماضين، والكتاب الخامس اختصّ بنقل أقواله.

٣ـ ١. التعاليم

إنّ تعاليم كونفوشيوس مؤلّفة من الأصول الأخلاقية والسياسية، مشفوعة ببعض التعاليم الدينية . وكان يعتقد أنّ السلف نهجوا قاعدة لي (Li) في مسيرة حياتهم، فأسبغت عليهم الخيرات والبركات. التي حرم منها أبناء عصره على أثر مجانبة هذه القاعدة والعزوف عنها.

إنّ (لي) حسب معتقدات كونفوشيوس لها معان مختلفة ، نظير الطهارة، الأدب، التشريفات، والعبادة. وكان يعتقد أن الخير سيعمّ المجتمع الذي ينتهج هذه القاعدة ،

ويرتقي به إلى مجتمع مبدئي فاضل.

٤ـ ١. الأصول الأخلاقية

وقد طرح أصولاً خمسة، متى ما استقامت استقام ما سواها، وهي :

١ـ مبادلة الحبّ والحنان بين الأب والابن.

٢ـ عطف الأخ الأكبر على الأخ الأصغر، وتواضع الأصغر للأخ الأكبر.

٣ـ إنصاف الزوج في معاملة زوجته، وإطاعة الزوجة لزوجها.

٤ـ حبّ الأقوياء للضعفاء، وإطاعة الضعفاء للأقوياء.

٥ـ تفقّد الحكّام للرعيّة ، ووفاء الرعيّة للحكام.

ومن تعاليم كونفوشيوس عن المدينة الفاضلة وعلاقة الحاكم بالشعب أن الحاكم إذا أطاع القوانين المقرّرة ونفّذها بحذافيرها ، فإنّ جميع الناس على اختلاف درجاتهم ومناصبهم سوف يقتدون به ويمتثلون القوانين أيضاً. كما تحدّث عن الإنسان الكامل وصفاته الخمسة التي استعرضها على النحو التالي: عزة النفس ، علوّ الهمّة، إخلاص النيّة، الشوق إلى العمل، السلوك الحسن.

٥ـ ١. المناسك

على الرغم من أنّ كونفوشيوس كان معلم أخلاق فحسب ولم يدّع غير ذلك، إلّا أنّ الناس وجدوا في تعاليمه الروح المعنوية ، وفي شخصه المثل الأعلى للالتزام الديني.

إنّ الدين الذي نادى به كان في غاية البساطة وبعيداً عن مسائل ما وراء الطبيعة، وقد انصبّت جهوده على ترويض نفسه وفق العبادات والمناسك الرائجة في عصره. وكان يردّد إن خواقين السلف كانوا سعداء، لأنهم خلّفوا أبناءً وأحفاداً واظبوا على إقامة مراسم القرابين والعبادة وعلى تخليد ذكراهم حتىٰ بعد وفاتهم.

٦ـ ١. الأتباع والخصوم

جاب تلاميذ كونفوشيوس ـ الذين بلغ عددهم كما يقال سبعين تلميذاً ـ معظم أرجاء الصين، واتصلوا بالحكّام وأصحاب النفوذ الأمر الذي أدّى إلى انتشار تعاليم هذا الحكيم، واستمرار بقائها في أوساط جيل واحد أو جيلين. ثم واجهت مشاكل حادّة إثر ضعف النظام الإقطاعي الملكي، وظهور مذاهب فلسفية مناهضة أخذت تشن حملاتها ضدّ أفكاره وتعاليمه. وفي هذا الخضم كان النصر حليفَ تعاليم كونفوشيوس أحياناً، وحليفَ خصومه أحياناً أخرى إلى أن زحفت الديانة البوذية إلى الصين، فطوت بساط هذا النقاش لحسابها، وأصبحت أفكار كونفوشيوس هامشية، إلّا أنّ شهرة وعظمة صاحبها لم تتضاءلا قطّ.

٧ـ ١. الدين الرسمي

مجّد أباطرة الصين وفي عصور مختلفة ذكر كونفوشيوس، واعتبروه من أعاظم الحكماء، و راج نحر القرابين عند ضريحه منذ عهد تلاميذه ومريديه، إلّا أن أول إمبراطور زار ضريحه ونحر قرباناً وقدّم هدايا هوكاوتسو عام ١٩٥ ق. م. ثم أصبحت هذه المراسم سنّة التزم بها سائر الأباطرة الذين تعاقبوا على الحكم بعده.

ومنذ عام ١٩١١ م أخذ أداء الاحترام الرسمي لروح كونفوشيوس يقلّ بالتدريج، حتى اضطرّت حكومة الصين ـ ولأجل إحياء أفكاره ـ إلى اعتباره مفكّراً على غرار نيوتن و باستور إلى أن قامت الثورة الشيوعية في الصين عام ١٩٤٩ م، فأخذت تشنّ حملة شعواء على أفكاره، حيث عدّه الشيوعيون من أقطاب المدافعين عن الطبقة الأرستقراطية أمام الطبقة الكادحة من عامة الناس.

٢ ـ الطاوية

ينسب مذهب الطاوية (Taoism) إلى الحكيم لاوتسي (Lao - tse) (المتوفّى ٥١٧ ق. م.). وقد دار جدال و نقاش حول حقيقة هذه الشخصية. وهل كانت واقعاً قائماً أم مجرّد أسطورة؟

وعلى أي حال، فيظهر من القصص القديمة أنه ولد عام (٦٠٤ ق. م.)، وتولّى منصب خازن في بلاط الامبراطور، إلّا أنه سرعان ما اعتزل كل شيء، وتخلّى عن جميع اهتماماته الإجتماعية والعلمية، وانزوى في داره، منصرفاً إلى الصمت والتأمل و إلى تصفية روحه.

وقد انتاب الناس شوق إلى معرفته ، فاختلفوا إليه للاطلاع على أفكاره، وقيل إن كونفوشيوس كان ممّن زاره، وأخيراً قرّر مبارحة موطنه، لما أصابه من كلل وملل من الزيارات المتتابعة ، فصادف عند بوابة المدينة أحد الحرّاس ، فطلب منه أن يعلّمه شيئاً ، فدوّن له لاو تسي رسالة، أطلق عليها تاو تي تشنغ، أي رسالة الطاوية، وهي لا تزال موجودة، وتتميّز باشتمالها على كلمات قصار ، يحمل بعضها معنىً مبهماً، ثم سلّمها إليه، وتابع السير في رحلته، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخباره. وقيل إنه توفي عام (٥١٧ ق. م.).

أما مدّعى الذين يعتقدون أن لاو تسي شخصية أُسطورية، فهو أن الفلسفة المنسوبة هي أقدم من زمان كونفوشيوس ، وأن الرسالة المذكورة كانت موجودة قبله.

١ـ ٢. لاو تسي وفلسفة تاو تي تشنغ

إن الرسالة المنسوبة إلى لاو تسي ليست في الواقع نتاج شخص واحد، بل أُدخلت عليها تعديلات عبر القرون، إلّا أنّ القسم الأعظم منها يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

من وجهة نظر فلاسفة الصين القدماء، فإنّ أيّ فعل وانفعال في هذا العالم يقع تحت تأثير نظام يعرف بـ«تاو» وتعني باللغة الصينية الطريق والمنهج، ويطلق في الأصل على قاع النهر، وقالوا: ليس لتاو بداية ولا نهاية، وإنما انساق في هذا العالم المادي عقب ظهوره ليجري التناسب بين أجزائه. من هنا فإن اصطلاح تاو قريب من اصطلاح كاسموس (Cosmos) اليوناني الذي يعني التناسب أيضاً، وكان اليونانيون يطلقون كاسموس على العالم.

وجاء في رسالة تاو تي تشنغ أنه إذا تُركت الأشياء و وضعها الطبيعي، فإنها سوف تسير بمنتهى التناسب ، لأن حركتها تنتظم مع تاو ولكن لو اختلّ وضعها الطبيعي، فإنها سوف تفقد التناسب المذكور. إن مواكبة تاو يجب أن تكون هدف الإنسان النهائي.

٢ـ ٢. شوانغ تزو ومقالاته

يعدّ شوانغ تزو من أشهر فلاسفة الطاوية بعد لاو تسي. وقيل إنه نشر تعاليم أُستاذه المزعوم (لاو تسي) في القرن الرابع قبل الميلاد، ونُسبت إليه (٣٣) مقالة، يُقطع بصحة نسبة الكثير منها إليه. وقد رسم التحولات الطارئة على العالم بشكل دوراني. وكان يعتقد أن الأضداد تؤثر في بعضها البعض، الأمر الذي يؤدّي إلى زوالها. ويعتقد أيضاً بنسبية الخير والشر. وكان يستعين كثيراً بالشواهد والأمثال لبيان أفكاره.

٣ـ ٢. الدين الرسمي

قام أحد أباطرة الصين ـ ولأول مرّة ـ ببناء معبد باسم لاو تسي عام (١٦٥ ق. م.)، وقدّم له هدايا كثيرة، إلّا أنّ الطاوية لم تنتشر حتى اعتُرف بها رسمياً في الصين في القرن السابع الميلادي، وقد تزامن ذلك مع انتشار ديانة بوذا وكونفوشيوس. وعكف الناشطون على نشر الطاوية من خلال الدعاية بأن ديانة بوذا ليست ديانة محلية وإنما تسرّبت إلى الصين عبر الهند، وسنّوا آداباً و رسوماً، وجعلوا لكل شيء إلهاً، ومع ذلك فإنّ الديانة الطاوية لم تجتذب أفراداً كثيرين، بل أخذ دورها في المجتمع يضمحلّ بالتدريج ، إلّا أنه ما زال هناك من يعتقد بالجانب السحري والكهنوتي لهذه الديانة على الرغم من الحملة التي تمارسها الحكومة الشيوعية ضدّ الأفكار الدينية.

٣ـ الشنتو

الشنتو (Shinto): وتعني طريق الآلهة ؛ وهي ديانة اليابان الأثرية، التي تعتقد بأن إلٰهة الشمس التي تعرف باسم أماتيراسو (Amaterasu) حارسة لأرض الأجداد، و تجلّى نسلها في الأسرة الحاكمة.

١ـ ٣. الخلفيات الإجتماعية

زحفت ديانة المهايانا البوذية إلى اليابان عام (٥٥٢ م)، وتسرّب العديد من مظاهرها إلى ديانة الشنتو عقب احتكاكها بها. وتعتبر عبادة الآلهة والإمبراطور، ونحر القرابين، وحبّ الوطن من آداب هذه الديانة، كما أنّ البوشيدو (Bushido) وتعني طريق الفرسان والمحاربين قد تمّ استلهامها من ديانة (زِن) ، وهي تؤكّد على الولاء والفتوة والشرف والتضحية بالذات. وعلى هذا الأساس فإنّ المحاربين يحملون معهم خناجر مخصوصة ، ويعمدون في حالة اندحارهم في الحرب إلى طعن أنفسهم بها وبقر بطونهم، تضحيةً من أجل الوطن ، واستشهاداً في سبيله. وقد أُجريت تعديلات عديدة على هذه الديانة، وأُلغيت عبادة الإمبراطور بأمر منه عام (١٩٤٦م)، ولا زالت هذه الديانة باقية في اليابان إلى اليوم، وتُمارس طقوسها إلى جانب الديانة البوذية.

٢ـ ٣. كتب الشنتو

ثمّة كتب تخصّ ديانة الشنتو، تضمّ آداب وسنن الغابرين، وقد أُعدّت في مراحل زمنية مختلفة ، حيث دُوّن بعضها عام (٨٠٦م) ، واشتملت على أساطير قديمة تهدف إلى الدفاع عن رهبان الشنتو، ودُوّن بعضها الآخر في القرن العاشر، وضمّت فهرساً لعبادات ومناسك ورسوم الشنتو ، لاسيما آداب عبادة الإمبراطور.

٣ـ ٣. ريجوبو (Rijibu)

حظيت الديانة البوذية منذ القرن الثامن الميلادي بانتشار واسع في اليابان، واكتسبت عطف الطبقات الحاكمة، فبدأ أن الحاجة ملحة الى التوفيق بين ديانة شنتو القومية القديمة من جهة ، وديانة بوذا الدخيلة الطّارئة من جهة أخرى. في هذه الأثناء أعلن الرهبان البوذيون أنهم اطّلعوا من خلال مكاشفاتهم علىٰ أن كل إلهة من آلهة اليابان القديمة ، هي في الواقع بوذي ستف، كان قد تجلّى هناك، وأن أماتيراسو (وتعني إلٰهة الشمس) هي ظهور

ساطع لبوذا في اليابان. وكانت نتيجة هذا التوفيق، ظهور مذهب ريجوبو (ويعني الشنتو المركّب) الذي تصدّوا للتبليغ له. وبهذه المحاولات تمّ إحياء ديانة الشنتو.

٤ـ ٣. الدين الرسمي

قام كبار رهبان الشنتو منذ القرن السابع عشر الميلادي بإحياء ديانة الشنتو القديمة، ورفض التأثير البوذي. وكان عام (١٨٦٨ م) حافلاً بطروء تحولات جديدة على الحياة الإجتماعية في اليابان التي فتحت أبوابها أمام حركة السياحة لاسيما من أمريكا، مما زاد في نشاط حركات التبشير المسيحية. ولم يدم ذلك طويلاً حتى أعلن إمبراطور اليابان عن اعتبار ديانة الشنتو هي الديانة الرسمية للبلاد، وأمر بإزالة كافّة مظاهر الديانة البوذية عن الشنتو، ونُفّذ الأمر في البداية بضغط السلطات الحاكمة بسبب إقبال الناس المتزايد على الديانة البوذية. ثمّ جاء دستور عام (١٨٨٩ م) ليمنح المواطنين الحريات الدينية المطلقة، إلّا أن الدولة كانت تنحاز إلى جانب ديانة الشنتو.

واستمرّ الدين الرسمي للدولة (الشنتو) حتى عام (١٩٤٥ م)، وهو العام الذي رزحت فيه اليابان تحت نير الاحتلال، بعد تعرّضها لقصف نووي أمريكي، وهزيمتها في الحرب. وبقيت تعاليم الشنتو تنمّي الروح القومية للشباب بغية التصدي لمظاهر النفوذ الغربي. وبعد عام (١٩٤٥ م) أصبح إجراء طقوس الشنتو أمراً اختيارياً.

الخلاصة:

أ ـ الكونفوشيوسية: نسبة إلى مؤسّسها كونفوشيوس وهو حكيم صيني، ولد عام ٥٥١ ق.م في ولاية لو وتوفّي عام ٤٧٩ ق.م، وكان مغمور الذِكر إلّا أنه اشتهر بعد قيام اتباعه بنشر أفكاره.

ومن أهمّ آثاره شو تشنغ – شي تشنغ ـ لي جي ـ اي تشنغ – جون جيو وتتألف تعاليمه من الأصول الأخلاقية والسياسية مشفوعة ببعض التعاليم الدينية.

إنّ الدين الذي نادى به كان في غاية البساطة وبعيداً عن مسائل ما وراء الطبيعة، وقد انصبّت جهوده على ترويض نفسه وفق العبادات والمناسك الرائجة في عصره.

ب ـ الطاوية: ينسب مذهب الطاوية إلى الحكيم لاو تسي (المتوفّىٰ ٥١٧ ق.م)، ودوَّن رسالة أطلق عليها تاو تي تشنغ، أي رسالة الطاوية وملخصها أنّ أيّ فعل وانفعال في هذا العالم يقع تحت تأثير نظام يعرف بتاو الذي لا بداية ولا نهاية له وإنما انساق في هذا العالم المادي عقب ظهوره ليجري التناسب بين أجزائه.

ج ـ الشنتو: وتعني طريق الآلهة وهي ديانة اليابان الأثرية التي تعتقد بأن آلهة الشمس التي تعرف باسم أماتيراسو حارسة لأرض الأجداد وتجلّى نسلها في الأُسرة الحاكمة.

وقد تأثّرت كثيراً بديانة المهايانا البوذية التي زحفت إلى اليابان عام ٥٥٢ م، وبذلت محاولات من أجل التوفيق بينها وبين البوذية كانت نتيجتها ظهور مذهب ريجوبو وتعني الشنتو المركب.

تمارين

١ـ ما هي الديانة الكونفوشيوسية ومن هو مؤسّسها؟

٢ـ اذكر أُصول الديانة الكونفوشيوسية ؟

٣ـ ما هي الديانة الطاوية ومن هو مؤسّسها؟

٤ـ ما هي ديانة الشنتو؟

٥ـ أذكر تعريفاً لريجوبو ؟

مصادر البحث

١ ـ سميث ؛ «**كونفوشيوس**»، لندن، ١٩٧٣.

٢ ـ كريل، هـ، «**كونفو شيوس : الرجل و الأسطورة**»، لندن، ١٩٥١.

٣ ـ كريل، هـ، «**ماهي الطاوية**»، جامعة شيكاغو، ١٩٧٠.

٤. كونفوشيوس ، «**مكالمات**»، طهران، مركز ترجمة ونشر الكتاب، ١٣٤٠.

٥. نوس، جون ، «**تاريخ جامع اديان**» (بالفارسية) ، طهران، منشورات الثورة الإسلامية، ١٣٧٠.

٦. هيوم، روبرت: «**أديان زنده جهان**» (بالفارسية) ، طهران ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣.

٦
إيران القديمة

١ ـ ديانة مغان

إنّ أقدم ديانة لسكان إيران الأصليين غير الآريين هي ديانة مغان الّتي ظهرت قبل زرادشت وقبل حكم الماد، وتعني كلمة مغ (مغوش) في لغة إيران القديمة الخادم. ويبدو أن المغان هم أول من قطن إيران، ثمّ تعايشوا مع الآريين بعد زحفهم إليها، نظير ما حدث للدرافيديين في الهند. إن اصطلاح المجوس الذي يُطلق في العربية على الزرادشتيين مشتقّ من الكلمة المذكورة (مغوش).

ويعتقد بعض الباحثين أنّ الثنوية التي طرأت على ديانة زرادشت (أي الإيمان بإله الخير وإله الشر) قد تسرّبت إليها من ديانة مغان القديمة ، لأن كتاب **الغاثا**، وهو أقدم أجزاء **الأفستا** والذي اتسم بطابع إيراني، لم يُعثر فيه على أي أثر للثنوية المذكورة، ولكن يظهر من الكتب التاريخية أنّ ديانة مغان القديمة اتسمت بالثنوية ، وآمنت بالبعث أيضاً.

٢ ـ ديانة ميترا (مهر)

يعتقد الميترائيون أنّ الإلٰهة ميترا ظهرت لأول مرة في الغار على هيئة إنسان ، وآمنت بها مجموعة من الرعاة كانوا على مقربة من ذلك المكان. ثم أمسكت ثوراً فذبحته ونثرت

دمه على الأرض، فأي مكان سقطت عليه قطرة دم، حلّ فيه الخصب. إلّا أنّ الإلهة ميترا لم تبق طويلاً ، بل صعدت عقب عدّة سنوات إلى السماء، وظلّت روحها على استعداد دائم لمعونة عبادها في الأرض. وحيث أنها ظهرت لأول مرة في الغار، فقد شيدت ـ من أجل عبادتها ـ المعابد والهياكل في المغارات والكهوف، وما زالت آثار هذه المعابد المتروكة قائمة في مناطق من أوروبّا.

١ـ٢. المباديء ، المراسم والعبادات

إنّ الذين أقبلوا على عبادة ميترا، كان عليهم أن يطووا سبع مراحل، وقد منحوا كل مرحلة اسماً خاصاً، فأطلقوا على المرحلة الخامسة اسم «پارس» ، وعلى السادسة اسم «الشمس» وعلى السابعة اسم «الأب» ، ثم تلي هذه المراحل مراسم الخبز والعسل، وهي تشبه إلى حدّ كبير مراسم الخبز والشراب المسيحي، وفي آخرها يمارسون عملية التعميد بدم ثور.

ويقال إنّ الكثير من معتقدات المسيحية ومراسمها قد أُخذت من ديانة ميترا.

٣ـ ديانة زرادشت

أخذ الآريون ـ بعد عدّة قرون من استقرارهم في إيران ـ بالاستيطان تدريجياً في المدن، الأمر الذي ترك تأثيره على رؤيتهم الكونية.

وفي تلك العصور ، نهض مصلح اسمه زرادشت، دعى الآريين الذين سئموا الخرافات إلى دين جديد، ونبذ دين مغان، وزعم أنه مبعوث من قبل إله الخير والنور، وأنه استمد رسالته من آهورا مازدا (Ahura Mazda) مباشرة لينقذ العالم من الظلام والشر، ويسوقه إلى الخير والنور.

ويطلق على الزرادشتيين أسماء أخرى مثل غبر، مجوس ، پارس. وتعني كلمة غبر

في اللغة السريانية الكافر، وهذه التسمية أطلقها عليهم الآخرون. كما أنّ اصطلاح (المجوس) في اللغة العربية اسم جنس جمعي، ومفرده مجوسي.

وقد جاءت كلمة المجوس في القرآن الكريم إلى جانب أتباع بقية الديانات [الحج /١٧]. ويعتقد أغلب علماء الإسلام أن الزرادشتيين هم أهل كتاب، و وردت في هذا الصدد أخبار أيضاً. وقد طرأت تحوّلات وتغييرات على ديانة زرادشت نحو قرن واحد قبل الميلاد، وسُمّيت بعد التعديل ديانة مزديسنا، وتعني في اللغة مدح مزدا.

١ـ٣. سيرة زرادشت

ساورت العلماء شكوك حول الوجود التأريخي لنبي إيران القديمة، وإن اتفق أغلبهم على استبعاد نفي وجوده. إنّ كلمات من قبيل: زردشت، زرتشت، زردهشت، قد اشتقت معظمها من مصطلح زر ثوشتر (Zarathushtra) الذي ورد ذكره في الغاثا (وهو جزء من الكتاب السماوي لزرادشت)، والذي يساوي ـ طبقاً لأصح النظريات ـ زرد اشتر، وتعني صاحب الناقة الصفراء.

أما اسم والده، فهو بوروشَسب (أي صاحب الجواد الهرم)، واسم والدته دغدوية، ويعني (حالبة البقرة)، واسم أسرته أسبيتمان، ويعني (العِرق الأبيض).

ويعتقد المؤرّخ الإسلامي الشهير الطبري وأتباعه أنّ زرادشت كان من فلسطين ثم انتقل إلى إيران، إلّا أنّ القول الصحيح والمشهور أنه من أذربيجان في إيران، وأنه بُعث عند جبل بالقرب من بحيرة أورومية[1].

واختلفت وجهات النظر حول زمان زرادشت، حتى قيل إنه ظهر سنة (٦٠٠٠ ق.م)، ولكن وفقاً للنظرية المشهورة، فإنه ولد سنة ٦٦٠ ق.م.، وبُعث سنة ٦٣٠ ق.م. (وهو في سنّ الثلاثين)، وقُتل سنة ٥٨٣ ق.م. (وهو في سنّ ٧٧) في بيت النار في مدينة بلخ

---

١ ـ ذهبت الكتب الدينية للزرادشتيين إلى قدسية مياه هذه البحيرة.

بأفغانستان، إثر مداهمة المدينة من قبل الغزاة.

وعلى الرغم من أنّ بعثة زرادشت ورد ذكرها في شاهنامة الفردوسي، إلّا أنها أُدرجت في قسم الأساطير من الكتاب المذكور، نظراً إلى تضارب الآراء حول شخصية غُشْتاسب (الملك الذي دعاه زرادشت إلى دينه الجديد)، حيث يعتقد البعض أنه هو فيشتاسب والد داريوش الهخامنشي، في حين ثبت تاريخياً أنه كان والياً، ولم يكن ملكاً.

٢ـ٣. تعاليم زرادشت

ثمّة أصول ثلاثة نادت بها ديانة زرادشت، هي: القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر الحسن، ونحن نجد نظائر هذه الأصول في الأديان المختلفة كالإسلام، حيث ورد فيه **«الإيمان قول باللسان، وإقرار بالجَنان، وعمل بالأركان»**.

ومن أبرز مظاهر ديانة زرادشت، هي احترام النار باعتبارها مظهراً من مظاهر إله النور، والإبقاء على شعلة النار مضطرمة، وإقامة مراسم خاصة حولها في معابد تُعرف ببيوت النار، وحثت أيضاً على العمران والزراعة والرعي واستيطان المدن، واحترام الحيوانات لاسيما الكلب والبقرة. كما تمتع حسن المعاملة مع الناس بمكانة بارزة في هذه الديانة. وقد ارتبطت بعض العادات والرسوم الرائجة في إيران بتعاليم زرادشت، وظهرت عند بعض الزنادقة في القرون الأولى للإسلام نزعات زرادشتية.

٣ـ٣. أفِستا

يُسمّى الكتاب السماوي للزرادشتيين أفستا، ويعني الأساس واللبنة والمتن، وقد كتب باللغة الأفستائية التي كانت سائدة في إيران القديمة، والتي تتحد في أصولها مع الّلغة الفهلوية والسانسكريتية. ويعتقد العديد من المحققين أنّ الخطّ الأفستائي قد ظهر في العهد الساساني (٢٢٦ – ٦٤١ م)، وكان أفستا في بداية الأمر محفوظاً في الصدور، ثم كُتب بالخطّ المذكور، وقيل إنه نجز بعد ظهور الإسلام.

ومهما يكن من أمر، فإن أغلب الباحثين متفقون على أن أصل أفستا كان ضخماً للغاية، حتى قيل إنه نسخ على (١٢٠٠٠) جلد من جلود البقر، أما الأفستا الموجوداليوم، فهو يضم (٨٣٠٠٠) كلمة، ويحتمل أن أصله كان يضمّ (٣٤٥٧٠٠) كلمة (أي أربعة أضعاف).

ويتألّف أصل أفستا من (٢١) نَسْكاً (كتاب أو قسم)، ولا يختلف عنه الأفستا الموجود، حيث يتألّف من (٢١) نسكاً أيضاً.

وينقسم أفستا إلى خمسة أقسام:

١ـ **الياسنا** (أي العبادة والمهرجان)، ويطلق على مقطع منه اسم **الغاثا**(ويعني النشيد). وهذا القسم ـ وهو أشهر أقسام الأفستا، ويضمّ أدعية ومعارف دينية ـ يُنسب إلى زرادشت نفسه، في حين تُنسب سائر أقسام الأفستا إلى زعماء ديانة زرادشت.

٢ـ **الفسبريد** (أي الزّعماء و الأعيان)، ويشتمل على أدعية.

٣ـ **الفانديداد** (أي القانون المضاد للشيطان)، ويُعنى بمسائل الحلال والحرام والطهارة والنجاسة.

٤ـ **الياشت** (أي أدعية الأناشيد والتسابيح).

٥ـ **مجموعة نصوص قانونية** (أو الأفستا الصغير)، وتتطرق إلى الأعياد والمراسم المذهبية وأناشيدها.

و لدىٰ الزرادشتيين ـ إلى جانب كتاب أفستا ـ كتاب تفسيري يسمّى زَنْدأفستا، وكتب مقدّسة أخرى دُوّنت باللّغة الفهلوية.

٤ـ٣. قصة الخلق وعقيدة الثّنوية

لا يعلم أحد على وجه التحديد، متى بدأ الزرادشتيون بالنزوع إلى إله الخير وإله الشر أو إله النور وإله الظلمة.

ونطالع في **الغاثا** (قسم الياسنا من أفستا) المنسوب إلى زرادشت نفسه، أن أهريمن

جابه العقل المقدس، ولم يجابه آهورامازدا (الإله الواحد المهيمن على إله النور والظلمة).

كما ظهرت في العصر الساساني جماعة من الزرادشتيين تُعرف بـ«الزُّرفانيين»، كانت تعتقد بأنّ الإله واحد، وهو زُرفان (Zurvan) الذي تجاوزت عظمته عظمة إله النور والظلمة. وكان لهذه الفرقة في تلك الحقبة أتباع كثيرون[١].

٥ـ٣. الآلهة

يُعلم من خلال مطالعة ديانة زرادشت، أنه قام بإصلاح ديني في أوساط الإيرانيين، بغية نبذ الخرافات التي ألمّت بالديانة القديمة للآريين. وكان في طليعة ذلك التبليغ لآهورامازدا، وتزييف آلهة قومه التي كانت تُسمّى ديفا (ويعني الشيطان)، و إطلاق اسم «آلهة دروغ دوستان» عليها.

و ثمّة ملائكة ستة (نظراء الملائكة في الأديان الإبراهيمية) يأتمرون بأمر آهورامازدا، أطلق عليهم اسم امشا سفندان ويعني الخلود المقدس، ولهم زعيم يُدعى سفنتاماينيو ويعني العقل المقدس. أما أسماء الملائكة فهي كالتالي:

١ ـ فوهمن (Vohuman)

٢ ـ آشفهيشتا (Asha-vahishta)

٣ ـ خشتُرا فائيريا (Xshathra-vairya)

٤ ـ سبنتا آرمايتي (Spenta-armaiti)

٥ ـ هارفرتات (Haurvartat)

٦ ـ أمرتات (Ameretat)

ويعقب هؤلاء يزتات، وهم ثلاثون ملَكاً، ينضوون تحت لواء العقل المقدّس ضدّ

---

١ ـ إنّ الإعتقاد بوجود مبدأين للعالم، كان مألوفاً في العصور القديمة، كما تظهر ملامح ذلك في المذهب الغنوصي. وهذا اللفظ (الغنوصي) يونانيّ الأصل، وهو يرادف نوستك (Gnostic) في العصر الحاضر.

أهريمن وجنوده.

يبلغ عمر الدورة الحالية للعالم ـ وفقاً لما ورد في ديانة زرادشت ـ ١٢٠٠٠ سنة، حكم فيها إله الخير طيلة ٣٠٠٠ سنة، ظلّ خلالها إله الشر متوارياً في الظلام، وعقب انتهاء الفترة المذكورة خرج إله الشر من الظلام، واصطدم بإله الخير الذي استمهله ٩٠٠٠ سنة، وهو على يقين بأن النصر سيكون حليفه في نهاية المطاف، وإبّان هذه الفترة أخذ أحدهما يتحدّي الآخر من خلال خلق الخير والشر، وبعد ٣٠٠٠ سنة خُلق زرادشت، ومن ذلك الوقت بدأ ميزان القوى يميل لصالح إله الخير وجنوده، واستمرّ في سيره الصعودي.

٦ـ٣. آخر الزمان

ورد في **الألفيات الزرادشتية** (Zoroastrean Millennialism) أنّه يُنتظر ظهور ثلاثة منقذين من نسل زرادشت يملؤون الدنيا خيراً وعدلاً، وهم:

١ـ هوشيدر، ١٠٠٠ سنة بعد زرادشت.

٢ـ هوشيدر ماه، ٢٠٠٠ سنة بعد زرادشت.

٣ـ سوشيانس (أو سوشيانت)، ٣٠٠٠ سنة بعد زرادشت، وبظهوره يصل العالم إلى نهايته.

٧ـ٣. خلود الروح

يعتقد الزرادشتيون بخلود الروح، وبقائها ـ عند مفارقتها الجسم ـ في عالم البرزخ إلى يوم القيامة، ويعتقدون أيضاً بالصراط، وميزان الأعمال، والجنة والعذاب. إن جنة ديانة زرادشت تشبه الجنة التي جاء وصفها في الإسلام، ولكنّ اعتقادهم بقدسية النار دفعهم إلى القول بأن مأوى العاصين مكان بارد جدّاً وقذر ومليء بأنواع الدوابّ التي تنزل نقمتها بهم وتؤذيهم.

٨ـ٣. الوضع الحالي

غادر الزرادشتيون قبل ألف عام بلاد إيران، وتوجّهوا إلى بومباي بالهند، ويبلغ عددهم فيها اليوم (١٥٠) ألف نسمة، ويُعرفون بالفارسيين، كما يقطن نحو (٥٠) ألف من الزرادشتيين في يزد وكرمان وطهران.

وقد ظهرت من هذه الأقلية الدينية شخصيات بارزة، نظير أرباب كيخسرو شاهرخ، ممثّل الزرادشتيين في مجلس الشورىٰ الوطني الإيراني في عصر الشهيد المدرّس، وكان قد عيّن أميناً على خزانة المجلس، واشتهر بأمانته و صدقه. قال عنه الشهيد المدرّس وهو يتحدّث في المجلس: (يوجد مسلم واحد في هذا المجلس هو أرباب كيخسرو!)[١].

و عرف الزرادشتيون بالثقافة، و بحسن تعاملهم مع الآخرين.

٤ـ المانوية

ظهرت المانوية في الفترة الممتدة بين ظهور المسيحية والإسلام، واستطاعت في مدة وجيزة أن تنتشر وأن تكتسب أنصاراً مخلصين ومتحمّسين، وهي في الواقع مزيج من معتقدات الصابئة والبوذية والزرادشتية والمسيحية، وازدادت رقعة انتشارها ـ بسبب أصولها العرفانية والإنسانية ـ لتبلغ سواحل الصين شرقاً، وتخوم أوروبا غرباً.

وقد ناصب حكّام إيران والروم العداء للمانويين، ومارسوا بحقّهم عمليات قتل جماعية، حتى أن محكمة التفتيش في أوربا قامت في القرن الثالث عشر الميلادي بحملات نشطة من أجل القضاء على ما تبقّى منهم.

---

١ ـ الإمام الخميني، صحيفة النور: ١٣ / ٢٠٩.

٤ـ١. سيرة ماني

ولد ماني في مدينة بابل عام (٢١٦ م) لأسرة إيرانية، وكان أبوه باتيك قد انتقل من همدان إلى بابل، واعتنق فيه دين الصابئة.

ادّعى ماني النبوة عام (٢٢٨ م)، وجاب مختلف البلدان لنشر دينه الجديد، وتوجّه عام (٢٤٣ م) إلى شابور الأول حين تتويجه ودعاه إلى دينه ، فرحّب به الشاه، وقد دوّن كتاباً باللغة الفهلوية الساسانية وأسماه «شابوركان» ، وجاب أيضاً بلاد آسيا الوسطى. وعاد بعد عشرين سنة إلى إيران زمن الشاه بهرام الأول الذي عاداه ، وتمكّن من قتله عام (٢٧٤ م).

وقام أتباعه بعد مقتله بالدعوة إلى المانوية، حتى انتشرت وسادت مناطق في أوروبّا والصين. ويقطن أغلب المناويين في آسيا الوسطى. وقد أخذت هذه الديانة بالاضمحلال إثر ضغط الزرادشتيين والمسيحيين، ثمّ اختفت تقريباً بعد انتشار الإسلام، إلّا أن ثَمّة جماعة من المانويين بقيت تقطن ولقرون متمادية في البوسنة والهرسك، ثم انقرضت فيما بعد.

هذا وقد كانت المانوية مصدر إلهام لبعض الحركات القومية التي ظهرت في إيران في العصور الأولى من الإسلام، كما كان لبعض الزنادقة نزعات مانوية أيضاً.

٤ـ٢. المصادر المانوية

كان العديد من المصادر المانوية متوفراً بعد قرون من ظهور الإسلام، وقد اعتمدت عليها الكتب التاريخية القديمة إلّا أنّ هذه المصادر محاها الزمن شيئاً فشيئاً، و قد عُثرَ أخيراً على آثار مانوية في مدينة طورفان بتركستان بعد عمليات البحث والتنقيب التي أُجريت هناك. الأمر الذي زاد في معلوماتنا عن المانوية.

إنّ إحدى ابتكارات ماني، هو أنه استعان بالرسوم والصور لنشر أفكاره بين الناس

الذين تفشّى فيهم الجهل، كما قام بتدوين تلك الأفكار أيضاً، وفي هذا الإطار دوّن مجموعة تسمى «أرجنَغ» عُثر على بقايا منها أخيراً، وثمّة كتب أُخرى مصوّرة له ولأتباعه. وتنسب إليه الكتب الستة التالية:

١ـ شابوركان، كتبه باللغة الفهلوية، واكتُشف قسم منه في مدينة طورفان.

٢ـ انغليون (انجيل)، ويضم تصاوير، ولعلّه هو «أرجنغ» السالف الذكر.

٣ـ جواهر الأحياء، ويشتمل على أحكام.

٤ـ براغماتيا (كتاب جامع).

٥ـ كتاب الأسرار.

٦ـ كتاب الشياطين.

٣ـ٤. التعاليم والأصول

يقول ماني: «نشر الأنبياء الحكمة والحقيقة الإلهية في أصقاع متنوعة وفي أزمنة مختلفة، فتارة كان بوذا في الهند، وأخرى كان زرادشت في إيران، وثالثة كان عيسى في فلسطين، وأنا ماني نبي‌الله، بُعثت لنشر الحقائق في أرض بابل».

إنّ معظم تعاليم ماني قائمة على أصول مسيحية و زرادشتية، واستحوذ الصراع بين النور والظلمة على أهمية خاصة فيها.

وقد قسّم المانويون المجتمع إلى خمس طبقات دينية، هي:

١ـ فريستغان أو الملائكة، وعددهم (١٢)، وهم خلفاء ماني.

٢ـ ايسفاساغان أو الأساقفة، ويبلغ عددهم (٧٢).

٣ـ مهيشتغان أو القساوسة، وعددهم (٣٦٠).

٤ـ ويزيدغان أو المنتخبون، وهم كثيرون جداً، ويقع على عاتقهم نشر دين ماني.

٥ـ نغوشاغان أو الطائعون، وهم أكثر عدداً من سائر الطبقات.

وقد التزم المانويون ـ نتيجة تأثّرهم بديانة زرادشت ـ بثلاثة أصول أخلاقية ، عرفت بثلاثة خواتم، وهي:

١ـ ختم الفم (الاحتراز عن القول البذيء).

٢ـ ختم اليد (الاحتراز عن العمل القبيح).

٣ـ ختم القلب (التنزّه عن الفكر السيّء).

يُذكر أنّ أتباع ماني كانوا نباتيين ، وليس للطبقات الأربعة الأولى حقّ الزواج أو اكتناز الأموال. ولدى المانويين صلاة وصوم، ومعابد تُعرف باسم (خانقاه) ، وهي تشبه خانقاه الصوفية في العصر الإسلامي.

٥ ـ المزدكية

للأزمات الإجتماعية دور رئيسي في ظهور الاعتقادات الدينية، والأديان التي تظهر في زمان أو مكان متأزّم تأخذ بالانتشار بسرعة، وخير شاهد على ذلك هو ديانة مزدك ذات الطابع الإجتماعي.

وقد أسهب الفردوسي في «الشاهنامه» الكلام عن مزدك، عندما تطرّق إلى حكم قباد، وقال : **«كان مزدك حكيماً، حرّض الناس حينما أصابهم القحط على الهجوم على مخازن الحبوب والغلال، وبذلك اكتسب شهرة واسعة»**.

١ـ٥. سيرة مزدك

برز مزدك بن بامداد بين أوساط حكماء وعلماء مدينة مازاريا على ساحل دجلة (وتعرف اليوم بكوت العمارة) في عهد الملك قباد (٤٨٨ ـ ٥٣١ م)، وقد أشار المؤرخون حتى من انتقده منهم إلى رصانة عقله وقوة منطقه وصفاته البارزة، وقالوا : كان زاهداً، بسيطاً في ملبسه.

ولم يدّع مزدك النبوة، بل كان يتّبع شخصاً يُسمّى بوندوس الذي قام في سنة (٣٠٠م) بإجراء إصلاحات في الديانة المانوية ، واكتسب بذلك أنصاراً في إيران والروم.

٢ـ ٥. حركة مزدك

نطالع في «الشاهنامه» للفردوسي أن مزدك كان عاقلاً خطيباً، رأى يوماً جموعاً من الفقراء والبائسين، وهي تحتشد حول قصر الشاه مطالبة بالخبز، فقال للشاه ـ وكان يحتلّ منصباً في بلاطه ـ: إذا لدغت أفعي أحداً وشارف على الموت، وكان في متناول يد صديقه أو جاره دواء يشفيه، لكنه ضنّ به عليه، فما جزاؤه؟

فأجاب قباد: جزاؤه الموت. فقال مزدك: إذا احتاج الناس إلى الخبز، وامتنع عن إعطائه من يمتلكه، فما جزاؤه؟ فأجاب: جزاؤه الموت. عندئذ توجّه مزدك إلى الناس، وصاح بهم: اهجموا على المخازن، واحملوا ما فيها من غذاء لينقذكم من الجوع. فلما فعل الناس ذلك، انبرى قباد يوبّخ مزدك، فأجابه قائلاً: الناس جياع والمخازن مملوءة، وأنا فعلت ما يتفق وجهة نظرك. حينها اكتسب مزدك شهرة واسعة ، واعتنق قباد نفسه دينه الاشتراكي، ودعم انتشاره.

هذا الأمر لم يَرُق للأشراف وموبذان الزرادشتية، فأعلنوا عصيانهم على مزدك، وخلعوا قباد عن العرش، إلّا أن قباد تمكن من استعادة المُلك، وفي هذه المرة أعلن عن تخلّيه عن مزدك وأعوانه، إلى أن جلس ابنه أنوشيروان ـ الذي حظي بدعم الأشراف وموبذان الزرادشتية ـ على العرش، فعمد إلى قتل مزدك وكثير من أتباعه عام ٥٢٨ م، ونجت جماعة منهم من القتل وظلّت مختفية، وكانت تظهر بين الفَيْئة والأُخرى إلى عقود من بزوغ الإسلام. وكان لبعض الزنادقة في القرون الأولى من الإسلام نزعات مزدكية.

٣ـ٥. وجهات النظر

دونت أفكار مزدك في كتاب «مزدك نامه» ، وبعد ظهور الإسلام ، قام ابن المقفّع بترجمته إلى اللغة العربية ، وظلّ موجوداً عدّة قرون، ثم فُقد.

يُذكر أنّ مزدك يشترك مع كونفوشيوس وأفلاطون من جهات، لأن الطابع السياسي والإجتماعي كان يغلب على مذهبه.

وكان مزدك ينادي بالاشتراك في الأموال، وسعى إلى إلغاء الفوارق الطبقية، وجوّز الزواج بين الأشراف وغيرهم. جدير بالذكر أن ما عُرف عنه من القول بالاشتراك الجنسي لا أساس له من الصحة.

الخلاصة

أ ـ **ديانة مغان:** وهي أقدم ديانة لسكان ايران الأصليين غير الآريين ظهرت قبل زردشت وقبل حكم الماد.

ب ـ **ديانة ميترا:** يعتقد الميترائيون بآلهة ميترا التي ظهرت لأول مرة في الغار وكان عليهم أن يطووا سبع مراحل ثم تلي هذه المراحل مراسم الخبز والعسل وآخرها يمارسون عملية التعميد بدم الثور.

ج ـ **ديانة زرادشت:** نهض زرادشت ودعا الآريين الى دين جديد وزعم أنه مبعوث من قبل آهورامازدا لينقذ العالم من الظلام والشر إلى الخير والنور.

ولد زرادشت سنة ٦٦٠ ق.م وهو من أذربيجان في ايران وقتل سنة ٥٨٣ ق.م في معبد النار في بلخ.

وثمّة أصول ثلاثة نادت بها الزرادشتية هي : القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر

الحسن، ومن أبرز مظاهرها احترام النار والإبقاء على شعلة النار مضطرمة وإقامة مراسم خاصة حولها في معابد تُعرف بمعابد النار.

وكتابها المقدس هو أفستا وقد كُتب باللغة الأفستائية.

د ـ المانوية: ظهرت المانوية على يد ماني (٢١٦ - ٢٧٤ م) في مدينة بابل، وادعى النبوة واستعان بالرسوم والصور لنشر أفكاره.

وقد قسّم المجتمع إلى خمس طبقات دينية، وحظر على الطبقات الأربعة الأولى الزواج أو اكتناز الأموال.

والمانوية في الواقع مزيج من معتقدات الصابئة والبوذية والزرادشتية والمسيحية.

و من أهمّ اصولها الأخلاقية هي: ختم الفم ـ ختم اليد ـ ختم القلب.

هـ ـ المزدكية: ظهرت المزدكية على يد مزدك بن بامداد في مدينة مازاريا في عهد الملك قباد، ولم يدع النبوة بل كان يتبع شخصاً يسمّىٰ بوندوس الذي قام بسلسلة اصلاحات في الديانة المانوية.

وقد حرّض مزدك الناس حينما أصابهم القحط بالهجوم على مخازن الحبوب والغلال وبذلك اكتسب شهرة واسعة. قُتل على يد أنو شيروان عام ٥٢٨ م.

تمارين

١ـ عدد الأديان التي ظهرت في إيران؟

٢ـ ما هي ديانة مُغان؟

٣ـ اذكر مبادىء ديانة ميترا؟

٤ـ ما هي عقيدة الثنوية؟

٥ـ ما هي أُصول الديانة الزرادشتية؟

مصادر البحث

١ ـ الأفستا

٢ ـ آلبري، س ، : «**زبور مانوي**»، ترجمه إلى الفارسية أبو القاسم إسماعيل بور، طهران، منشورات فكر روز، ١٣٧٥.

٣ ـ الياد، م ، : «**آئين گنوس و مانوی**»، نقله إلى الفارسية أبو القاسم إسماعيل بور، طهران، منشورات فكر روز، ١٣٧٣.

٤ ـ بويس، م ، : «**تاريخ الزرادشتية**»، ليدن ، ١٩٧٥م.

٥ ـ بويس، م ، : «**الحصن الفارسي للزرادشتية**»، اكسفورد، ١٩٧٧م.

٦ ـ بويس، م ، : «**الزرادشت معتقداتهم الدينية وممارساتهم**»، لندن، ١٩٧٩م.

٧ ـ بويس، م ، : «**مصادر لدراسة الزرادشتية**»، مانشستر، ١٩٨٤م.

٨ ـ حكمت، علي أصغر: «**تاريخ اديان**» (بالفارسية)، طهران، منشورات ابن سينا، ١٣٤٥.

٩ ـ زرين‌كوب، عبدالحسين: «**در قلمرو وجدان**» (بالفارسية)، طهران ، منشورات سروش، ١٣٧٥.

١٠ ـ زيهنر، ر ، : «**زرفان ، مأزق زرادشتي**»، اكسفورد، ١٩٥٥م.

١١ ـ زيهنر، ر ، : «**تعاليم المجوس**»، لندن ، ١٩٥٦م.

١٢ ـ زيهنر، ر ، : «**فجر وغسق الزرادشتية**»، لندن، ١٩٦١ م.

١٣ ـ غريستنس: آرثور عمانوئيل ، : «**سلطنت قباد وظهور مزدك**»، ترجمه إلى الفارسية أحمد بيرشك، طهران ، مكتبة الطهوري، ١٣٧٤.

١٤ ـ غويلمن، دوشزن ، : «**ترانيم زرادشت**»، لندن، ١٩٥٢.

١٥ ـ غويلمن، دوشزن ، : «**ديانة إيران القديمة**»، باريس، ١٩٦٢م.

١٦ ـ فيرماسيرين، مارتن ، : «**ميترا الرب السري**»، لندن ، ١٩٦٣ م.

١٧ ـ نوس، جون ، : «**تاريخ جامع أديان**»، نقله إلى الفارسية علي أصغر حكـمت، طهران، منشورات الثورة الإسلامية، ١٣٧٠.

١٨ ـ هنلس، ج ، : «**دراسات ميتراوية**»، مانشستر، ١٩٧٥م.

١٩ ـ هيوم، روبرت ، : «**أديان زنده جهان**»، نقله إلى الفارسية عبدالرحيم كواهـي، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣.

٢٠ ـ وايد نغرين، غ ، : «**ماني والمانوية**»، لندن، ١٩٦٥م.

٧
اليهودية

١ـ العبرانيون

ينحدر اليهود من العِرق السامِي الذي ينتسب إليه الآشوريون و العرب. ولغة و آداب و ثقافة وعادات و رسوم هذه الأقوام متقاربة بنحو دفع بالباحثين إلى الاعتقاد بأنهم ينحدرون من أصل واحد، و لذا فإنّ البحث عن ثقافة كل قوم يستدعي البحث عن ثقافة سائر الأقوام السامية، فالبحث في الأدب العربي مثلاً، إنما تكتمل حلقاته فيما لو رافقته دراسة في اللغات العبرية و السريانية والحبشية.

و لا تتوفّر بين أيدينا معلومات دقيقة عن الجذور التاريخية للعبرانيين، و يرىٰ بعض الباحثين أن كلمة «عبراني» أطلقها الكنعانيون علىٰ إبراهيمعليه‌السلام بعد دخوله أرض كنعان، ثم أصبحت من ألقابه، و سرىٰ ذلك في أعقابه ؛ لأن العبراني من مادة (ع ب ر) و تعني عبور النهر، باعتبار أن إبراهيمعليه‌السلام عبر نهر الفرات في طريقه إلىٰ أرض كنعان.

و يرىٰ بعض آخر من الباحثين أنّ عبراني منسوب إلىٰ عابر، و هو اسم جدّ من أجداده الأقدمين.

و يقول آخرون إنّ إبراهيم ينحدر من عرق آري، انطلاقاً من كون اسم أبيه أو عمّه آزر، إلّا أنّ الباحثين يستبعدون هذه النظرية، لعدم توفّر معلومات عن المعنى اللغوي لكلمة آزر في القرآن الكريم و المصادر الإسلامية.

جدير بالذكر أنّ اسم والد إبراهيمعليه‌السلام في التوراة هو تارَح.

٢ـ ابراهيم عليه السلام

بلغ إبراهيم الخليل عليه السلام من العظمة بمكان، بحيث أصبح مثاراً للنزاع بين اليهودية و المسيحية و الإسلام، و كلّ يدّعيه لنفسه، يقول الله تعالىٰ: **﴿ما كانَ إبراهيمُ يَهودِيّاً و لا نصرانيّاً و لكنْ كانَ حَنيفاً مُسلِماً و ما كانَ مِنَ المُشرِكينَ﴾**[١]. و كانت له مكانة سامية أيضاً لدى المشركين الذين دأبوا علىٰ زيارة و تقديس كل ما يمتّ بصلة إلىٰ إبراهيم في مكّة المكرّمة.

و قد ذكرت التوراة نسب إبراهيم عليه السلام، و أنهته إلىٰ آدم عليه السلام. هذه السلسلة من النسب وجدت طريقها إلىٰ بعض الكتب الإسلامية دون أيّ فحص و تدقيق عن أصلها و منشئها.

و حسب وجهة نظر أهل الكتاب، فإن إبراهيم ولد في مدينة أُور[٢] عام ٢٠٠٠ ق.م. (أي قبل أكثر من ٤٠٠٠ عام)، و قد أطلق عليه في البداية ـ و وفقاً لما جاء في التوراة ـ اسم أبرام (و يعني الأب السامي) ثم بدّله الله سبحانه إلىٰ اسم إبراهيم (و يعني أبا الأقوام) و هو في التاسعة و التسعين من عمره.

و طبقاً للتوراة، فقد عزم والد إبراهيم و هو تارح على السفر إلىٰ أرض كنعان (في غرب فلسطين)، و اصطحب معه ولده إبراهيم عليه السلام، و سارة زوجة إبراهيم، و حفيده لوطاً عليه السلام، و في أثناء الطريق عدل عن رأيه، و حطّ الرحال في مدينة حرّان الواقعة في جنوب تركيا الحالية، و المتاخمة للحدود السورية.

لقد أطلقت التوراة علىٰ أبي إبراهيم اسم تارح، في حين سمّاه القرآن الكريم آزر، و وصفة بالشرك[٣].

---

١ ـ آل عمران / ٦٧.

٢ ـ مدينة أور؛ احدىٰ المدن الاثرية القديمة الواقعة علىٰ ضفاف نهر الفرات عثر عليها عقب عمليات الحفر والتنقيب التي أُجريت في العراق قبل زهاء قرن. ٣ـ الأنعام / ٧٤.

و يعتقد علماء الشيعة أن جميع أجداد النبيﷺ ـ و منهم أبو ابراهيم ـ كانوا موحّدين، هذا الاعتقاد دفعهم إلى القول بأن آزر كان عمّ إبراهيم، و أنه لاضير في اللغة العربية من إطلاق الأب على العمّ، و قد ورد نظيره في القرآن الكريم.(١)

وقد ورد في التوراة أنّ إبراهيمعليه السلام غادر حرّان بأمر الله تعالىٰ، وله من العمر (٧٥) سنة، قاصداً أرض كنعان، و بمعيّته زوجته سارة و ابن أخيه لوطعليه السلام و رهط من أهل حرّان، فلما وصلها نصب خيامه علىٰ سفح جبل يقع في شرق بيت ايل، ثم نزل مدينة حَبْرون (الخليل).

و مكث فيها إلىٰ آخر عمره و لازالت مقبرة أسرته موجودة إلى الآن في تلك المدينة.

أما لوطعليه السلام، فقد رحل إلى مدينة سَدوم، و قام بالدعوة فيها و في المدن المجاورة لها، فكذّبه الناس و عصوْه، فأنذرهم عذاب الله فلم يكترثوا، فهلكوا عن بكرة أبيهم، و قد جاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم أيضاً.(٢)

و ثَمّة حادثتان بالغتا الأهمية في حياة إبراهيمعليه السلام لم تتعرّض لهما التوراة قطّ، إحداهما تحطيم الأصنام و إلقاؤه في النار، و الأخرىٰ حادثة بناء الكعبة.

و قد سرد القرآن الكريم الحادثة الأولىٰ في سورتي الأنبياء و الصافّات، في حين أشار إلى الحادثة الثانية، و هي بناء الكعبة علىٰ يد إبراهيم و إسماعيل في سورة البقرة، الآية ١٢٧، و قد تمّ بناؤها في أواخر عمره الشريف، نظراً إلىٰ أن الله سبحانه وهب له إسماعيل، و هو في سن الشيخوخة.(٣)

و قد وردت في التوراة قصة ذبح ولده، و فيها أن إبراهيمعليه السلام أمر بأن يذبح إسحاقعليه السلام دون أن يبوح له بذلك، بل قال له: أُمرت بذبح شاة كقربان يرسله لي ربّي.

---

١ ـ البقرة / ١٣٣.

٢ ـ انظر: سورة الحجر، والشعراء، و القمر.

٣ ـ إبراهيم / ٣٩.

أمّا القرآن الكريم فإنّه تحدّث عن وقائع قصّة إسماعيل على النحو التالي:

﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعىَ قالَ يا بُنَىَّ إنّى أرىٰ فى المَنامِ أَنّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ آفعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنى إنْ شَاءَاللهُ مِنَ الصّابِرينَ﴾.[1] و كما نعلم فإن الله سبحانه قد فداه بكبش، و نجّىٰ إسماعيل من الموت.

٣ـ إسماعيل و إسحاق عليهما السلام

ونقرأ عن إبراهيم عليه السلام في التوراة:

(١) لاتخفْ يا أبرام. أنا ترس لك، و أجرك عظيم جداً (٢) أيّها السيّد الرب ماذا تعطيني؟ إني منصرف عقيماً، و قيّم بيتي هو أليعازَر الدمشقي (٣) وقال أبرام: إنك لم ترزقني نسلاً فهوَ ذا ربيب بيتي يرثني (٤) فإذا بكلمة الربّ إليه قائلاً: لن يرثك هذا بل من يخرج من أحشائك هو يرثك (٥) ثم أخرجه إلىٰ خارج، وقال: انظر إلى السماء و أحصِ الكواكب إن آستطعت أن تحصيَها، وقال له: هكذا يكون نَسلك.... (١٨) في ذلك اليوم قطع الرّب مع أبرام عهداً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات[2].

ثمّ إن التوراة تخصّ العهد المذكور بإسحاق جدّ بني إسرائيل، و تقول في سِفر التكوين:

(١٨) فقال إبراهيم لله: لو أن إسماعيل يحيا أمام وجهك. (١٩) فقال الله: بل سارة امرأتك ستلد لك ابناً و سمِّه و أُقيم عهدي معه عهداً أبدياً لأكون له إلهاً ولنسله من بعده. (٢٠) و أما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه وها أناذا أباركه و أنمّيه و أُكثره جداً جداً و يلد اثني عشر رئيساً و

١ـ الصافات / ١٠٢.

٢ـ سفر التكوين: ١٥ / ١ ـ ١٨.

أجعله أمة عظيمة (٢١) غير أن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في مثل هذا الوقت من السنة المقبلة.[١]

ورد في التوراة أن الله سبحانه كان قد وعد إبراهيمعليه السلام بالبركة في نسله مراراً، و قد رُزق من جاريته هاجر ولداً اسمه إسماعيل (و يعني يسمع الله)، و بعد مضي (١٤) عاماً رُزق من زوجه سارة ولداً اسمه إسحاق (ويعني يضحك).

وقد أوجزت التوراة الكلام في هذه الواقعة، و اكتفت بالإشارة إلىٰ أن إسماعيلعليه السلام سكن فاران، و أن أمه اختارت له زوجة من مصر، و أعرضت عن الخوض في تفاصيل حياته، حتىٰ أنها لم تتحدّث بجملة واحدة عن بناء الكعبة.

و طبقاً لما جاء في الروايات الإسلامية فإن العثور على الماء لأجل إسماعيل، إنما كان في مكة المكرمة، ويُعرف اليوم ببئر زمزم، في حين تقول التوراة إن ذلك كان في مكان يُدعىٰ بئر شِبَع.

وجاء في التوراة أيضاً أنّ إسحاقعليه السلام ورث إبراهيمعليه السلام و أنه رُزق توأمين، سمّىٰ أحدهما عيسو (ويعني لغةً كثيف الشعر، و كان هو كذلك عند ولادته)، و سمّىٰ الآخر يعقوب (ويعني يتعقب) لان ولادته أعقبت ولادة شقيقه التوأم.

٤ ـ إسرائيل

كان ليعقوبعليه السلام اثنا عشر ولداً، ولُقّب بإسرائيل. هذا الاسم المركّب فسّره أهل الكتاب بمن نال الظفر على الله، وأصل المعنىٰ في العبرية هو من انتصر علىٰ خصمه الشجاع. وقد ورد في التوراة أن يعقوب صارع الله سبحانه فغلبه، فأُطلق عليه إسرائيل[٢]، و لكنّ أهل

---

١ ـ سفرالتكوين : ١٧ / ١٨ـ ٢١.

٢ ـ راجع : سفر التكوين : ٣٢ / ٢٤ ـ ٣٢.

الكتاب قالوا ـ منذ القدم ـ إن المقصود من الله في القصة المذكورة، هو أحد ملائكته.[١]

و بعد سرد عدة مقاطع، وردت حادثة فقد يوسف عليه السلام، و ما أسفر عنها من استقرار بني إسرائيل في أرض مصر، و بها تختتم مطالب سفرالتكوين من التوراة.

ونطالع في سفر الخروج من التوراة أنه توفّر لبني إسرائيل عيش رغيد في أرض مصر، و تكاثر نسلهم فيها، و أن إقامتهم في مصر كانت أربعمائة و ثلاثين عاماً.[٢]

وتقدّم بنو إسرائيل (وهم اثنا عشر قبيلة أُطلق على كل منها السبط) في العلوم و الفنون، مما أثار حسد و خشية المصريين من نفوذهم و تهديدهم للحكم، و لهذا قرّروا استضعاف بني إسرائيل، و العهدة إليهم بالأعمال الشاقة، كما استقرّ رأيهم علىٰ أن يذبّحوا أبناءهم و يستبقوا بناتهم.

٥ ـ ديانة قاطني الصّحراء

عاش العبرانيون في بداية أمرهم حياة البداوة، ثم بدأوا في الاستقرار بالمدن في عهد النبي يوسف عليه السلام.[٣] وقد أثّرت حياتهم البدوية تأثيراً بالغاً علىٰ اعتقاداتهم و طقوسهم الدينية.

ولما نجّىٰ موسىٰ بني إسرائيل من جور فرعون، تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة، ثم عاشوا حياة الاستقرار في المدن و أسّسوا حضارة هي ميراث قيّم لليهود. و ما المسيحية إلّا نتاج لتلك الحضارة.

---

١ ـ راجع : سفر هوشع : ١٢ / ٣ ـ ٤.
٢ ـ راجع : سفر الخروج : ١٢ / ٤٠.
٣ ـ ورد هذا الموضوع في سورة يوسف، الآية ١٠٠.

٦ ـ تبدّل الأفكار عند بني إسرائيل

إنّ تبدّل أفكار الشعوب أمر طبيعي وليس بغريب، وقد تأثّر العبرانيون خلال تنقّلهم و ارتحالهم من مكان إلىٰ آخر بأفكار شعوب مختلفة، و في هذا الصدد جاء في سورة الأعراف، الآية ١٣٨ أن بني إسرائيل حينما جاوزوا البحر صادفوا قوماً يعكفون علىٰ أصنام لهم، فطلبوا من موسىٰ عليه السلام أن يجعل لهم صنماً يعبدونه، فأنكر عليهم هذا الطلب أشدّ الإنكار.

و تأثّر بنو إسرائيل أيضاً لما استقروا بمصر بمعتقدات المصريين، إذ عهدوا بعد مبارحتهم أرض مصر إلىٰ تقليد المصريين في تقديسهم للعجل، فصنعوا عجلاً، و راحوا يعبدونه.

٧ ـ موسىٰ عليه السلام

نطالع في الاصحاح الثاني من سفر الخروج من التوراة:

«ومضىٰ رجل من آل لاوي،[١] فتزوّج بابنة لاوي، فحملت المرأة وولدت ابناً، ولما رأت أنه جميل، أخفته ثلاثة أشهر، ولما لم تستطع أن تخفيه بعد، أخذت له سلّة من البردي و طَلَتْها بالحُمَر و الزّفت، وجعلت الولد فيها ووضعتها بين القصب علىٰ حافة النهر، ووقفَت أخته من بعيد لتعلم ما يحدث له، فنزلت ابنة فرعون إلىٰ النيل لتغتسل، و كانت وصائفها يتمشّين علىٰ شاطىء النيل، فرأت السلة بين القصب، فأرسلت

---

١ ـ اسمه في الأخبار الإسلامية عمران، و في التوراة عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب (سِفر الخروج : ٦ / ١٤ ـ ٢٠).

خادمتها فأخذتها و فتحتها، ورأت الولد فإذا هو صبي يبكي، فاشفقت عليه، و قالت: هذا من أولاد العبرانيين. فقالت أخته لابنة فرعون: هل أذهب و أدعو لك مرضعاً من العبرانيات ترضع لك الولد. فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي، فذهبت الفتاة و دعت أم الولد. فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي بهذا الولد فارضعيه لي، و أنا أُعطيك أُجرتك. فأخذت المرأة الولد و أرضعته، ولما كبر الولد، جاءت به ابنة فرعون فأصبح لها ابناً، و سمّته موسىٰ، وقالت: لأني انتشلته من الماء».

هذه الحادثة تشبه إلىٰ حدّ كبير ماجاء في سورة القصص منالقرآن الكريم، وطبقاً للحساباتالتاريخية، فإنها وقعت فيحدود عام ١٢٥٠ ق. م.

وعلىٰ أية حال، فقد نظم موسىٰ أمور قومه، وأعدّهم لقتال الكافرين، وعلّمهم أحكام الله، وبارك فيهم، ثم توفّي في مكان يُعرف بـ «موآب» بالقرب من البحر الميّت، وقد بلغ مائة و عشرين عاماً، و أقام بنو إسرائيل الحداد عليه لمدّة ثلاثين يوماً. هذه الوقائع نقلت في آخر سفر التثنية، و بها خُتمت التوراة:

«...(٥) فمات هناك موسىٰ عبد الرب في أرض موآب بأمر الرب و دفنه (٦) في الوادي في أرض موآب تجاه بيت فعور و لم يعرف أحد قبره إلىٰ يومنا هذا (٧) و كان موسىٰ ابن مئة و عشرين سنة حين مات و لم يكلّ بصره و لم تذهب نضرته (٨) فبكىٰ بنو إسرائيل علىٰ موسىٰ في برِّيَّة موآب ثلاثين يوماً إلىٰ أن انقضت أيام الحزن علىٰ موسىٰ (٩) أما يشوع بن نون فمليء روح حكمة، لأن موسىٰ وضع عليه يديه فأطاعه بنو إسرائيل و عملوا كما أمر الربّ موسىٰ (١٠) ولم يقم من بعد في إسرائيل نبي كموسىٰ الذي عرفه الربّ وجهاً لوجه (١١) في جميع

الآيات والخوارق التي أرسله الربّ ليصنعها في أرض مصر بفرعون و جميع رجاله و كل أرضه (١٢) و في كل يد قوية وكل مخافة عظيمة صنعها موسىٰ علىٰ عيون إسرائيل كله.

٨ـ تأسيس اليهودية

نطالع في الاصحاح الثالث من سفر الخروج أنه تراءىٰ لموسىٰ علىٰ جبل حوريب في صحراء سيناء ملاك الرب في لهيب نار من وسط عُلّيقة و تكلّم معه.

وورد في القرآن الكريم أن أول كلام لله سبحانه مع موسىٰ عليه السلام، كان من شجرة في وادي طوىٰ:

﴿فلمّا قَضىٰ موسى الأَجَلَ و سارَ بأهلِهِ آنَسَ من جانب الطُّور ناراً قالَ لِأَهلِهِ آمكثوا إنّي آنَسْتُ ناراً لَعلّي آتيكُم مِنْها بِخَبَرٍ أوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ لَعَلّكُم تصْطَلون. فَلمّا أتاها نُودي من شاطِيءِ الوادِ الأَيْمَنِ في البُقْعَةِ المُبارَكةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أنْ يا موسىٰ إنّي أنا اللهُ ربُّ العَالَمينَ﴾[1]

وطبقاً لما جاء في التوراة، فإن الله تعالىٰ وعد موسى أن يفكّ أسر بني إسرائيل من أيدي المصريين، و أن يهبهم أرض كنعان المباركة، و انطلاقاً من ذلك فقد تلقّىٰ أمراً بالذهاب إلىٰ فرعون، و يطلب منه أن يترك بني إسرائيل وشأنهم، و تقرّر أن يؤازره هارون في هذه المهمة.

و ورد في التوراة أن الله سبحانه زوّد موسى عليه السلام بمعجزة تبديل عصاه إلىٰ ثعبان، وظهور نور ساطع من يده، فجمع فرعون السحرة لأجل منازلة موسىٰ عليه السلام، فابتلع الثعبان

١ـ القصص / ٢٩ ـ ٣٠.

جميع أدوات سحرهم، فأدرك السحرة آنذاك أن ماجاء به موسىٰ عليه السلام ليس من السحر في شيء.

وورد في القرآن المجيد أنهم آمنوا بموسىٰ عليه السلام غير هيّابين ولاوجلين من فرعون ثم أنزل الله ـ عقب هذه المعجزات ـ صوراً من العذاب على المصريين. و في كل مرة يقطع فرعون علىٰ نفسه عهداً بفك أسر بني إسرائيل. إلّا أنه لم يفِ بوعده قط. وقد أشارت التوراة إلىٰ عشرة أنواع من العذاب:

١ ـ تبديل مياه المصريين إلى دم.

٢ ـ ازدياد عدد الضفادع.

٣ ـ ازدياد البراغيث.

٤ ـ ازدياد الذباب.

٥ ـ موت دواب المصريين إثر تفشي الوباء.

٦ ـ إصابة المصريين و دوابّهم بالدُّمّل.

٧ ـ إصابتهم بالبَرَد، و تلف المزارع و الحيوانات.

٨ ـ ازدياد الجراد.

٩ ـ حلول الظلام في مساكنهم لمدّة ثلاثة أيام.

١٠ ـ هلاك المواليد الأبكار للمصريين (حتى فرعون) و حيواناتهم.

و سرد القرآن الكريم تسع معجزات لموسىٰ[١] و الظاهر أن المقصود منها هي المعجزات التي جاء بها لفرعون، و إلا فصريح القرآن الكريم، والتوراة أن معجزاته فاقت هذا العدد، و قد ذكر القرآن بعض أنواع العذاب السالفة الذكر.[٢]

و بناءً علىٰ ماورد في التوراة، فإنّ فرعون قد رضخ في النهاية للأمر الواقع، فأرسل إلىٰ

---

١ ـ الإسراء / ١٠١.

٢ ـ الأعراف / ١٣٠ ـ ١٣٣.

موسىٰ وهارون ليلاً، و أذن لهم بالخروج ببني إسرائيل. فخرج بنوإسرائيل إلى جهة البحر الأحمر شرقي مصر و نصبوا هناك خيامهم، إلّا أنّ فرعون سرعان ما نَدِم، فأتبعهم بجنوده، فلحق بهم و قد بلغوا شاطىء البحر، فلما رأىٰ قوم موسىٰ فرعون و جنوده من بعيد، حينها رفع موسىٰ يده إلى البحر، فانفلق، فتجاوزه بنو إسرائيل إلى الشاطيء الثاني، فلما تبعهم جنود فرعون في البحر، أشار موسىعليه السلام بيده بأمر من الله سبحانه، فَغرقوا جميعاً. أما غرق فرعون نفسه، فلم تُفصح عنه التوراة.

و يظهر من القرآن الكريم و الأحاديث أن بني اسرائيل خرجوا من مصر بأمرٍ من الله سبحانه، لا بإذن فرعون[1]، كما صرّح القرآن الكريم بأنّ موسىٰعليه السلام ضرب بعصاه البحر بأمرٍ منه تعالىٰ، لا أنه مدّ يده جهة البحر.

و قد مكث بنو اسرائيل أربعين سنة في شبه جزيرة سيناء، و هي مدّة التيه التي تعرضوا لها، و كانوا يأكلون فيها المنّ و السلوىٰ النازلَيْن من السماء.

و أطلقت التوراة اسم المنّ على الغذاء النازل، لأن بني إسرائيل أخذوا يتساءلون ـ عند رؤيتهم له ـ بقولهم بالعبرية: «مان هوء»؟، وتعني ما هذا؟

٩ـ الألواح و الوصايا العشر

و لمّا مرّت ثلاثة أشهر علىٰ خروج بني إسرائيل من مصر، عُهد إلىٰ موسىعليه السلام أن يتكلم مع الله سبحانه في وادي طور سيناء. و هناك تلقّىٰ لَوْحين نُقشت فيهما وصايا الله سبحانه. و قد عبّر عنها القرآن بصيغة الجمع، الألواح.[2] و تبرز من بينها عشر وصايا مهمة للغاية و اشتهرت باسم الوصايا العشر، و هي:

١ـ الربّ إلهٰك، فلا يكن لك آلهة أخرىٰ أمامي.

١ـ الشعراء / ٥٢.
٢ـ الأعراف / ١٤٥.

٢ـ لا تسجد للأوثان.

٣ـ لا تنطق باسم الربّ باطلاً.

٤ـ أذكر يوم السبت لِتُقدِّسه.

٥ ـ أكرم أباك و أمّك.

٦ـ لا تقتل.

٧ـ لاتزنِ.

٨ـ لا تسرق.

٩ـ لا تشهد علىٰ قريبك شهادة زور.

١٠ـ لا تشتهِ أموال قريبك و عِرضه.

و قد وردت تفصيلات هذه الأحكام في الاصحاح (٢١) من سفر الخروج.

١٠ـ عبادة العِجل

تقول التوراة انه لما أبطأ موسىٰ في عودته من طور سيناء، قصد بنو إسرائيل هارون، و طلبوا منه أن يقيم لهم إلـٰها يعبدونه، و أتوْا إليه بما يملكونه من ذهب، فصنع منه عجلاً مسبوكاً، و رغّبهم إلىٰ عبادته.

أطلَعَ الله سبحانه موسىٰ علىٰ هذا الأمر، و أراد إهلاكهم، إلّا أنه صرف عنهم العذاب إثر شفاعة موسىٰ عليه السلام.

أخذ موسى اللّوحيْن و رجع إلىٰ بني إسرائيل، فلمّا رأىٰ أعمالهم القبيحة، ضرب باللّوْحين الأرض، و قبّح فعل أخيه، وأحرق العجل و ألقىٰ برماده في الماء، و شرّبه بني إسرائيل، ثمّ أمرهم بأن يسلّوا سيوفهم و أن يقتل بعضهم بعضاً لمّدة نصف يوم.

القرآن الكريم أورد هذه القصّة و في مواضع مختلفة منه، وفق الصورة المذكورة، إلّا أنه

نزّه الساحة المقدسة لهارونعليه السلام عن ارتكاب هذا العمل القبيح (طه / ٩٠)، و عزا صنع العجل إلىٰ شخص يُعرف بالسامريّ.

وقد اعترض أهل الكتاب علىٰ كلمة السامريّ الواردة في القرآن الكريم، و قالوا إن شخصاً مثل هذا لاوجود له، لأن السامريّ منسوب إلىٰ مدينة السامرة في فلسطين، و هذه المدينة شيّدها الملك (عُمْرىٰ) الذي ظهر بعد موسىٰعليه السلام بسنوات طويلة.(١)

وأجاب عنه العلامة البلاغيرحمه الله بقوله: إنّ ثَمّة شخصاً في بني إسرائيل يُدعىٰ شمرون بن يشاكر بن يعقوب، و يُطلق علىٰ عشيرته لقب الشمروني،(٢) و تُلفظ الشمروني في اللغة العربية بالسامري.(٣)

و صرّحت التوراة بأن الله سبحانه أمر موسىٰعليه السلام أن ينحتَ لوحين آخرين، لكي يكتب فيهما وصاياه.

١١ ـ التوراة أو تاريخ اليهود

التوراة لفظ عبري، يعني القانون، إذ احتوت علىٰ أحكام و قوانين كثيرة. والشريعة هي الاسم الآخر للتوراة.

لقد ميّز الباحثون أربعة مصادر أو أساليب تدوين رئيسية للتوراة هي:

١ ـ مصدر الوهيمي (E) و يتضمّن مقاطع من التوراة ورد فيها اسم الوهيم (أي الاله).

٢ ـ مصدر يهْوَهي (J) و يتضمّن مقاطع من التوراة ورد فيها اسم يهوه.

٣ ـ مصدر كاهني (P) و يتضمّن مقاطع من التوراة تبحث في الكهنوت اليهودي.

٤ ـ مصدر سفر التثنية (D) و هو رسالة مستقلة أضيفت كسفر خامس إلىٰ التوراة.

---

١ ـ سفر الملوك الأول: ١٦ / ٢٤. ٢ ـ التكوين: ٤٦ / ١٣؛ الأعداد: ٢٦ / ٢٤.

٣ ـ البلاغي، محمد جواد، الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ: ١ / ٩٨ ـ ٩٩، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٣١ هـ.

إنّ أحد أقدم و أشهر الانتقادات الّتي كُتبت حول التوراة و الكتاب المقدس، هي للعالم و الفيلسوف الهولندي باروخ (بنديكت) سبينوزا (Baruch [Benedict] Spinoza) حيث وردت في كتابه المسمّىٰ «**رسالة في اللاهوت و السياسة**» (باللغة اللاتينية).

تعرّض سبينوزا في كتابه إلىٰ ضرورة البحث عن مدى اعتبار الكتاب المقدس من خلال التطرق إلىٰ شواهده التاريخية و النقدية المطروحة، و دعم موقفه بأدلة كثيرة، و تأسف لكون القدماء تركوا الخوض في هذا الباب، و إذا كتبوا فيه شيئاً، فإنه بقي بعيداً عن الأضواء، و أضاف: إننا نعيش في ظروف راجت فيها مسائل، تعصّب لها الناس، و أطلقوا عليها اسم الدين دون أن يحكّموا العقل فيها. من هنا فإني عقدت العزم علىٰ المضيّ في هذا السبيل بشعور غامر باليأس، و أشرع ـ كخطوة أولىٰ ـ في البحث عن مصنِّفِي الكتاب المقدس، لاسيما الأسفار الخمسة للتوراة.

يعتقد جميع أهل الكتاب تقريباً أنّ موسىٰ عليه السلام هو مصنّف التوراة، و أصرّت فرقة الفريسيين من اليهود علىٰ هذا الاعتقاد، و اعتبرت من يخالفه مرتدّاً. لهذا لم يجرؤ ابن عزرا، و هو عالم متفتح الذهن علىٰ إظهار وجهة نظره في هذا الموضوع، بل اكتفىٰ بإشارات مبهمة إلىٰ عدم صواب هذا الاعتقاد، حيث قال: أمّا أنا فسوف أميط اللثام عن مغزىٰ كلام ابن عزرا دون خشية و خوف، و سوف أصحر بالحقيقة للجميع.[١]

ثم بحث سبينوزا الأسفار الخمسة للتوراة بحثاً علمياً، و أثبت أن مصنّف التوراة لايمكن أن يكون موسىٰ عليه السلام، بل هو شخص آخر عاش بعد موسىٰ. و بالطبع فإنّ بعض عبارات التوراة الحالية (مثل سفر الخروج : ١٧ / ١٤، و سفر الأعداد : ٢١ / ١٤) توحي

١ ـ Spinoza Benedict de, A Theologico - Political Treatise, ch VIII.

إلىٰ أنّ موسىٰ عليه‌السلام كانت له مكتوبات أيضاً.

١٢ ـ العهد القديم

العهد القديم اسم أطلقه النصارىٰ على الكتاب المقدس لليهود في مقابل عهدهم الجديد. و يؤمن النصارىٰ بالعهدين علىٰ حد سواء. وقد كُتب العهد القديم باللغة العبرية و قليل منه باللغة الكلدانية، و هما ـ نظير اللغة العربية ـ من اللغات السامية. و يبتدأ العهد القديم بكتاب التوراة.

و تتوفر نسخة من العهد القديم كُتبت باللغة اليونانية مترجمة عن اللغة العبرية، و سمّيت بالترجمة السبعينية. و يقال إن هذه الترجمة تمّت بمشاركة (٧٢) شخصاً و بأمر بطليموس فيلادلفوس ملك مصر في حدود سنة ٢٥٨ ق. م. و هذه النسخة تختلف مع الأصل العبري اختلافا يسيراً و أهمّ من ذلك أنها تشتمل علىٰ أقسام ليست موجودة في النسخة العبرية، أطلق عليها أبوكريفا (Apocrypha)، و أصبحت مثاراً للشك منذ عصور قديمة، إلّا أنّها نالت إقبالاً من النصارىٰ. و في ظل أحداث نهضة الإصلاح الديني (أي ما يقرب من خمسة قرون) ساورت البروتستانت شكوك حولها. و في عام (١٨٢٦ م) عمدت الجمعية البريطانية و الجمعية الأمريكية و بشكل رسمي إلىٰ طبع الكتاب المقدس بحذف الأجزاء المذكورة منه، ممّا أثار حفيظة الكنائس الكاثوليكية و الأرثوذكسية.

وحان الآن الكلام عن الإرجاع إلى الكتاب المقدس:

يعلم الجميع كيفية الإرجاع إلى القرآن الكريم، و يُعلم أنه بدل ذكر الصفحة يُذكر اسم السورة و رقم الآية. وهذا الاسلوب عُمل به في الكثير من الكتب القديمة و المشهورة، كما هو المشاهد في آثار افلاطون و أرسطو و هوميروس و هيرودوتس و شكسبير و غيرهم. و وضعت لأجل الإرجاع إلىٰ هذه الآثار تدابير معينة، حيث قُدّمت تمهيدات و أبواب و

فصول و أرقام للحيلولة دون الاقتصار علىٰ طبعات خاصة و محدودة، و لكي يسهل تناولها من قبل الجميع.

فحين الإرجاع إلى الكتاب المقدس يذكر أولاً اسم الكتاب، ثمّ رقم الاصحاح، و أخيراً رقم الفقرات. مثلاً: لما يُقال (التكوين : ١ / ٢٧) فهو يعني سفر التكوين، الاصحاح ١، الفقرة ٢٧.

و للعهد القديم (٣٩) سفراً، و يمكن تقسيم مواضيعه إلىٰ ثلاثة أقسام رئيسية، هي:

١ ـ القسم التاريخي للعهد القديم.

٢ ـ الحكمة، الأناشيد و الشعر.

٣ ـ تنبّؤات الأنبياء.

١ ـ ١٢. القسم التاريخي للعهد القديم

يبدأ القسم التاريخي للعهد القديم بالتوراة، و تبدأ التوراة بسِفْر التكوين الذي يتضمّن خلق العالم، قصة آدم و حواء و أكلهما من شجرة المعرفة و إخراجهما من جنة عدن، أخبار أولادِ آدم، و طوفان نوح، و أخبار إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام. أما الأسفار الأربعة اللاحقة، فإنها تتناول سيرة موسى عليه السلام ـ التي تتضمن ولادته، و كيفية بعثته و هجرته (خروجه من مصر عام ١٢٩٠ ق. م.) و تأسيسه للحكم، و وفاته ـ و تاريخ بني إسرائيل، إضافة إلىٰ وجود عدد كبير من الأحكام والقوانين في الأسفار الأربعة ضمن العبارات المنسوبة إلى الوحي.

و حسب عقيدة اليهود و النصارىٰ، فإن مؤلف الأسفار الخمسة هو موسىٰ عليه السلام. و يعقب الأسفار الخمسة اثناعشر سفراً، تشتمل علىٰ تاريخ بني إسرائيل منذ عهد يوشع عليه السلام فما بعده.

و علىٰ أية حال، فإن هذا القسم يضم (١٧) سفراً:

١ ـ سفر التكوين (خلق العالم، و أخبار آدم، و نوح، و إبراهيم، و إسماعيل، و إسحاق،

و يعقوب و يوسف).

٢ ـ سفر الخروج (ولادة موسىٰ و بعثته، خروج بني إسرائيل من مصر إلى سيناء، الأحكام الشرعية).

٣ ـ سفر اللاويين (أحكام الأحبار، أي علماء اليهود من نسل هارون و سبط لاوي).

٤ ـ سفر الأعداد (إحصاء نفوس بني إسرائيل في عهد موسىٰ عليه السلام، الشريعة، و تاريخ بني إسرائيل).

٥ ـ سفر التثنية (تكرار الأحكام في الأسفار السابقة و تاريخ بني إسرائيل إلىٰ رحيل موسى عليه السلام).

ويطلق علىٰ مجموع هذه الأسفار الخمسة اسم التوراة.

٦ ـ سفر يوشع (سيرة يوشع بن نون خليفة موسىٰ عليه السلام).

٧ ـ سفر القضاة (تاريخ قضاة بني إسرائيل قبل مجيء الملوك).

٨ ـ سفر راعوث (سيرة امرأة تدعىٰ راعوث إحدىٰ جدات داود عليه السلام).

٩ ـ سفر صموئيل الأول (تاريخ النبي صموئيل، و نصب شاؤول ـ يعني طالوت ـ ملكاً).

١٠ ـ سفر صموئيل الثاني (حُكم داود عليه السلام).

١١ ـ سِفْر الملوك الأول (استمرار حُكم داود و حُكم سليمان و خلفائه).

١٢ ـ سفرالملوك الثاني (أخبارملوك بنيإسرائيل حتىٰ حملة نبوخذنصّر و جلاء بابِل).

١٣ ـ سفر أخبار الأيام الأول (وفيه الحديث عن نسب بني إسرائيل و تاريخهم حتىٰ وفاة داود).

١٤ ـ سفرأخبار الأيام الثاني (و فيه أخبارسليمان و مابعده من الملوك حتىٰ جلاء بابل).

١٥ ـ سفر عزرا (إعادة بناء أورشليم ـ بيت المقدس ـ و عودة بني إسرائيل إليها مع عُزَيْر).

١٦ ـ سفر نَحَميا (إعادة بناء أورشليم علىٰ لسان نحميا ساقي الملك أردشير، أول ملوك السلالة الهخامنشية).

١٧ ـ سفر استير (وفيه الحديث عن خطة وضعتها استير زوجة الملك خشايارشا اليهودية ـ المدفونة في مدينة همدان الإيرانية ـ لاحباط مؤامرة دُبرت لإبادة اليهود).

٢ ـ ١٢. الحكمة، الأَناشيد و الشعر

يشتمل هذا القسم علىٰ خمسة أسفار، و هي:

١ ـ سفر أيوب (تعرّض إلىٰ ابتلاء أيوب عليه السلام، و صبره و سخطه ـ علىٰ حدّ تعبير هذا السفر ـ)

٢ ـ سفر المزامير و يعني زبور داود (و هو مجموعة تتألف من ١٥٠ مزموراً).

٣ ـ سفر أمثال النبي سليمان عليه السلام (وهو مجموعة نصائح).

٤ ـ سفر الجامعة (وهو من الشعر، فيه تشاؤم و تشكيك حول الدنيا).

٥ ـ سفر نشيد الأناشيد (وهو مجموعة أشعار غزلية).

٣ ـ ١٢. تنبّؤات الأَنبياء

و يشتمل هذا القسم علىٰ تحذيرات و تهديدات تحوم حول عاقبة بنيإسرائيل، و لابدّ للقارىء من أن يحيط علماً بتاريخ تلك العصور لكي يقف علىٰ مغزىٰ تنبّؤات الأنبياء.

و يضمّ هذا القسم (١٧) سفراً:

١ ـ سفر إشعيا (و هو أطول وأشهر سفر للتنبّؤات في العهد القديم).

٢ ـ سفر إرميا

٣ ـ سفر مراثي إرميا (مراثي إرميا علىٰ أنقاض أورشليم)

٤ ـ سفر حزقيال

٥ ـ سفر دانيال (تنبّؤات النبي دانيال المدفون في مدينة شوش الإيرانية)

٦ ـ سفر هوشع

٧ ـ سفر يوئيل

٨ ـ سفر عاموس

٩ ـ سفر عوبديا

١٠ ـ سفر يونس (قصة مكثه في بطن الحوت)

١١ ـ سفر ميخا

١٢ ـ سفر نحوم

١٣ ـ سفر حَبَقّوق (تنبّؤات النبي حبقّوق المدفون في مدينة تويسركان الإيرانية)

١٤ ـ سفر صفنيا

١٥ ـ سفر حجّاي

١٦ ـ سفر زكريا

١٧ ـ سفر ملاخي

٤ ـ ١٢. أبوكريفا العهد القديم

و جاء الآن دور الحديث عن أسفار أبو كريفا العهد القديم، و لكن قبل الشروع في ذلك؛ لابدّ من أن نشير إلىٰ أنّ نُسَخ الكتاب المقدس التي تحتوي علىٰ أبوكريفا تختلف فيما بينها في عدد أسفار أبوكريفا و في ترتيبها. ومصدر أغلب هذه الأسفار هي الترجمة السبعينية. و تتوفّر منها نسخ باللغة العربية و الإنجليزية و لغات أخرىٰ. و النسخة المدوّنة باللغة العربية تشتمل على (١٠) أسفار، هي:

طوبيا، و يهوديت، و استير، و الحكمة، و يشوع بن سيراخ، و باروخ، و صحيفة إرميا، و دانيال، و المكابيين الأول، و المكابيين الثاني.

١٣ ـ العقائد و الأحكام الدينية

أضفىٰ العالم الديني اليهودي الطبيب الفيلسوف موسى بن ميمون (١١٣٥ ـ ١٢٠٤ م). أضفىٰ على اليهودية ثوباً جديداً، حين قام باعداد ثلاثة عشر أصلاً، هي كالتالي:

١ ـ وجود الله.

٢ ـ توحيده.

٣ ـ تجرّده عن المادة.

٤ ـ تجرّده عن الزمان.

٥ ـ حكمته.

٦ ـ عدالته.

٧ ـ التقرّب إليه بالعبادات.

و هذه جميعها تتعلق بالله سبحانه، أما سائر الأمور، فهي:

٨ ـ الاعتقاد بالنبوة.

٩ ـ أفضلية موسى عليه السلام علىٰ سائر الأنبياء.

١٠ ـ الإيمان بأن التوراة كتاب سماوي.

١١ ـ عدم جواز نسخ الأحكام.

١٢ ـ ظهور المسيح الموعود.

١٣ ـ القيامة و خلود النفس الإنسانية.

١ ـ ١٣. الله في الديانة اليهودية

أُقيمت دعائم اليهودية (كالإسلام و المسيحية) في البداية علىٰ التوحيد، و نهض جميع أنبيائهم من موسىٰ عليه السلام حتىٰ آخرهم لمكافحة الشرك.

و كان أتباع الأديان التوحيدية يغفلون أحياناً عن دينهم، و يُقبلون علىٰ ألوان من الشرك. هذه المسألة لم تغيّر من وجهة نظر الباحثين حيال أصل الأديان التوحيدية، حيث أنهم ـ مع صرف النظر عن شطحات أتباع دينٍ ما ـ قسّموا أصل الأديان و علىٰ ضوء تحقيقاتهم إلىٰ قسمين:

أ ـ الأديان التي تحذّر الناس من الشرك كالأديان الإبراهيمية.

ب ـ الأديان التي تحبّذ للناس الشرك كالأديان الشرقية.

إنّ الاسم الخاص لله سبحانه في الديانة اليهودية هو (يهوه) و يعني الموجود. و قد حظي هذا الاسم بقدسية بالغة لدىٰ اليهود، و أنّ تلفّظه حتّى من خلال قراءة التوراة يُعدّ حراماً، و على إثر هذا التحريم فإنّ أحداً لايعلم علىٰ وجه الدقّة التلفظ الحقيقي لهذه الكلمة، ولهذا فإنها تُكتب في بعض الكتب العلمية للغرب بدون حركات (YHWH) عملاً بالاحتياط العلمي.

و يعتقد بعض الباحثين أن التلفّظ الحقيقي لهذه الكلمة هو (يَهْوَهْ). و لمّا أُقيم هيكل سليمان، أُعطي الحق لأعظم الكهنة في أن يتلفظ في كل سنة مرّة باسم (يَهْوَه). وذلك في يوم عاشوراء بالتقويم اليهودي (العاشر من شهر تِشْري، في أوائل الخريف) و في مكان يُعرف بقدس الأقداس من الهيكل. و عند تلاوة التوراة تبدل (يَهْوَهْ) إلىٰ إدوناي و تعني سيدي، و تضبط حركاتها على الكلمة المذكورة، فتلفظ أحياناً (يِهُوَهْ)[١].

و من الأسماء الأخرىٰ لله هي (إهْيِهِ أشِرْ إهْيِه). وقد ورد هذا الاسم في سفر الخروج:

---

١ ـ أبوالبختري وهب بن وهب، أحد الوضّاعين للحديث في بداية العصر العباسي، أورد في أحد أحاديثه لفظة (ياهو) باعتبارها الاسم الأعظم. وقد راق هذا الأمر للصوفية التي راحت تروّج له، في حين أن هذا التركيب (ياهو) مخالف لمباني القواعد العربية، و هو مقتبس من (يهوه). جدير بالذكر ان (يهو) و (يا هو) كانت أسماءً لبعض أوثان الشرق الأوسط القديم.

٣/ ١٤ وفي بعض الأدعية الإسلامية (مثل دعاء عرفة) إلّا أنّه صُحّف إلىٰ آهِيّاً شَراهِـيّاً بسبب قلة اطّلاع بعض النّسّاخ.

١٤ ـ ظهور الأنبياء

يؤمن اليهود بالنبوة، و لهم فيها أبحاث كلامية واسعة، إلّا أنهم فسّروها بتفسير خاص، هو التنبّؤ، و زعموا أنّ أنبياء كباراً كإشعيا، إرميا، حزقيال، و هوشع كانوا أنبياء، أي متنبّئين بالمستقبل.

وقد ذكر العهد القديم العديد من الأنبياء[1] مثل إشعيا و إرميا و عاموس، و أورد خطاباتهم التي حذروا فيها بني إسرائيل من مغبّة أعمالهم القبيحة، و تنبّأوا لهم فيها بالذلّة و الهوان و الأسر، و لكن هذه الخطابات لم تجد أذناً صاغية عند بني اسرائيل الذين راحوا يُؤذون أنبياءهم و يقتلون بعضهم (وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الأمور كثيراً). وقد اشتمل (١٧) سفراً من الأسفار المذكورة في نهاية العهد القديم ـ والتي تُعرف بالأسفار النبوية ـ علىٰ هذه التنبّؤات.

ذكر القرآن الكريم أسماء (٢٦) نبياً، منهم عشرون نبياً جاءت أسماؤهم في الكتاب المقدس، و هم: آدم، و نوح، و إبراهيم، و لوط، و إسماعيل، و إسحاق، و يعقوب، و يوسف، و موسىٰ، و هارون، و داود، و سليمان، و إلياس، و اليسع، و عُزيْز (عزرا)، و أيوب، و يونس، و زكريا، و يحييٰ، و عيسىٰ.

أما الستة الباقون فهم: إدريس، و شعيب، و ذو الكفل، و هود، و صالح، و محمد صلى الله عليه وآله.

---

١ ـ وردت أسماء بعض هؤلاء الأنبياء في دعاء (١٥) رجب، المعروف بدعاء أمّ داود.

١٥ ـ حكم بني إسرائيل

خَلَف يوشع بن نون عليه السلام موسىٰ عليه السلام في قيادة قومه بأمرالله سبحانه، و قام بـفتح بـلاد كنعان بعد عبور نهر الأردن الممتد من شمال فلسطين إلى جنوبها، حيث تعرّض السكّان الأصليون لتلك البلاد ـ وفقاً لادّعاء العهد القديم ـ إلى قتل عام، و اختصّت أراضيهم ببني إسرائيل. وقد نقل السفر السادس للعهد القديم (المعروف بسفر يـوشع) تـفاصيل هـذه الحروب. ثم ظهر بعد يوشع عليه السلام رجال كبار عرفوا بالقضاة، حكموا بني إسرائيل دون أن يكون لهم عنوان النبوة أو الملك، و جاءت أخبارهم في سفر القـضاة، و كـان آخـرهم صموئيل الذي أعقب ولديْن، لم تتوفر فيهما مؤهّلات الحكم. لهذا طلب بنوإسرائيل من صموئيل أن يختار لهم ملكاً، وبعد إصرار شديد منهم، عيّن لهم في حدود عام ١٠٣٠ ق.م ملكاً شابّاً بأمر الله تعالى. و اسم هذا الملك في العهد القديم شاؤول[١]، وفي القرآن الكريم طالوت[٢].

و عقب هذا الانتخاب، اندلعت معارك طاحنة بين بني إسرائيل و الفلسطينيين، أسفرت عن انتصار بني إسرائيل، و مقتل **جُلْيات** أحد أبطال خصومهم (المسمّىٰ **جالوت** في القرآن الكريم) علىٰ يد داود عليه السلام، و هزيمة جيشه.

ثمّ خَلَف داودُ طالوتَ (في حدود سنة ١٠١٥ ق. م.)، و أعقبه سليمان الذي اعـتلى منصّة أبيه داود، وبلغت مملكته أوج مجدها، وقد شيّد معبداً كبيراً في مدينة أورشـليم، اشتهر باسم هيكل سليمان (وتعني الهيكل في اللغة العبرية البناء العالي). هذا المعبد هدمه نبوخذ نصّرعام (٥٨٧ ق.م.)، وأُعيّد بناؤه، ثم خرّبه تيطس الروماني (Titus)، عام (٧٠ م).

و قد اعتقد أهل الكتاب، و طبقاً للنصوص المجعولة للعهد القديم (سفر الملوك الأول،

---

١ ـ سفر صموئيل الأول، الاصحاح ٩. ٢ ـ البقرة / ٢٤٧.

الصحاح ١١) أنّ سليمان عليه السلام أقبل في أواخر عمره علىٰ عبادة الأوثان، واقتراف المعاصي إثر وسوسة زوجاته المشركات، إلّا أنّ القرآن الكريم نزّه ساحته المقدسة، و تحدّث عنه بكلّ إجلال.

و لمّا توفّي سليمان عليه السلام، تسلّم مقاليد الحكم بعده ابنه رِحُبعام، الذي أفشىٰ الظلم، ممّا حدا بطوائف من بني إسرائيل إلىٰ التمرد علىٰ أوامره، و بقي تحت نفوذه سبطان، هما يهوذا و بنيامين في مملكة يهوذا (اسم أحد أبناء يعقوب) التي تشكل مساحة صغيرة نسبياً. هذه المساحة اكتسبت أهميّة كبيرة لاسيما وأنها تضمّ مدينة أورشليم (القدس)، و منها اشتق اسم اليهودي. أمّا سائر الأسباط العشرة، فقد أسّسوا في شمال فلسطين مملكة إسرائيل المستقلة بقيادة يَرُبعام بن ناباط (وكان من ولاة سليمان عليه السلام).

وقد أدّت تجزئة البلاد إلىٰ ضعف و انحطاط بني إسرائيل، و عكف ملوك يهوذا و إسرائيل على ارتكاب المعاصي و الذنوب، و ترويج عبادة الأوثان.

١٦ ـ الأسر البابلي

و مهما يكن من أمر فإن تنبّؤات أنبياء بني إسرائيل قد تحققت، حيث تعرّضت مملكة إسرائيل لهجوم الآشوريين الذين حكموا شمال العراق و سوريا و كانت عاصمة ملكهم مدينة نينوىٰ، و أسفر الهجوم عن وقوع أعداد كبيرة منهم في الأسر. و بعد مضي عقد من الزمن، قاد نبوخذ نصّر ملك بابِل الذي جاء ذكره في العهد القديم، قاد هذا الملك هجوماً كاسحاً علىٰ أورشليم، أسفر عن مقتل سكان مملكة يهوذا، و أسر جموع غفيرة منهم، وسوقهم إلىٰ بابل، التي مكثوا فيها زمناً طويلاً.

إنّ وقوع سكان إسرائيل و يهوذا في الأسر، أدّىٰ إلىٰ تشتّتهم في الشرق الأوسط و في بلدان أخرىٰ. وكان لهذا الأسر أهمية خاصة، ذلك أن بعض سكّان إسرائيل الذين نجوا من

أسرالآشوريين، وقعوا في أسر البابليين، وتمّ إجلاؤهم مع سكّان يهوذا إلىٰ بابل و عُرفت هذه الحادثة في التاريخ بالأسر البابلي.

وقد تطبع اليهود خلال مدّة الأسر بآداب و أخلاق المشركين، وقلّ مَن عانىٰ منهم من هموم البُعد عن الوطن و ذلّة الأسر و صعوبة أداء الشعائر الدينية.

إنّ العنصرية وسيادة روح الاستعلاء، هما خصلتان لم تنفكا عن اليهود، الأمر الذي دفع ببقية الشعوب إلىٰ معاداتهم و تحقيرهم، ولعله للسبب ذاته دمّرت مدينة القدس يُذكر أن وقوع بني إسرائيل في الأسر البابلي كان في حدود القرن السادس قبل الميلاد. ولما حاصر جنود نبوخذ نصر مدينة أورشليم، أخذ النبي إرميا يدعو الناس إلى الإستسلام لأنه أفضل من خراب المدينة، إلّا أنّ اليهود لم يصغوا إليه، إذ رأوا في موقفه تثبيطاً لعزائم المقاتلين، فألقوا عليه القبض وأودعوه السجن ثم أطلقوا سراحه بعد سقوط أورشليم وخرابها.(١)

١٧ ـ إعادة بناء المعبد

حينما احتل قورش مؤسس السلالة الهخامنشية مدينة بابل أمر بتحرير اليهود وأذن لهم بالعودة إلى وطنهم، إلا أن عدداً كبيراً منهم فضّل البقاء في بابل، و قد حظى الأمر الذي أصدره قورش في حدود عام (٥٣٨ ق.م) بتقدير اليهود، وأكسبه محبوبية في أوساطهم.

وعلى أية حال، فقد عادت مجموعة منهم إلى فلسطين، وبدأت بإعادة بناء مدينة القدس، الأمر الذي أثار مخاوف جيرانهم الذين حالوا دون تشكيل دولة مركزية لليهود على أرض فلسطين، ممّا أدّى إلى تشكيل دويلات ضعيفة فيها. وبعد مضيّ قرون من الإضطراب وعدم الإستقرار تعرضت مدينة القدس للتدمير مرة أخرى على أيدي

---

١ ـ سفر إرميا: ٣٩٥ / ١٤.

الرومانيين، الأمر الذي أسفر عن تشتت اليهود وتشرّدهم في العالم. ومنذ ذلك الحين أمضى اليهود حياة مليئة بالمصاعب والذلّة والهوان في البلدان التي استوطنوها.

١٨ ـ ظهور الكنيسة

سَرَت في المجتمع الديني روح جديدة بعد عودة اليهود من بابل، وانتشرت المعابد التي سُمّيت فيما بعد بالكنائس. هذه المعابد شُيّدت ـ كسائر المعابد وفق هندسة معمارية خاصة، حيث احتوت على أماكن للقرابين، وأماكن خاصة أخرى. يذكر أن قبلة اليهود هي هيكل سليمان (المسجد الأقصىٰ)، وانفرد السامريون منهم فاتخذوا من جبل جِرزيم (القريب من نابلس) قبلةً لهم. وهم يقيمون الصلاة ثلاث مرات في اليوم: صلاة الصبح، صلاة العصر، وصلاة المغرب. وتقام الصلاة عند حضور ما لا يقل عن (١٠) أشخاص في الكنيسة، ويُقدَّم أكبرهم سنّاً وأعرفهم بالعبرية، فيقرأ مقاطع من التوراة أو أدعيةً بالعبرية، وقد يركعون في بعض الموارد.

ومن أشهر العبارات التي تقرأ، هي شِمَع (وتعني إسمع) المقتبسة من التوراة:

(٤) اسمع يا إسرائيل: إنّ الربَّ إلهنا هو ربّ واحد (٥) فأحبِبْ الربَّ إلهكَ بكل قلبك وكل نفسك وكل قوّتك.[١]

١٩ ـ تأثير العقائد الزرادشتية

وقع اليهود مثل سائر الأقوام تحت تأثير المحيط، واستعاروا العديد من المفاهيم والمقومات الخاصة بالحضارات القديمة التي احتكوا بها، بعد أن أضفوا عليها لوناً من الأخلاقيات التوحيدية التي انفردوا بها، ومثال ذلك قصة نوح التي تتحدث وفقاً لما جاء

---

١ ـ سفر التثنية ٦ / ٤ ـ ٥.

في سفر التكوين عن إله واحد، عطوف، صالح، وهي بذلك ـ سواء إقتبست من البابليين أم لا ـ لم تعد تشبه حكاية بيرنابيش (Per-Napishtim) التي نُقشت على ألواح مسمارية، فهي ـ إضافة إلى شركها الصريح ـ راحت تسوق الحديث عن آلهة استولى عليها الغرور والحسد والشر.

ويمكن أن نستشف وجوه التمايز في سائر القصص والحكايات والمعتقدات التي قيل أن اليهود اقتبسوها من أقوام أخرى.

ويلاحظ أن الدار الآخرة لم تُذكر تقريباً في التوراة، اللهم إلّا بعض الإشارات المبهمة في سفر التثنية : ٨ / ١٦.

و من وجهة نظر التوراة[١] فإن الكفر والإيمان لهما تأثير مباشر في جلب النعم الدنيوية أو سلبها. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن التلمود مشحون بذكر القيامة.

إن إحدى معتقدات اليهود الرئيسية التي يرى الباحثون أنها مقتبسة من الزرادشتية، هي فكرة البعث أو الرجعة، حيث ذهب الإيرانيون القدماء إلى أنّ أهورا مازدا سوف ينتصر في النهاية على انغرومئنيو ويقضي عليه، ومن ثم ينبعث الموتى. واكتست هذه الفكرة طابعاً معنوياً، واصبحت نتاجاً أصيلاً لإلهامات اليهود، وبذلك إبتعدت عن أصلها الشكلي الجامد الذي كانت عليه في ديانة إيران القديمة.

وذكر الباحثون أن الاعتقاد بخلود الروح كان رائجاً عند بني إسرائيل منذ القدم، وأشير إليه في عدّة مواضع من الكتاب المقدّس، ولكن هذا الاعتقاد ارتبط ـ بعد العودة من بابل ـ ارتباطاً وثيقاً بفكرة خلود المسيح الموعود وظهوره التي ترشحت عنها فكرة البعث و هذه الفكرة تعارض صريح القرآن الكريم الذي تحدث عن بعثة موسىعليه السلام في أوائل سورة طه. والتي نفهم منها بوضوح أن البعث جاء على لسان موسى عليه السلام في أول خطاب له.

١ ـ اللاويين / الاصحاح ٢٦، والتثنية / الاصحاح ٢٨.

٢٠ ـ أعياد اليهود

لليهود أعياد، هي كالتالي:

١ ـ **عيد السبت**: تجتمع فيه الأسر في المنازل، وتتناول وجبة خاصة، ويتقدم كبيرهم بكأس فيه خمر، فيباركها بعد قراءة دعاء، ثم يتعاقب على شربه أفراد الأسرة. وتعدّ عطلة السبت[١] واحدة من الوصايا العشر[٢].

٢ ـ **عيد ابتداء الشهر**: ويطلق عليه بالعبرية روش حودِش، ويعني ابتداء الشهر.

٣ ـ **السنة السابعة أو سنة الإنفكاك**: وفقاً لما جاء في التوراة، يجب الاعفاء عن الضرائب والديون في كل سبع سنين مرة واحدة، والإقدام على أعمال الخير كتحرير رقيق يهود و أمثال ذلك (التثنية / ١٥) والإسم العبري لهذه السنة هو شميطا ويعني التحرير.

٤ ـ **سنة اليوبيل**: يقام هذا العيد مرة واحدة في كل خمسين عاماً، حيث ينجز فيه الكثير من الأعمال الخيرية والأخلاقية.[٣]

٥ ـ **عيد الفِصح**: وتعني في اللغة العفو، لأن الله تعالىٰ عفى عن قتل المواليد الأبكار لبني إسرائيل حين عمّ فرعون و رهطه البلاء. و يبدأ هذا العيد في الرابع عشرَ من نيسان (في فصل الربيع) ويستغرق سبعة أيام. وقد وردت تفاصيل مراسمه في التوراة[٤] و هو أهمّ أعياد اليهود. ويمجّده النصارى أيضاً لتقارنه مع دفن عيسى عليه السلام على حدّ زعمهم.

واتهم اليهود منذ ثلاثة قرون وحتى الآن بالإقدام على قتل طفل أو رجل مسيحي،

---

١ ـ يطلق على السبت باللغة العبرية شبات، ومعناها العطلة والاستراحة.

٢ ـ انظر سفر الخروج : ٢٠ / ٨ ـ ١١.

٣ ـ اللاويين / الاصحاح ٥

٤ ـ الخروج / الاصحاح ١٢.

واستخدام دمه في مراسم عيد الفصح، وألّفت في هذا الصدد عدّة كتب.

٦ ـ **عيد الأسابيع**: يقام هذا العيد بمناسبة مرور سبعة أسابيع على عيد الفصح، والإستعداد للحصاد. والإسم العبري له هو شاووعوت، وتعني الأسابيع.

٧ ـ **عيد رأس السنة اليهودية**: ويسمّى عندهم روش هشّانا، ويقع في أواخر أيلول (الإعتدال الخريفي). وينفخ في هذا اليوم بالأبواق إيذاناً باستعدادهم للتوبة خلال عشرة أيام. ويعتبر اليوم العاشر ذا أهمّية خاصة عندهم، فأطلقوا عليه إسم يوم كيبور.

٨ ـ **يوم كيبور**: ويعني يوم الغفران ؛ يقع هذا العيد المهم في اليوم العاشر من شهر تِشري، ويطلقون عليه اسم «عاسور» أي عاشوراء، حيث يصوم فيه اليهود من غروب اليوم السابق حتى ليل هذا اليوم تكفيراً للذنوب، فيمتنعون عن تناول الطعام والشراب، وعن الإستحمام والعمل، ويحضرون في الكنائس للصلاة والإستغفار، ويرتدي فيه اليهود الأصوليون لباساً خاصاً، ويجتنبون لبس الأحذية المصنوعة من الجلد.

٩ ـ **عيد الظلل**: يبدأ في الثاني والعشرين من شهر تِشْري، ويبني فيه اليهود أكواخاً صغيرة لتذكرهم بالأكواخ التي كان يعيش فيها اليهود في فترة التيه. ويطلق عليه بالعبرية سِكّوت و يعني الظلل.

١٠ ـ **عيد النور** أو ما يعبّر عنه بالعبرية حنوكة: وهو ذكرى انتصارهم على اليونانيين عام ١٦٨ ق.م، وتطهيرهم هيكل سليمان من الرذائل والأعداء. ويقع هذا العيد بعد أسبوع واحد من عيد الظلل.

١١ ـ **عيد القرعة** أو ما يعبّر عنه بالعبرية بوريم: يقع في شهر مارس، وهو احتفاء بذكرى انقاذ اليهود من مؤامرة هامان وزير الملك خشايارشا لإبادتهم. وقد جاء تفصيل هذه الحادثة في سفر أستير من العهد القديم. ووجه تسميته بالقرعة يعود إلى أن هامان تشبث بالقرعة لتعيين يوم إبلاغ خطته للملك.

٢١ ـ الفرق اليهودية

تتفرع من جميع الأديان عقب مرور فترة على بزوغها فرق متعددة، وتلعب المسائل الإجتماعية والمشارب المتنوعة دوراً كبيراً في تكريسها. بعض هذه الفرق يمتلك نفوذاً كبيراً، وبعضها الآخر يفتقر إلى ذلك، وبعضها كثير الأتباع، وبعضها الآخر قليل الأتباع.

وقد ظهرت الفرق اليهودية المعروفة بعد الرجوع من بابل، وأما الفرق اليهودية الأكثر قدماً، فلا تتوفر معلومات كافية عنها.

١ ـ ٢١. الفريسيون

ظهرت فرقة الفريسيين أي المنعزلين والمنشقين نحو قرنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ويدل هذا اللقب على إنفرادهم وتميّزهم. وهم يشكّلون الآن غالبية اليهود. ويرجع أصل هذه الفرقة إلى فرقة حسيديم (أي الزاهدين).

ظهرت فرقة حسيديم في القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد لمحو آثار الشرك والإنحراف عن المجتمع اليهودي، وشاركوا المكابيين حروبهم، وقاتلوا دفاعاً عن الدين، وكانت مصدر إلهام لأمواج جديدة، ظهرت في أوساط يهود أوروبّا الشرقية خلال القرن الثامن عشر، وعُرفت باسم حسيديم أيضاً.

وقد برز الفريسيون من أوساط حسيديم، وكانت اتجاهاتهم الفكرية تختلف كل الإختلاف عن فرقة الصدوقيين، حيث نزهت الله سبحانه عن الجسم والصفات الجسمانية، واختارت حلّاً وسطاً في الإرادة الإنسانية، واعتقدت بالبعث والعدل الإلهي وأولت أهمية للصلاة وسائر العبادات، وكان لها نفوذ واسع في المجتمع اليهودي.

وللفريسيين إضافة إلى العهد القديم (الذي يسمّونه التوراة المكتوبة)، توراة شفوية، تضمّ أقوال ووصايا حاخامات اليهود الذين تناقلوها ـ حسب اعتقادهم ـ جيلاً عن جيل

منذ عهد موسى عليه السلام. وقد دوّنت هذه الأقوال في الفترة الزمنية الممتدّة بين القرن الثاني والخامس الميلادي في كتاب ضخم باسم التلمود، الذي شكل اساس عقائد بني إسرائيل وأفكارهم، وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل.

هذا، وقد شيّد الفريسيون دور العلم، وصرفوا فيها أوقاتهم بغية التعمق في التوراة، وتوصلوا إلى حقائق جديدة، وطبقاً لعقيدتهم فإن التوراة لاتضمّ حرفاً زائداً أو ناقصاً، ولا كلمة مبهمة أو فاقدة للمعنى، بل يختزن كل حرف أو كلمة منها أسراراً كامنة و رموزاً خافية.

يذكر أن حاخامات الفريسيين وأحياناً الصدوقيين أمسكوا بأزمّة الأمور بعد عودة اليهود من بابل وحتى التخريب الثاني لمدينة القدس، كما أنهم أضمروا العداء لعيسى عليه السلام، وحاولوا الوشاية به بغية قتله. وقد تكرّر اسم الفريسيين في الأناجيل الأربعة.

٢ ـ ٢١. الصدوقيون

و هم أتباع صادوق بن اخيطوب الذي عُيّن كاهناً من قبل داود عليه السلام [١]، و استمرّ في منصبه على عهد سليمان عليه السلام [٢]، و قد أثنى سفر حزقيال على كهنة بني صادوق ومجدهم و مدح أمانتهم [٣].

يذكر أن الصدوقيين أهتموا بالقربان بدل الصلاة، وإن العديد من كهنة هيكل سليمان وحاخامات سَنْهِدْرين برزوا من هذه الفرقة، وكانوا على صلة طيبة بحكّام الروم. كما أنهم حافظوا على السنن القديمة، وخالفوا الفريسيين في إعادة النظر فيها وتفسيرها بالرأي و في عاداتهم وطقوسهم أيضاً.

و مال الصدوقيون إلى الإعتقاد بجسمانية الله سبحانه، وقالوا بأن الهدايا والقرابين التي تهدى إلى الله سبحانه، هي أشبه بالهدايا التي تقدم للحاكم أو الملك، كما انهم أنكروا

---

١ ـ سفر صموئيل الثاني : ٨ / ١٧ و ١٥ / ٢٤.   ٢ ـ سفر الملوك الأول : ٢ / ٣٤.

٣ ـ حزقيال : ٤٤ / ١٥.

البعث والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، و رأوا أنّ الإنسان يجازى على أعماله في الدنيا، فالعمل الصالح يُنتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السئ يسبب لصاحبه المتاعب و الأزمات، و آمنوا في مجال الإرادة الإنسانية بحرية الإختيار المطلقة.

وهذه الفرقة لم تقل عن فرقة الفريسيين في مبلغ عداوتها للمسيح عليه السلام، والكيد له، وقد تكرّر أسمها في الأناجيل الأربعة، ولم يبق لها أثر بعد تدمير أورشليم عام (٧٠ م).

٣ ـ ٢١. السّامريّون:

اشتُقّ اسم السامريين من مدينة السامرة التي أضحت عاصمة لمملكة إسرائيل بعد تقسيم أرض فلسطين. وقد ظهرت هذه الفرقة بعد العودة من الأسر البابلي. ويعتقد بعض الباحثين أنها لا تنحدر من اصل إسرائيلي محض، بل ربما تكون مزيجاً من أصل إسرائيلي و آشوري.

و هذه الفرقة صغيرة للغاية، آمنت فقط بالأسفار الخمسة من التوراة و أنكرت (٣٤) سفراً من العهد القديم، وتختلف توراتها عن التوراة المعروفة اختلافاً يسيراً، كما تختلف لغتها السامرية عن العبرية بمقدار لا يخرجها عن نطاق العبرية.

ويحظى جبل جِرزِيم (الواقع بالقرب من مدينة نابلس) بقدسية لدى السامريين الذين اتخذوه قبلة لهم، زاعمين أنه كان قبلة موسى عليه السلام، إلّا أنّ داود عليه السلام جعل ـ من لدن نفسه مكان «هيكل سليمان» قبلة.

ولهذه الفرقة اهتمام واسع بالأحكام الدينية، ولهم طقوس خاصة يمارسونها.

٤ ـ ٢١. الإسِينيون

يحتمل أن يكون معنى كلمة إسني الشافي، لأنهم كانوا بصدد شفاء نفوسهم، وقيلت في وجه تسميتهم بهذا الاسم احتمالات أخرى مثل المعمّدين و... .

ظهرت هذه الفرقة قبل حدود قرنين من الميلاد، وانقرضت بعد تدمير أورشليم (شأنها

في ذلك شأن الصدوقيين وبعض الفرق الأخرى)، ولم يبق منها سوى الإسم. وقد اكتشفت عام (١٩٤٧م) في إحدى مغارات فلسطين على ساحل البحر الميت بعض آثارها المكتوبة مرفقة بنسخ من العهد القديم، الأمر الذي أزاح النقاب عن بعض اعتقاداتهم المبهمة.

و من أهمّ ما تتميّز به هذه الفرقة هي أنها تحرّم الملكية الفردية والزواج، وتوجب التبتل والبعد عن النساء، والإغتسال عدّة مرات في اليوم، ولهذا السبب أنشأوا أحواضاً كبيرة، اكتشفت أخيراً خلال عمليات التنقيب. وكان أفراد هذه الفرقة ينهضون من النوم عند طلوع الفجر، ويشتغلون بالعبادة، ثم ينصرفون إلى العمل حتى الظهر، فيتناولون طعام الغذاء جماعة، وكذلك طعام العشاء، ويعطلون جميع أعمالهم يوم السبت، ويعكفون فيه على العبادة والتفكر ومطالعة التوراة. ويقال كانت قبلتهم الشمس، لاهيكل سليمان، وقد أخذوا ذلك فيما يظهر عن ديانة ميترا.

يُذكر أنّ عدد أتباع هذه الفرقة كان يبلغ في حدود القرن الأول الميلادي ما يقرب من (٤٠٠٠) شخص، وهو رقم كبير نسبياً بالقياس إلى الشروط الصعبة الموضوعة للإنتماء إليها.

ويعتقد بعض المؤرخين أنّ أفكار هذه الفرقة شكّلت البناء الرئيسي للمسيحية الحاضرة، ويحتمل أنّ أتباعها قد اعتنقوا المسيحية برمّتهم. ويقال إنّ يوحنّا المَعمَدان (يحيى بن زكريا عليه السلام) كان من هذه الفرقة. ويمكن أن يُتّخذ تجواله في الصحاري والبراري كما في الأناجيل ـ والأحاديث الإسلامية أيضاً ـ كدليل يعتدّ به في هذا الموضوع.

٥ ـ ٢١. القناؤون

تعني كلمة (قناء) في اللغة العبرية الغيور والمتعصب. وهي تطلق على المجموعة التي كانت ترفض بشدّة إستيلاء الرومان على فلسطين. وكانوا عادةً يُخفون خناجر تحت

ثيابهم، ويتحيّنون الفرص لاغتيال المتعاونين مع الحكم الروماني، مما دفع بالرومان إلى فرزهم عن بقية الفرق، و إلى أخذ خطرهم على محمل الجدّ. ويبدو أن هذه المجموعة لاتختلف في عقائدها عن فرقة الفرّيسيين.

٦ ـ ٢١. القرّاؤون

اشتق اسم القرّائين من كلمة (قرأ) في العربية والعبرية، وهي إشارة إلى قراءة الكتب السماوية.

ظهرت هذه الفرقة بعد بزوغ الإسلام، وأنكرت التلمود (التوراة الشفوية)، والتزمت بحرفية التوراة وظاهرها، ممّا أدّىٰ إلى تفاقم الخلاف بينها وبين فرقة الفريسيين التي جنحت إلى وضع التفاسير بغية فهم نصوص التوراة.

وقد أسس هذه الفرقة عالم يهودي اسمه عَنان بن داود، عاش في عصر المنصور الدوانيقي ببغداد، وصاحبَ أبا حنيفة، وتعلّم منه اصطلاحات الفقه الإسلامي. ثمّ قام بنشر أفكارها في إيران شخص يُدعى بنيامين النهاوندي، وأجرى فيها سلسلة من التغييرات، وبدّل إسمها من العنانيين إلى القرائين (وفي العبرية قَرائيم، ومعناها القرّاؤون).

وكان اكثر القرّائين في القرون الماضية يقيمون في ربوع العالم الإسلامي، أما اليوم فيقطن أغلبهم في إسرائيل و روسيا و أوكرانيا، و دول أخرى.

يذكر أن اسم شبه جزيرة كريمه (Crimea)في أوكرانيا مشتق من إسم هذه الفرقة.

وقد برز من بين القرّائين علماء كبار، ظهرت لهم أبحاث هامّة في حقل الإلهيات اليهودية، جلبت أنظار العديد من المحققين. و هم في مباحثهم يعتمدون على اصطلاحات أصول الفقه الحنفي.

٧ ـ ٢١. الدونمة

أُطلق إسم الدونمة الذي يعني باللغة التركية «المنشقين» على إحدى الفرق اليهودية، وقد يُطلق عليها احياناً اسم شبِتين، نسبة إلى مؤسسها سبْتاي زيفي الذي ولد في مدينة إزمير (غرب تركية)، وادّعى بعد مطالعة عميقة للإلهيات والعرفان اليهودي أنه هو المسيح المنتظر المنقذ لليهود، والتفّ حوله العديد من الأتباع لاسيما يهود أوروبّا وتركية والشرق الأوسط، ولقب نفسه ابن الله الأوحد، وأعلن أنه سينهض عام (١٦٦٦م)، و زار أورشليم والقاهرة قبل حلول الموعد المقرر، فاحتفى به اليهود هناك، وغمرهم سرور عارم، و راحوا يطلقون شعارات: يعيش المسيح الملك، ويحيا السلطان زيفي.

وفي سنة (١٦٦٦م) قصد سبتاي زيفي مدينة استانبول بدل أورشليم، فأُلقيَ عليه القبض بأمر السلطان العثماني، وأُشخص في شهر أيلول من السنة المذكورة إلى مجلس السلطان، وعرضوا عليه الإسلام، فأسلم وسمّى نفسه محمد أفندي، واقترن بأمرأة مسلمة، وأخذ يحث أتباعه على اعتناق الإسلام.

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن الكثير من اليهود يعتبره المسيح المخلّص، ويذهبون في تبرير هذا الموقف إلى أنّ شبح سبتاي قد أسلم، ولكن حقيقته عرجت إلى السماء بحثاً عن الأسباط العشرة لبني إسرائيل وسيظهر قريباً. قال أحد ناشطي هذه الفرقة: كما أن موسىعليه‌السلام ترعرع في قصر فرعون، فإن الواجب حتّمَ على المسيح المخلِّص أن يمكث في قصر السلطان العثماني لتخليص النفوس الحائرة من المسلمين أيضاً.

لقد احتفظ سبتاي بصبغة المسيح الموعود، وأجيز له الاتصال بالأوساط اليهودية تحت عنوان الدعوة للإسلام، وتمكّن من إنشاء فرقة، إلتزم أتباعها بالمظاهر والآداب الإسلامية من لبس العمائم وغير ذلك، إلّا أنّ الأمل ظل يراودهم بالعودة السريعة لسبتاي كمخلِّص حقيقي لبنيإسرائيل.

توفّي سبتاي سنة (١٦٧٦م)، فالتف أتباعه حول شقيقه، وأخذوا يتقيّدون بالسنن الإسلامية في الظاهر، ويمارسون السنن اليهودية في الباطن. ويعيش منهم الآن في تركية عدّة آلاف.

٢٢ـ انتظار ظهور المسيح

إنّ فكرة انتظار «المسيح» فكرة يهودية محضة، فإن الأقوام الغابرة لما أصيبوا بخيبة أمل مريرة، ويئسوا من المستقبل، راحوا يتشدقون بالماضي الذي وجدوا فيه كمال السعادة الإجتماعية والوطنية. وقد رسم شعراء الملاحم من اليونان والرومان أمثال هسيودس (Hesiod) و افيديوس (Ovid) صورة دقيقة لهذا الجنوح إلى الماضي، حينما قسّما البشرية إلى خمس مراحل متعاقبة، وقالا: إن البشر في المرحلة الأولى ـ التي أُطلق عليها العصر الذهبي ـ لم تستولِ عليهم المعاناة والمحن، طالما كانوا يتناولون ما تُنبته الأرض دون عناء، ومادام موتهم كان سباتاً هادئاً يعرجون خلاله إلى محفل الملائكة الموكّلون بهذا العالم، وأما المرحلة الأخيرة فهي العصر الحديدي الذي ساده الإضطراب والفوضى.

أما اليهود، فقد آمنوا أيضاً بأن العالم قد خُلق على أكمل وجه، و إن الإنسان الأول خُلق مباشرة على يد الله سبحانه، الأمر الذي يستدعي أن يكون كاملاً وسعيداً. وعلى الرغم من ذلك، فإنهم لايُمنّون أنفسهم بالسعادة والفضيلة اللتين سادتا العصر الذهبي، بل هم يتطلّعون إلى مستقبل جديد، وقد اشتهرت بين اليهود عبارة الكتاب المقدس: **«فتكون حالتك الأولى وضيعة، وتكون حالتك الأخيرة مزدهرة»**.[١]

وكان اليهود بعد التدمير الأول لمدينة القدس ينتظرون قائداً إلهياً فاتحاً، يعيد لهم

١ـ أيوب: ٨ / ٧.

عظمة وشوكة شعب الله في عهد داود وسليمان، وأطلقوا على المخلص المنتظر اسم «المسيح» و يعني «الممسوح»، وهو لقب ملوك بني إسرائيل، لأنّ الأنبياء ـ طبقاً لأسطورة قديمة ـ كانوا يمسحون رؤوس الملوك بزيت البركة أمام الملأ، الأمر الذي يُكسبهم نوعاً من القداسة. ثم صار هذا اللقب (المسيح) في العصور اللاحقة للمنقذ المنتظر.

لقد أفعمت قلوب بني إسرائيل بحب المسيح الموعود، في حين كان الحكام الظلمة يتربّصون به الدوائر. ونطالع في الاصحاح الثاني من إنجيل مَتَّى أن هيرودس الكبير ملك فلسطين، همّ بقتل عيسى عليه السلام عقب ولادته، إلّا أنّ هذا الخطر رُفع عنه، بعد أن حُمل إلى مصر بأمر الله سبحانه.

إنّ مصطلح المسيح مشتق من الكلمة العبرية «ماشيح»، نظراً إلى أنّ تلفظها باللغة اللاتينية هو (Messiah).

يُذكر أنّ أهمّ بشارة للمسيح عليه السلام وردت في سفر إشعيا:

(١) ويخرج غصن من جذع يَسّى [والد داود] وينمى فرع من أصوله (٢) ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة (٣) ويوحي له تقوى الرب، فلايقضي بحسب رؤية عينيه ولا يسمع بحسب سماع أُذنيه (٤) بل يقضي للضعفاء بالبر ويحكم لبائسي الأرض بالاستقامة، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت الشرير بنفس شفتيه (٥) ويكون البر حزام حقويه، والأمانة حزام خصره (٦) فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي، ويعلف العجل والشبل معاً، وصبي صغير يسوقهما(٧) ترعى البقرة والدب معاً، ويربض أولادهما معاً، والأسد يأكل التبن كالثور (٨) ويلعب الرضيع على حُجر الأفعى، ويضع الفطيم يده في جُحرِ الأرقم (٩) لايسيئون ولايفسدون في كل جبل

قدسي، لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب، كما تغمر المياه البحر.[١]

إن انتظار المخلّص الموعود جعل تاريخ اليهود والنصارى مفعماً بالحيوية والنشاط، وقد تحمّل اليهود في تاريخهم العصيب الذلّ والهوان والعذاب يراودهم الأمل في ظهوره الذي يتيح لهم التخلّص من أوضاعهم المزرية، واستعادة مكانتهم الأولى، وجعلهم ملوكاً في الأرض.

وقد حفل تاريخ اليهود بظهور أشخاص حملوا دعوة المخلّص الموعود، وانضوى إليهم السُّذّج منهم، إلّا أنّهم لم يجلبوا لهم سوى المتاعب. وفي خِضَمّ ذلك ظهر المسيح بن مريم عليه السلام الذي تمكّن بشخصيّته الفذّة و روحه العظيمة من أن يقيم هذا الدين الكبير، و يهدي به خلائق لا يُحصوْن إلى ملكوت السماء، إلّا أنّ معظم اليهود ناصبوه العداء.

وفي عصرنا الحاضر نهض اليهود الصهاينة واحتلّوا فلسطين بغية التخلّص من عقدة الحقارة التي لازمتهم، إلّا أنّ ذلك لم يخمد من جذوة انتظار المخلّص الموعود. وقد بادرت أقلّية من اليهود ـ ظلّت محتفظة بآمالها القديمة ـ إلى اتخاذ موقف مناوىء لتأسيس دولة صهيونية، باعتبارها تشكّل عزوفاً عن آمال المسيح الموعود، بيد أن السواد الأعظم منهم أيّدوا ذلك، زاعمين أنّها تمثّل خطوة ممهدة لظهوره، ويردد الصهاينة الغاصبين لفلسطين في احتفالات العيد الوطني لذكرى تأسيس كيانهم الغاصب، يرددون في الخامس من أيار العبري ـ بالإضافة إلى الأدعية اليومية حول المسيح ـ الدعاء التالي بعد النفخ في الأبواق:

تعلقت إرادة الربّ (يَهْوَه) أن نشهد طلوع فجر الحرية، وأن نمتّعَ أسماعنا بأنغام صور المسيح.

---

١ ـ سفر أشعيا: ١١ / ١ ـ ٩.

٢٣ ـ انتصار الرّومان وانقراض اليهود

أدّى استقرار اليهود في أورشليم وإعادة بنائها إلى استفحال المشاكل، واندلاع المعارك بين المكابيين وملوك سورية المشركين والتي أسفرت عن غلبة اليهود. وقد جاءت تفاصيل هذه الوقائع في أسفار أبو كريفا.

وفي هذا العصر كان بنو إسرائيل يرزحون غالباً تحت أمر المشركين، وفيه أيضاً كان ظهور المسيح عليه السلام الذي سيأتي الحديث عنه بالتفصيل، وتمّ فيه كذلك تشكيل مجلس من علماء اليهود بأسم سَنهِدرين، حيث يجتمعون فيه للبحث والتداول في الشؤون الدينية، وإصدار الأحكام والقوانين(١).

٢٤ ـ تدمير أورشليم وتشريد اليهود

قام تيطس نجل امبراطور الرومان بحصار أورشليم، ودمّرها عام (٧٠م)، وقتل جمعاً غفيراً من اليهود، وقضى على مجلس سنهدرين.

وقد تشتّت اليهود عقب هذه الحادثة في البلاد المجاورة في أوروبّا وأفريقية الشمالية، واختارت مجموعة منهم المدينة المنورة (التي كان يطلق عليها آنذاك اسم يثرب)، فارتحلوا إليها واستوطنوها، وتعزو بعض المصادر الإسلامية سبب هذا الإختيار إلى أنّهم كانوا بصدد انتظار نبيٍّ يُبعث هناك.

ثمّ استلم المسلمون في عهد الخليفة الثاني مفاتيح مدينة القدس من أيدي المسيحيين بعد مفاوضات جرت بينهما.

قال الطبري في حوادث سنة (١٥ هـ): إن المسلمين لما فتحوا مدينة القدس، صالحوا

---

١ ـ اشتقت كلمة سنهدرين من الإصطلاح اليوناني (سندريون) الذي يعني المجمع.

النصارى على أن لا يسكنوا اليهود في هذه المدينة.[١]

٢٥ ـ التَّلْمود:

اشتقّت كلمة التلمود التي تعني التعليم من الفعل الثلاثي العبري «لمَد» (و يعني علّم)، وهي ذات علاقة بلفظ تلميذ ومشتقاته الذي هو رباعي في اللغة العربية. والتلمود كتاب ضخم جمعت فيه أحاديث اليهود وأحكامهم.

وقد ظهرت أبان السبي البابلي جماعة أُطلق عليها سوفِريم (وتعني الكُتّاب)، وهم الذين أولوا أهتماماً بكتابة التوراة والأحكام الدينية. ومن أبرزهم الكاتب عزرا (عُزَيرْ) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد و لعله أبرز شخصية ظهرت في أوساط اليهود بعد موسىعليه السلام، حيث عقد العزم على إثراء شريعة موسىعليه السلام من خلال استخراج نصوص من كتاب العهد القديم، تفي بمتطلبات المجتمع اليهودي، وكانت خطوته تلك بداية للسنّة الشفوية.

ثمّ راج بعد عزرا أسلوبٌ في تفسير وتأويل النصوص الدينية يُسمّى مدراش (ومعناه البحث والتتبّع)، لأن العلماء تتبّعوا على ضوئه المعاني الكامنة في التوراة، بغية وضع الحلول لكافة المسائل والمستجدات.

وانتخب لأسفار التلمود اسم المشنا (Mishnah) بمعنى المثنّى أو المكـرّر، أي أنـها تكرار وتسجيل للشريعة في مقابل المِقرا، وتعني القراءة أو المقروء. ويُطلق على التلمود المشنا لأنه تكرار للتوراة، وعلى التوراة المِقرا.

وقد دُوّنت أسفار المشنا باللغة العبرية العاميّة، وهي لغة التخاطب لدى بني إسرائيل، وهي تختلف إختلافاً غير يسير عن اللغة العبرية التي أُلّفت بها أسفار العهد القديم.

---

١ ـ انظر : تاريخ الطبري: ٤ / ٤٣٦، ط دار الفكر.

وعلى أية حال، فالتلمود ينقسم إلى ستة أقسام، تتضمن (٦٣) رسالة في (٥٢٣) فصلاً، وهذه الأقسام هي كالتالي:

١ ـ كتاب زراعيم (أي البذور، ويتضمّن القوانين الخاصة بالأرض والزراعة) ١١رسالة.

٢ ـ كتاب مُوعَد (أي العيد أو الموسم، ويتضمّن الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت والأعياد والأيام المقدسة) ١٢ رسالة.

٣ ـ كتاب ناشيم (أي النساء، ويتضمّن الأحكام والنظم الخاصة بالزواج والطلاق) ٧رسائل.

٤ ـ كتاب نزيقين (أي الابرار، ويتضمّن جزءً كبيراً من الشرائع المدنية والجنائية) ١٠رسائل.

٥ ـ كتاب قداشيم (أي المقدّسات، ويحتوي على الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل) ١١ رسالة.

٦ ـ كتاب طهاروت (أي الطهارة، ويتضمّن الأحكام الخاصة بما هو طاهر ونجس، وما هو حلال وحرام من المأكولات والمشروبات وغيرها) ١٢ رسالة.

وأطلق على شروح المِشنا اسم «الغِمارا» (Gemara) أي الشرح والتعليق، و زُعم أنها استدراك لأحاديث الربابنة الماضين، و بها يكتمل كتاب المشنا.

وتتناول «الغِمارا» كل مقطع من نصوص المِشنا على حدة، وتشبعه شرحاً وتفسيراً وتحليلاً، مع استعراض الشواهد.

وثمّة نوعان للغمارا: أحدهما، الغِمارا الفلسطينية التي دوّنها علماء اليهود في فلسطين، والثاني الغِمارا البابلية التي دوّنها علماء اليهود في بابل، وهي أكثر تفصيلاً من الغِمارا الفلسطينية.

وقد قسّم التلمود تبعاً للغمارا إلى قسمين أيضاً: **التلمود الفلسطيني**، و**التلمود البابلي**.

ويتألف التلمود من عنصرين أساسيين: أحدهما **هالاخاه** (Halakhah) وتعني الطريق والأسلوب وهي عبارة عن تعاليم دينية للحياة الصالحة، والآخر **الهغادا** (Haggadah) أي الحديث، وهو عبارة عن أحاديث الربابنة التاريخية والخُلقية والدينية التي تستهدف بناء شخصية المؤمن عبر الأمثال والعبر والقصص المستقاة من تاريخ اليهود وسير حكمائهم وعظمائهم، ومن خلال وصف أنواع الثواب والعقاب في هذا العالم والعالم الآخر.

يُذكر أنّ كميّة كبيرة من مطالب التلمود قد وجدت طريقها إلى الكتب الإسلامية، واعتقد بعض المسلمين بصحة العديد منها، دون التثبّت من مصدرها، ويسمّى هذا النوع من الأحاديث بالإسرائيليات. نعم لاتخلو بعض موارد التلمود من الصحة لاسيما تلك التي تتفق والآيات والأحاديث الإسلامية.

وقد تكفّل التلمود باعتباره دائرة معارف غزيرة المحتوى بالحفاظ على الديانة اليهودية، واضحى مصدراً هامّاً من مصادر التشريع اليهودي. ولكونه يتضمّن الطعن على عيسى عليه السلام فقد رفضه المسيحيون، وأعلن زعماء الكنائس في القرن السادس الميلادي عن مخالفتهم له، بيد أن ذلك لم يخلّف مشكلة كبيرة طيلة قرون متمادية، إضافة إلى أن الأوساط العلمية اليهودية حرصت على عدم إثارة حفيظة النصارى، إلى أن قام يهودي اعتنق المسيحية بتحريض البابا عام (١٢٣٩م) على حرق كتاب التلمود، ومنذ ذلك الوقت أصبح حرقه أمراً رائجاً، حيث تُسيّر العربات المحملة بنُسَخ هائلة من التلمود إلى ميادين المدينة، ويتمّ احراقها أمام الملأ، أو الإنتفاع من جلودها في صناعة الأحذية.

وتتوفر حالياً عدّة نسخ خطية من التلمود البابلي في مكتبات العالم، وتوجد نسخة كاملة منه في مكتبة مدينة ميونخ الألمانية.

و صدرت أول و أشهر طبعة للتلمود بالنص العبري على يد شخص يُدعى دانيال

بومبرغ في مدينة البندقية بإيطاليا (وطبع التلمود البابلي في الأعـوام ١٥٢٠ ـ ١٥٢٣، والتلمود الفلسطيني في الأعوام ١٥٢٣ ـ ١٥٢٤).

ويقع التلمود البابلي وفقاً لتلك الطبعة في ٥٨٩٤ صفحة، و روعي ذلك في الطبعات اللاحقة حفاظاً على الإرجاع إلى ذلك الكتاب الضخم. وقد ترجم التلمود ونشر بلغات أوروبيّة عديدة. وتقع الترجمة الإنجليزية له في (١٨) مجلداً، طبعت في لندن.

٢٦ ـ قبالا

ظهر العرفان أو التصوف في الأديان كردّ فعل للشريعة والتعقّل (الفقه والفلسفة)، ولا يتيسّر إثباته أو نفيه، لأنه نابع من الذوق، وله ارتباط وثيق بالفن، وهو كـالنار الهـادئة يجذب كل شيء نحوه ويتقدم إلى أمام. وقد اصطبغت أديان الهند والشرق الأقصى بالطابع العرفاني، الأمر الذي أدّى إلى شغف العديد من سكان أمريكا وأوروبّا بها.

وترك العرفان اليهودي (الذي يسمّى قبالا أي المقبول) بصمات واضحة على الحياة المعنوية لبني إسرائيل. ومن أشهر الكتب التي أُلفت في هذا المضمار، هو كتاب زوهَر (أي زاهر)، وقد دار جدل ونقاش طويل حول مؤلف الكتاب المذكور.

ويُبحث في علم قبالا عن العرش الإلهي، و الإسم الأعظم، و حوادث آخر الزمـان، وظهور المسيح الموعود، و الرجعة، والقيامة، ويلعب علم الحروف دوراً كبيراً فـي هـذا الفن.

٢٧ ـ اليهودية في أوروبّا

كان اليهود في البلاد الإسلامية ينعمون بحياة رغيدة، حتى أن عدداً منهم تقلّد مناصب رفيعة، في حين أُرغم اليهود المقيمون في أوروبّا على العيش بذلة في أحياء منعزلة تسمّى الغيتو (ghetto). واتفق كثيراً أن أجبر هؤلاء على اعتناق المسيحية بالقوة، فكانوا نصارى

في الظاهر ويهود في الباطن، وقد عُرفوا باسم اليهود المتنصّرين (Marranos). كما نعم يهود الأندلس بالرخاء والإستقرار في ظلّ الحكم الإسلامي، ولمّا سقطت الأندلس بيد الإفرنج عام (١٤٩٢ م)، طُرِد اليهود منها أيضاً، فهاجروا إلى البلاد الإسلامية الواقعة في شمال إفريقيا، إلّا أنّ القليل منهم استطاع النجاة من مخالب قراصنة البحر وأطماع ربابنة السفن، والوصول إلى ساحل الأمان والإطمئنان.

إنّ السلوك الانساني والسيرة الحسنة للمسلمين حيال الأجانب أطلق ألسنة المؤرخين اليهود والنصارى بتمجيدهم.

٢٨ ـ اليهودية في العصر الحديث

أثر الضغوط المتواصلة التي تعرّض لها يهود أوروبّا من قبل المسيحيين وأقوام أخرى والنفي المستمر لهم، جعلهم يفكّرون مليّاً في إنشاء وطنٍ قوميّ لهم. ولم تكن هذه الفكرة وليدة الصدفة بل لها سابقة في التاريخ، وعلى الرغم من الظروف الآنفة الذكر، فقد أحرز اليهود نجاحاً مهنياً واقتصادياً باهراً بين الشعوب غير اليهودية، ممّا حدا بهم إلى عدم الهجرة إلى فلسطين بعد تأسيس الكيان الصهيوني.

ولأجل تشجيع يهود أوروبّا وآسيا وإفريقيا على الهجرة إلى إسرائيل، فقد أنشأت في أوساطهم منظّمات صهيونية تروّج لإسرائيل وتصورها كأنها الجنة الموعودة لليهود.

يُذكر أن جماعة من اليهود التي هاجرت إلى إسرائيل عادت إلى أوطانها.

٢٩ ـ ظهور الصهيونية وتأسيس دولة إسرائيل

إن الدين اليهودي في غنى عن الترويج والتبليغ، لأنه ـ كما يعتقد اليهود ـ نعمة إلٰهية حبا الله بها بني إسرائيل فحسب. ومع ذلك فإنهم يقبلون في صفوفهم كل من يعتنق اليهودية. وقد أوصى التلمود بضرورة اطلاع المعتنق لها على ما لاقوه من ذلّة ومسكنة،

حتى لايضع قدمه إذا لم يكن من رجال هذا الميدان.[١] ومن النادر أن يُجبر أحد على أعتناق اليهودية، في حين يدعو اليهود عادةً الناس إلى الصهيونية.

و في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أخرجت جماعة كبيرة من يهود روسيا، فاستوطنت بعضها غرب أوروبّا، وبعضها الآخر فلسطين في مكان بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط، أطلقوا عليه اسم صهيون. وكانت فلسطين آنذاك تابعة للخلافة العثمانية، وكان إسم صهيون يطلق قديماً على هضبة بالقرب من القدس، كانت في زمن اقتدار دولة بني إسرائيل (عصر داود وسليمان) مركزاً عسكرياً. هذا الاسم يعيد إلى أذهانهم شوكة بني إسرائيل، وقد جاء ذكره كثيراً في أسفار الأنبياء المتأخرين.

وفي تلك الحقبة نهض يهود أوروبّا و روسيا ـ متجاهلين سنة الإنتظار ـ من أجل نيل العزة والإستقلال، وأسسوا الصهيونية التي تبعتها هجرت اليهود إلى فلسطين. وقد حذر المفكرون المسلمون من مغبة هذه الهجرة، واعتبروها مؤامرة خطيرة تستهدف الإسلام وحذروا المسلمين من التعاون مع المهاجرين[٢]. وحينما وقف المسلمون على عمق الفاجعة كانت السبل قد أوصدت أمامهم.

لقد تناسى الصهاينة ضيافة المسلمين الفلسطينيين لهم، فاغتصبوا أراضيهم بأساليب بشعة، ولم يمضِ سوى عقد من الزمن حتى أحتلوا أراضي البلدان المجاورة وقاموا بضمّها إلى كيانهم الغاصب[٣].

وقد حشّد الإستكبار العالمي بقيادة امريكا وانجلترا قواه لدعم الصهاينة على كافة

---

١ ـ انظر: گنجينه أى أز تلمود (بالفارسيه): ٨٤.

٢ ـ وردت نماذج من هذه التحذيرات في تفسير المنار، ذيل الآية ٤٥ من سورة النساء.

٣ ـ حذرت التوراة اليهود من الطمع بأموال القريب (الخروج: ٢٠ / ١٧، والتثنية: ٥ / ٢١)، وورد فيها أيضاً: «ملعون من ينقل حدود قريبه» [التثنية: ٢٧ / ١٧].

الأصعدة، الأمر الذي أدّى إلى استغلال الصهاينة لهذا الدعم ـ إلى جانب ضعف قادة الدول الإسلامية ـ في تعزيز وجودهم، وفرض أوضاع مزرية على المسلمين، ما نـزال نشـهد مضاعفاتها الخطيرة.

وقد اقترف الكيان الصهيوني الغاصب للقدس الذي مضى على تشكيله اكثر من نصف قرن أبشع الجرائم في حق الفلسطينيين، دون أن يعيّر أهمية لقرارات الشرعية الدولية.

إنّ الّذين راودهم الأمل بالصلح مع الصهاينة، سرعان ما تبيّن لهم زيـف ادعـاءات الصهاينة وسوء سريرتهم ونفاقهم.

الخلاصة

أ ـ ينحدر اليهود من العرق السامي الذي ينتسب إليه الآشوريون والعرب، و قد عاشوا في بداية أمرهم حياة البداوة ثمّ بدأوا في الاستقرار بالمدن في عهد النبي يوسف عليه السلام، وقد أثّرت حياتهم البدوية تأثيراً بالغاً علىٰ اعتقاداتهم و طقوسهم الدينية.

ولمّا نجّىٰ موسىٰ بني اسرائيل من جور فرعون تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة و كانوا يأكلون فيها المنّ و السلوىٰ النازلين من السماء، و عهد إلىٰ موسىٰ أن يتكلّم مع الله سبحانه في وادي طور سيناء، و هناك تلقّىٰ لوحيْن نقشت فيهما وصايا الله سبحانه، و تبرز من بينها عشر وصايا مهمة للغاية و اشتهرت باسم الوصايا العشر.

ب ـ التوراة كتاب اليهود المقدس، و أطلق النصارىٰ عليه اسم العهد القديم في مقابل عهدهم الجديد.

وقد كتب العهد القديم باللغة العبرية وقليل منه باللغة الكلدانية، و للعهد القديم ٣٩ سِفراً، ويمكن تقسيم مواضيعه إلىٰ ثلاثة أقسام رئيسية هي:

١ ـ التوراة والقسم التاريخي للعهد القديم.

٢ ـ الحكمة، الأناشيد والشعر.

٣ ـ تنبّؤات الأنبياء.

وأما أسفار ابوكريفا العهد القديم فهي عشرة.

ج ـ أقيمت دعائم اليهودية في البداية علىٰ التوحيد ونهض جميع انبيائهم من موسىٰ عليه السلام إلىٰ آخرهم لمكافحة الشرك، والاسم الخاص لله سبحانه في الديانة اليهودية هو «يهوه» و يعني الموجود.

د ـ وقد وقع بنو اسرائيل في الأسر حينما قاد نبوخذ نصّر ملك بابل هجوما كاسحاً

علىٰ اورشليم أسفر عن مقتل سكان يهوذا و إسرائيل و أسر جموع غفيرة منهم، و عرفت هذه الحادثة في التاريخ **بالأسر البابلي**.

وقد تطبع اليهود خلال مدة الأسر بآداب و أخلاق المشركين.

هـ ـ وقع اليهود مثل سائر الأقوام تحت تأثير المحيط و استعاروا العديد من المفاهيم و المقوّمات الخاصة بالحضارات القديمة التي احتكوا بها بعد أن أضفوا عليها لوناً من الاخلاقيات التوحيدية التي انفردوا بها.

إنّ إحدىٰ معتقدات اليهود الرئيسية التي يرىٰ الباحثون أنّها مقتبسة من الديانة الزرادشتية هي فكرة البعث أو الرجعة، حيث ذهب الإيرانيون القدماء إلىٰ أنّ آهورا مازدا سوف ينتصر في النهاية علىٰ انغرو مئنيو و يقضي عليه، و من ثم ينبعث الموتىٰ، و اكتست هذه الفكرة طابعا معنويا و أصبحت نتاجا أصيلا لإلهامات اليهود.

و ـ إنّ أهمّ الفرق اليهودية هي: الفرّيسيون، و الصدوقيون، و السامريون، و الاسينيون، و القناؤون، و القراؤون و الدونمة.

ز ـ إنّ فكرة انتظار المسيح فكرة يهودية محضة، و كان اليهود بعد التدمير الاول لمدينة القدس ينتظرون قائداً الهياً فاتحاً يعيد لهم عظمة و شوكة شعب الله في عهد داود و سليمان و اطلقوا علىٰ المنقذ المنتظر اسم المسيح و يعني الممسوح .

ح ـ التلمود كتاب ضخم جمعت فيه احاديث اليهود و احكامهم، و أطلق علىٰ اسفار التلمود اسم **المشنا** بمعنىٰ المثنّىٰ او المكرّر، لأنه تكرار للتوراة، أطلق علىٰ شروح المشنا اسم **الغمارا**، اي الشرح و التعليق.

وثمّة نوعان للغمارا : **احدهما** الغمارا الفلسطينية، و **الثاني** الغمارا البابلية، و قد قسم التلمود تبعا للغمارا إلىٰ قسمين ايضا: التلمود الفلسطيني، والتلمود البابلي.

و يتألّف التلمود من عنصرين أساسيين:

احدهما **الهالاخاه** و هي عبارة عن تعاليم دينية للحياة الصالحة.

والآخر **الهغادا** و هو عبارة عن احاديث الربابنة التاريخية و الخلقية.

ط ـ ترك العرفان اليهودي الذي يسمّىٰ «قبالا» بصمات واضحة علىٰ الحياة المعنوية لبني اسرائيل، و من أشهر الكتب التي ألفت في هذا المضمار هو كتاب «زوهر»، و يبحث في علم قبالا عن العرش الإلهي، و الإسم الأعظم، و حوادث آخر الزمان، و ظهور المسيح الموعود، و الرجعة و القيامة.

تمارين

١ ـ ما هو العهد القديم، و ما هي مواضيعه الرئيسية؟

٢ ـ ما هي أسفار ابوكريفا؟

٣ ـ اشرح الأسر البابلي و اثره علىٰ اليهود.

٤ ـ ما هو التلمود، و ماهي اقسامه؟

٥ ـ اذكر تعريفا للكلمات التالية: المشنا، الغمارا، الهالاخاه، الهغادا، قبالا.

مصادر البحث

١ ـ ابستين، ي، «**التلمود البابلي**»، ١٨ مجلداً، لندن، ١٩٦١.

٢ ـ ابستين، ي، «**اليهودية**»، ط. عام ١٩٥٩.

٣ ـ انترمان، أ، «**اليهود... معتقداتهم الدينية وممارساتهم**»، لندن، ١٩٨١.

٤ ـ ايدسون، أ، «**الطقوس اليهودية وتطورها**»، نيويورك، ١٩٦٧.

٥ ـ جاكوبز، ل، «**اللاهوت اليهودي**»، لندن، ١٩٧٣.

٦ ـ جاكوبز، ل، «**مبادىء العقيدة اليهودية**»، نيويورك، ١٩٦٤.

٧ ـ غرينستون، جوليوس، «**انتظار مسيحا در آئين يهود**» (بالفارسية)، ترجمة حسين توفيقي، قم، مركز بحوث الأديان والمذاهب، ١٣٧٧.

٨ ـ فنكلستين، ي، «**اليهود... ديانتهم وثقافتهم**»، نيويورك، ١٩٧١.

٩ ـ **الكتاب المقدّس**، لندن، ١٩٠٤.

١٠ ـ كوهين، أ، «**گنجينه اي أز تلمود**»، (بالفارسية)، طهران، ١٣٥٠.

١١ ـ نوس، جون، «**تاريخ جامع أديان**» (بالفارسية)، ترجمة علي أصغر حكمت، طهران منشورات الثورة الإسلامية ، ١٣٧٠.

١٢ ـ هاكس، «**قاموس كتاب مقدس**»، طهران، منشورات أساطير، ١٣٧٧.

١٣ ـ هيوم، روبرت، «**أديان زنده جهان**» (بالفارسية)، ترجمة عبد الرحيم گواهي، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣هـ.

14 _ Arberry, A.J.(ed.), Religion in the Middle East, Cambridge: Cambridge University Press,1969.

٨
المسيحية

١ ـ عصر ظهور عيسىٰ عليه السلام

ولد المسيح عيسىٰ عليه السلام في إحدىٰ نقاط العالم التي كانت قد خضعت حديثاً لنفوذ الرومان، و فلسطين هي آخر الأراضي التي وقعت تحت سيطرتهم. و في هذا العصر رزح اليهود تحت سلطة الرومان الذين مارسوا ضدّهم ضغوطاً كبيرة، أسفرت عن نشوب اضطرابات و حركات تمرّد في صفوف اليهود في فلسطين، تمّ إخمادها و قمعها بكلّ قسوة.

أما بصدد نهضة عيسىٰ عليه السلام، فيمكن القول بأنها مُنيت في البداية بالفشل، إلّا أنّها انتشرت فيما بعد بعزيمة أتباعها الذين مضوْا قُدُماً في هذا السبيل، و استطاعت أن تستقطب أتباع سائر الديانات السابقة.

٢ ـ التنبّؤ بظهور عيسىٰ عليه السلام

هناك عدّة مجموعات دينية في العالم، منها الأديان الإبراهيمية التي تشكّل مجموعة واحدة، و أديان الهند الصينية التي تشكّل مجموعة أخرىٰ. و كلّ دين متأخر يدّعي أن الأديان السابقة التي تنتمي إلىٰ نفس المجموعة قد تنبّأت بظهوره. و في هذا الإطار سعىٰ

المسيحيون دون جدوىٰ إلىٰ البحث ـ و منذ عصور غابرة ـ عن تنبّؤات بظهور عيسىٰ عليه السلام في العهد القديم، ولكن اسمه عليه السلام لم يرد فيه قط. و لأجل تحقيق ما يصبون إليه، عمدوا إلى تأويل بعض النصوص الواردة في الكتاب المذكور، بغية استكشاف تنبّؤات لها علاقة بعيسىٰ عليه السلام، و قد كثر هذا النوع من التأويلات في إنجيل مَتّىٰ الذي يُقال أنه كُتب لأجل إرشاد اليهود.

يُذكر أنّ مقداراً كبيراً من هذه التنبّؤات يرتبط بصلب عيسىٰ عليه السلام، و هو أمر نفاه القرآن الكريم، واعتبره مجرّد وهم و تلبيس.[١]

٣ـ سيرة عيسىٰ عليه السلام

ركَنَ أتباع الأديان الإلهية و بسبب إيمانهم الراسخ إلىٰ الواقع التاريخي لأنبياء الله و رسله و اطمأنوا له، بيد أنّ الشكوك ظلّت تساور بعض العلماء حول ذلك الواقع. و قد كتب المؤرّخ الكبير وِل ديورانت تقريراً عن تاريخ (٢٠٠) سنة من التشكيك حول الوجود التاريخي لشخصية عيسىٰ عليه السلام، جاء فيه: هل شخصية عيسىٰ عليه السلام حقيقة واقعية؟ و هل سيرة مؤسّس المسيحية حاكتها هموم الناس و أحزانهم و تخيّلاتهم و آمالهم، و اعتبار شخصية عيسىٰ عليه السلام شخصية أسطورية خرافية كسائر أساطير آلهة المشركين؟

هذا النقاش حول أسطورية عيسىٰ عليه السلام بدأ منذ القرن الثامن عشر الميلادي، و أثار العالم الفرنسي فولني هذا الشك في كتابه «علىٰ أنقاض الإمبراطورية» عام ١٧٩٠ م. و حينما التقىٰ نابليون بونابرت بالكاتب الألماني الشهير فيلاند عام ١٨٠٨ م لم يسأله عن السياسة أو الحرب، بل سأله عمّا إذا كان يعتقد بواقعية عيسىٰ عليه السلام أم لا؟[٢]

ولد عيسىٰ عليه السلام ـ وفقاً لإنجيليْ متّىٰ و لوقا ـ في بيت لحم (علىٰ بعد ٨ كم من

---

٢ ـ قصّة الحضارة : ٣ / الفصل ٢٦.

أورشليم)، و هي التي وُلد فيها داود عليه السلام قبل حدود ١٠٠٠ عام من الميلاد. و تعتبر سنة ولادة المسيح بداية التاريخ الميلادي، ولكن يصعب تحديد سنة ولادته علىٰ وجه الدقة، و يحتمل أن تكون قبل أربع إلىٰ ثمان سنوات من مبدأ التاريخ الميلادي.

و مهما يكن، فإنّ أمّه مريم عليها السلام كانت مخطوبة لنجّار من مدينة الناصرة اسمه يوسف. و قد وردت قصّة ولادته في بداية إنجيليْ متّىٰ ولوقا، إلّا أنّها لم ترد في إنجيلي مرقس و يوحنّا، كما لم يرد فيها ذكر لبيت لحم، و إنّما أشارا فقط إلىٰ مدينة الناصرة.[1]

و نطالع في إنجيل مَتّىٰ:

(١٨) أما ميلاد يسوع المسيح، فهكذا كان. لمّا كانت مريم أمُّه مخطوبة ليوسف، وجدت قبل أن يتساكنا حاملاً من روح القدس (١٩) و كان يوسف زوجها بارّاً، فلم يرد أن يشهر أمرها، فعزم علىٰ أن يطلّقها سرّاً (٢٠) و ما نوىٰ ذلك حتىٰ تراءىٰ له ملاك الرّبّ في الحلم و قال له: «يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم إلى بيتك، فإنّ الذي كوِّن فيها هو من روح القدس (٢١) وستلد إبناً فسمِّه يسوع، لأنّه هو الذي يخلّص شعبه من خطايا هم (٢٢) و كان هذا كله ليتمّ ما قال الرّبّ علىٰ لسان النبيّ: (٢٣) «ها إنّ العذراء تحمل فتلد ابناً يسمّونه عمّا نوئيل» أي «الله معنا» (٢٤) فلمّا قام يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الرّبّ فأتىٰ بامرأته إلىٰ بيته (٢٥) علىٰ أنّه لم يعرفها حتىٰ ولدت إبناً فسمّاه يسوع.[2]

و أُطلق عليه بعد ولادته اسم يسوع، و أبدله اليونانيون و الرومانيون إلىٰ يسوس

---

١ ـ مرقس: ١ / ٩، يوحنا: ١ / ٤٥ ـ ٤٦ و ٧ / ٤٢.

٢ ـ متّىٰ: ١ / ١٨ ـ ٢٥.

(Iesus, Iesous)، و عُرف في العربية باسم عيسىٰ و لم ترد في الأناجيل أيّة إشـارة إلىٰ حياة الطفولة و أوان الشباب لعيسى. و لمّا بلغ من العمر حدود ثلاثين سنة، قصد يوحنّا المعمدان (يحيىٰ عليه السلام) للتعميد، ممّا يؤيد احتمال معرفته بفرقة الاسينين من قبل.

و قد ورد في الأناجيل ذكرُ إخوةٍ لعيسىٰ عليه السلام و أخوات، و وفقاً لعقيدة المسـيحيين الكاثوليك و الأرثذوكس فإنّ مريم عليها السلام ظلّت عذراء إلىٰ آخر عمرها، فمن المستحيل أن يكون لعيسىٰ عليه السلام اخوة بالمعنىٰ الدقيق لهذه الكلمة، و لهذا عمدوا إلىٰ تأويل كلام الإنجيل في هذا الصدد. أمّا المسيحيون البروتستانت، فيميلون إلىٰ المعنىٰ الظاهر لهذه الكلمات من خلال القول بأنّ عيسىٰ عليه السلام ولد من مريم العذراء، و لكن مريم عليها السلام و زوجها يوسف النجار مارسا حياتهما الزوجية بصورة طبيعية عقب ولادته عليه السلام، و أنجبا أطفالاً، و نهاية العبارة السالفة الذكر من إنجيل متّىٰ تؤيد وجهة النظر هذه.

يُذكر أن القرآن الكريم أشار إلىٰ بعض معجزات عيسىٰ عليه السلام كتكلّمه في المهد، و بعث الحياة في الطيور المخلوقة من الطين. و قد ذكرت ذلك بعض أناجيل أبوكريفا.

٤ ـ يوحنّا المَعْمَدان

ظهر قبل بعثة عيسى عليه السلام بقليل و في أرض يهودية نبي شاب هو يحيىٰ بن زكريا، ذاع أمره في بني إسرائيل، و كان يعظ الناس بقوله: «توبوا، قد اقترب ملكوت السموات».[١]

و يُراد بملكوت السموات لدىٰ بني إسرائيل: مملكة السماء، و هي هدفهم النـبيل. و لهذا السبب ـ و طبقاً لتصريح الأناجيل في موارد مختلفة ـ فإنّ دعوة يوحنا المعمدان قد أحرزت نجاحاً باهراً، و تركت أثراً عميقاً في نفوس الناس، حتىٰ أن جماعات كثيرة من مختلف شرائح المجتمع كانت تقصده، وتتوب علىٰ يديه، و كان هو يعمّدهم (أي يغسّلهم في نهرالأردن لتطهيرهم من الخطايا و الذنوب).

---

١ ـ متّىٰ : ٣ / ٢، مرقس : ١ / ٤، لوقا : ٣ / ٣.

و كان يحيىٰ عليه السلام جريئاً في الحق، يقول ما يعتقد دون خوف أو وجل من سطوة حاكم و طغيان ملك. و قد ندّد بخطايا هيرودس ملك اليهود الظالم و حاكم ولاية الجليل، الأمر الذي لم يُطقه ذلك الملك، فأمر بقطع رأسه في السجن.(١)

و لما سمع عيسىٰ المسيح عليه السلام بنبأ اعتقال يحيى عليه السلام بارح مدينته الناصرة، و توجّه إلىٰ مدينة كفرناحوم الواقعة علىٰ ساحل بحيرةالجليل.

(٢٣) و كان [عيسىٰ] يسير في الجليل كله، يعلم في مجامعهم و يعلن بشارة الملكوت، و يشفي الشعب من كل مرض و علة (٢٤) فشاع ذكره في سورية كلها، فأتوه بجميع المرضىٰ المصابين بمختلف العلل و الأوجاع من الممسوسين و الذين يصرعون في رأس الهلال و المقعدين فشفاهم (٢٥) فتبعته جموع كثيرة من الجليل و المدن العشرو أورشليم و اليهودية و عبر الأردن.(٢)

إنّ عيسىٰ عليه السلام كنظيره يحيىٰ عليه السلام بشّر بقرب ملكوت السماء دون أن يخلق له ذلك متاعب مع الناس.

وأيقن الكثير ممّن آمن أنه سيصبح ملكاً لمملكة السماء، في وقت شعر فيه زعماء اليهود أنّ تعليمات يسوع تهددهم. بعد أن أدركوا أنه لا يلبّي طموحاتهم في ظهور المسيح الفاتح، و أنه ماضٍ في إدانة خطيئاتهم وسوء أخلاقهم، فعمدوا إلى التآمر عليه.

وقد أثنىٰ عيسىٰ عليه السلام علىٰ يحيىٰ عليه السلام غير مرّة، و اقتدىٰ بسيرته الحسنة في نقاشاته و سجالاته مع خصومه.(٣)

---

١ ـ متّىٰ : ١٤ / ١ ـ ١٢، مرقس : ٦ / ١٤ ـ ٢٩، لوقا : ٩ / ٧ ـ ٩.

٢ ـ متّىٰ : ٤ / ٢٣ ـ ٢٥، مرقس : ١ / ١٤ ـ ١٥، لوقا : ٤ / ١٤ ـ ١٥.

٣ ـ متّىٰ : ٢١ / ٢٣ ـ ٢٧، مرقس : ١١ / ٢٧ ـ ٣٣، لوقا : ٢٠ / ١ ـ ٨.

٥ـ نهضة عيسىٰ عليه السلام

واصل عيسىٰ عليه السلام مهمّة يحيىٰ عليه السلام و بدأ دعوته مبشّراً بقرب ملكوت السماء، و تصدّىٰ للإرشاد والوعظ في الكنائس، و تبنّىٰ زعامة الأتباع و المؤمنين. يقول لوقا: عاد إلى الخليل، و اشتغل بالوعظ في الكنائس:

(١٨) روح الرّبّ عليّ لأنه مسحني لأبشّر الفقراء، و أرسلني لأعلن للمأسورين تخلية سبيلهم، و للعميان عودة البصرإليهم، و أُفرّج عن المظلومين (١٩) وأُعلن سنة رضا عند الربّ.[1]

و كان عيسىٰ(عليه السلام) قد شرع في التبشير و هو في الثلاثين من عمره، و قام تعليمه الأساسي علىٰ أمرين:

١ ـ توبوا، أي توبوا عن الخطيئة و توبوا إلى الله.

٢ ـ اقبلوا ولاية الله علىٰ حياتكم (أي ملكوت الله).

و لم يقتصر عيسىٰ عليه السلام على الوعظ و التعليم، بل أخذ:

١ ـ يجري المعجزات و يشفي المرضىٰ بإذن الله.

٢ ـ يحارب الشياطين و يطردهم.

٣ ـ يغفر الخطايا باسم الله.

٤ ـ يعزّي المرضىٰ و المحزونين و الفقراء.

٥ ـ يعاشر الخطاة.

٦ ـ ينتقد بشدّة رؤساء اليهود و علماء الشريعة.

٧ ـ ينبّيء بأزمة عالمية خطيرة، يكون النصر فيها لله.

---

١ ـ لوقا: ٤ / ١٨ ـ ١٩.

٨ـ ينشيء جماعة من التلاميذ يعيشون مثله، و ينقلون تعاليمه إلىٰ الآخرين.

و كانت تلك الجماعة مكوّنة من فريق الخاصة، و هم اثناعشر رجلاً (الرسل، الحواريون)، و فريق أوسع منهم هم التلاميذ.

٦ـ عيسىٰ عليه السلام ثائراً

كان عيسىٰ عليه السلام ـ كما يُستشفّ من مطالعة الأناجيل ـ من الشخصيات الثورية التي سعت جاهدة إلىٰ إنقاذ المستضعفين من مخالب الظالمين، إلّا أنّه ينبغي التذكير بأن المسيحيين كانوا و ما زالوا يردّدونَ أنّ مهمّة المسيح عليه السلام اقتصر على الهداية إلىٰ ملكوت السماء، و أنّ صلبه جاء تكفيراً عن خطايا البشر، و هذه النظرة لا تنسجم مع الأناجيل، بيْد أنها تتفق و كلمات بولس.

و نستعرض الآن نماذج من مواقفه الثورية و السياسية:

١ ـ ٦ ـ اختراق تنظيمات العدو

أوصىٰ عيسىٰ عليه السلام أتباعه وتلاميذه مراراً بالإفصاح عن هويتهم أمام الناس، إلّا أنه أذن لأحد تلامذته بالمشاركة في جلسات المجمع اليهودي (سنهدرين) مستخفياً، لأنه يصبّ في صالح الأهداف العليا للرسالة. و يبدو واضحاً ـ و بحكم طبيعة عمله ـ أنه كان يرفع التقارير لعيسىٰ عليه السلام ليطلّعه علىٰ مؤامرات المجمع و خيانة يهوذا الإسخر يوطي، و قد ظل الدور الذي لعبه التلميذ المذكور و الذي تطلّب منه الإنكار الصوري لعيسىٰ عليه السلام ظل طيّ الكتمان.

و لما أُلقي ـ في نهاية الأمر ـ القبض على المسيح عليه السلام، و تمّ صلبه في الظاهر، و تخلّىٰ عنه جلّ أتباعه خوفاً، في تلك الظروف الرهيبة، انطلق التلميذ المذكور إلى الحاكم الجائر، و طلب منه جثمان عيسىٰ عليه السلام فأمر الحاكم بتسليمه إليه، فأخذه و دفنه باحترام بالغ، و تروي أسفار الديانة المسيحية بشأنه مايلي:

«و جاء عند المساء رجل غني من الرامة اسمه يوسف، و كان هو أيضاً قد تتلمذ ليسوع».[1]

«جاء يوسف الرامي و هو عضو وجيه في المجلس، و كان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله».[2]

«و جاء رجل اسمه يوسف، و هو عضو في المجلس، و امرؤٌ صالح بارّ لم يوافقهم علىٰ قصدهم و لاعملهم، و كان من الرامة، و هي مدينة لليهود، و كان ينتظر ملكوت الله».[3]

«و بعد ذلك جاء يوسف الرامي، و كان تلميذاً ليسوع يُخفي أمره خوفاً من اليهود».[4]

٢ ـ ٦ ـ التعميد في الدم

استعمل المسيح عليه السلام مصطلح التعميد المقدس لبيان مبلغ شوقه للشهادة في سبيل الله (التعميد في الدم). قد جاء التعميد بمعنىٰ الشهادة أيضاً في إنجيل مرقس: ١٠ / ٣٨ ـ ٣٩، كما ورد في الأناجيل التعميد في الماء، و التعميد في النار و روح القدس.[5] و ورد تعبير «صبغة الله» في القرآن الكريم،[6] و قد فسّرها بعضهم بالتعميد الإلهي.

(٤٩) جئت لألقي على الأرض ناراً، و ما أشدّ رغبتي أن تكون قد اشتعلت (٥٠) و عليّ أن أقبل معمودية، و ما أشدّ ضيقي حتىٰ تتمّ (٥١) أتظنون أني جئت لأحلّ السلام في الأرض؟ أقول لكم: لا، بل الانقسام

---

١ ـ متّىٰ: ٢٧ / ٥٧.
٢ ـ مرقس: ١٥ / ٤٣.
٣ ـ لوقا: ٢٣ / ٥٠ ـ ٥١.
٤ ـ يوحنا: ١٩ / ٣٨.
٥ ـ متّىٰ: ٢ / ١١، مرقس: ١ / ٨، لوقا: ٣ / ١٦.
٦ ـ البقرة / ٣٨.

(٥٢) فيكون بعد اليوم خمسة في بيت واحد فنقسمين، ثلاثة منهم علىٰ اثنين، و اثنان علىٰ ثلاثة (٥٣) سينقسم الناس فيكون الأب علىٰ ابنه و الابن على أبيه، و الأم علىٰ بنتها و البنت علىٰ أمّها، و الحماة، علىٰ كنّتها و الكنّة علىٰ حماتها. [١]

٣ ـ ٦ ـ صليب الشهادة

يقدس المسيحيون الصليب كرمز لصلب المسيح الذي جاء تكفيراً عن خطايا البشر. و قد ورد عن المسيح قوله: «**إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه و يحمل صليبه و يتبعني**». و هذا الكلام يدل بوضوح علىٰ ان تقديس الصليب يرجع إلىٰ عهد حياة المسيح عليه السلام لا أنه رمز لصلبه. و معنىٰ حمل الصليب هو الاستهانة بالحياة و إنكار الذات و الاستعداد للتضحية في سبيل الله. و قد تمثّل ذلك في ارتداء الأكفان من قبل الشعب الإيراني المسلم كتعبير عن الاستعداد للتضحية و الشهادة في سبيل الله إبّان أحداث الثورة الإسلامية، كما تمثّل أيضاً في قول دِعبل شاعر أهل البيت عليهم السلام: إني أحمل خشبتي منذ أربعين سنة، و لاأجد من يصلبني عليها.[٢]

(٢٥) و كانت جموع كثيرة تسير معه فالتفت و قال لهم: (٢٦) «من أتىٰ إليّ و لم يفضلّني علىٰ أبيه و أمه و امرأته و بنيه و إخوته و أخواته بل علىٰ نفسه أيضاً لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً (٢٧) و من لم يحمل صليبه و يتبعني لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً». [٣]

(٣٤) و دعا الجمع و تلاميذه و قال لهم: «من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه و يحمل صليبه و يتبعني (٣٥) لأنّ الذي يريد أن يخلّص حياته

---

١ ـ لوقا: ١٢ / ٤٩ ـ ٥٣.

٢ ـ عبدالله بن المعتز، طبقات الشعراء، ص ١٢٥.

٣ ـ لوقا: ١٤ / ٢٥ ـ ٢٧.

يفقدها، و أما الذي يفقد حياته في سبيلي و سبيل البشارة فإنّه يُخلّصها».(١)

٤ ـ ٦ ـ السيف بدل السلام

كان المترفون من اليهود يحملون تصوراً خاطئاً عن المسيح الموعود، الأمر الذي جعل المسيح يعلن عن أهداف رسالته بغية تصحيح مسار أفكارهم و تصوراتهم.

(٣٤) لا تظنّوا أنّي جئت لأحمل السلام إلى الأرض، ماجئت لأحمل سلاماً بل سيفاً (٣٥) جئت لأُفرّق بين المرء و أبيه، و البنت و أمّها، و الكَنّة وحماتها (٣٦)فيكون أعداءالإنسان أهل بيته.(٢)

٥ ـ ٦ ـ الدعوة إلىٰ الكفاح المسلّح

حينما علم المسيح عليه السلام أنّ إلقاء القبض عليه بات أمراً وشيكاً، و علم أيضاً أنه سيعامل معاملة مجرم، سعىٰ إلى الدعوة للكفاح المسلح، إلّا أنّ دعوته هذه لم تجد آذاناً صاغية.

(٣٦) فقال لهم: «... من لم يكن عنده سيف فليبع رداءه و يشتره (٣٧) فإني أقول لكم: يجب أن تتم في هذه الآية و أُحصىٰ مع المجرمين، فإن أمري ينتهي، فقالوا: «يا ربّ، هٰهنا سيفان، فقال لهم: كفىٰ».(٣)

من هنا، و بسبب التصور الخاطىء الذي كان يحمله أصحاب عيسىٰ عليه السلام عن المسيح الموعود، فانهم لم يدركوا عمق الخطر الذي يتهدّده، و لم يُبالوا كثيراً بأمره الأكيد بشراء السيوف، ثمّ ما لبثوا أن وقفوا علىٰ أهمّية السلاح بعد أن باغت المسيح عليه السلام جمعٌ غفير و هم يحملون السيوف و العصيّ، بيد أنّ عدم أخذهم الأُهبة اللازمة للدفاع، حال دون

---

١ ـ مرقس: ٨ / ٣٤ ـ ٣٥، متّىٰ: ١٠ / ٣٧ ـ ٣٩ و ١٦ / ٢٤ ـ ٢٦، لوقا: ٩ / ٢٣ ـ ٢٥.

٢ ـ متّىٰ: ١٠ / ٣٤ ـ ٣٦.

٣ ـ لوقا: ٢٢ / ٣٦ ـ ٣٨.

الاستفادة من السلاح في تلك الظروف الحرجة، ممّاحدا بالمسيحعليه السلام إلىٰ مناشدة أصحابه بعدم مواجهة العدو.[١]

(٥١) و إذا واحد من الذين مع يسوع قد مدّ يده إلىٰ سيفه، فاستله و ضرب خادم عظيم الكهنة، فقطع أذنه (٥٢) فقال له يسوع: إغمد سيفك، فكل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك.[٢]

٦ـ٦ـ تحقير الملك

وصف عيسىٰ المسيحعليه السلام هيرودس ملك ولاية الجليل بالثعلب، دون أي خوف أو وجل من ظلمه و قسوته و هو الذي قتل يحيىٰعليه السلام.

(٣١) في تلك الساعة دنا بعض الفرّيسيين فقالوا له: اخرج فاذهب من هنا، لأنّ هيرودس يريد أن يقتلك (٣٢) فقال لهم: اذهبوا فقولوا لهذا الثعلب:ها إني أطرد الشياطين و أُجري الشفاء اليوم و غداً، و في اليوم الثالث ينتهي أمري (٣٣) ولكن يجب عليّ أن أسير اليوم و غداً و اليوم الذي بعدهما، لأنه لا ينبغي لنبيّ أن يهلك في خارج أورشليم» .[٣]

بهذا النحو تعامل المسيحعليه السلام مع ملك ولاية الجليل. أما بولس الذي جاء بعده. فقد أوصىٰ بإطاعة الملوك و الحكام.

(١) ليخضع كل امرىء للسلطات التي بأيديها الأمر، فلاسلطة إلّا من عندالله، والسلطات القائمة هو الذي أقامها (٢) فمن عارض السلطة

---

١ ـ و هو نظير ما حصل لنبي الإسلامصلى الله عليه وآله خلال محنة المسلمين في مكّة المكرمة، حيث منع أصحابه من أي إقدام مسلح بسبب عدم توفر مقوّمات الدفاع.

٢ ـ متّىٰ : ٢٦ / ٥١ ـ ٥٢، مرقس : ١٤ / ٤٧، لوقا : ٢٢ / ٥٠ ـ ٥١، يوحنا : ١٨ / ١٠ ـ ١١ .

٣ ـ لوقا : ١٣ / ٣١ ـ ٣٣ .

قاوم النظام الذي أراده الله، و المقاومون يجلبون الحكم علىٰ أنفسهم (٣) فلا خوف من الرؤساء عندما يفعل الخير، بل عندما يفعل الشرّ أ تريد ألّا تخاف السلطة؟ افعل الخير تنل ثناءها (٤) فإنها في خدمة الله في سبيل خيرك، ولكن خف إذا فعلت الشرّ فإنها لم تتقلد السيف عبثاً، لأنها في خدمة الله كيما تنتقم لغضبه من فاعل الشرّ (٥) و لذلك لابد من الخضوع لاخوفاً من الغضب فقط بل مراعاة للضمير أيضاً (٦) و لذلك تؤدّون الضرائب و الذين يجبونها هم خدم الله يعملون ذلك بنشاط (٧) أدّوا لكلّ حقه الضريبة لمن له الضريبة، و الخراج لمن له الخراج، و المهابة لمن له المهابة، و الإكرام لمن له الإكرام. [١]

٧ ـ ٦ ـ الله و قيصر

قيل إنه جاء في الأناجيل «أوكلوا عمل قيصر لقيصر و عمل الله لله». ولكن ينبغي أن يُعلم (أولاً) أن العبارة المذكورة في الأناجيل هي على النحو التالي «أدّوا لقيصر ما لقيصر، و لله ما لله»، (ثانياً) أن الكلام المذكور فاقد الدلالة، لأن المسيح قاله في حال التقية:

(٢٠) فترصّدوه و أرسلوا جواسيس يظهرون أنهم من أهل الورع، ليأخذوه بكلمة فيسلموه إلىٰ قضاء الحاكم و سلطته (٢١) فسألوه: يا معلّم نحن نعلم أنك علىٰ صواب في كلامك و تعليمك لاتُحابي أحداً، بل تعلِّم سبيل الله بالحق (٢٢) أيحلّ لنا أن ندفع الجزية إلىٰ قيصر أم لا؟ (٢٣) ففطن لمكرهم فقال لهم (٢٤) أروني ديناراً! لمن الصورة التي عليه و الكتابة؟ فقالوا: لقيصر (٢٥) فقال لهم: أدّوا إذاً لقيصر ما لقيصر، و لله ما لله». [٢]

---

١ ـ رسالة بولس إلىٰ أهل روما: ١٣ / ١ ـ ٧.

٢ ـ لوقا: ٢٠ / ٢٠ ـ ٢١، متّىٰ: ٢٢ / ١٥ ـ ٢٢، مرقس: ١٢ / ١٣ ـ ١٧.

٨ ـ ٦ ـ مخاصمة تجّار الدين

عنّف عيسىٰ عليه السلام زعماء اليهود الدينيين المرائين المتكالبين علىٰ الدنيا، مما أثار سخطهم، فراحوا يتآمرون للقضاء عليه، و إليك مقطعاً من كلامه عليه السلام في هذا الصدد:

(١٣) الويل لكم أيّها الكتبة و الفرّيسيون المراؤون، فإنكم تقفلون ملكوت السموات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون، و لا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون (١٤) الويل لكم أيّها الكتبة و الفرّيسيون فإنكم تأكلون بيوت الأرامل و أنتم تظهرون أنكم تطيلون الصلاة، سينالكم العقاب الأشد (١٥) الويل لكم أيّها الكتبة و الفرّيسيون المراؤون فإنكم تجوبون البحر و البر لتكسبوا دخيلاً واحداً، فإذا أصبح دخيلاً جعلتموه يستحقّ جهنّم ضعف ما أنتم تستحقّون... (٢٩) الويل لكم أيّها الكتبة و الفرّيسيون المراؤون فإنكم تبنون قبور الأنبياء و تزيّنون ضرائح الصدّيقين (٣٠) و تقولون لو عشنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء (٣١) فأنتم تشهدون علىٰ أنفسكم بأنّكم أبناء قتلة الأنبياء (٣٢) فاملأوا أنتم مكيال آبائكم (٣٣) أيّها الحيّات أولاد الأفاعي، كيف لكم أن تهربوا من عقاب جهنم.[١]

٩ ـ ٦ ـ إظهار القدرة

قال عيسىٰ المسيح عليه السلام:

(٢٧) سوف يأتي ابن الإنسان في مجد أبيه و معه ملائكته فيجازى يومئذ كل امرىءٍ علىٰ قدر أعماله (٢٨) الحق أقول لكم من الحاضرين

---

١ ـ متّىٰ: ٢٣ / ١٣ ـ ٣٣، لوقا: ١١ / ٣٩ ـ ٥٤ .

ههنا من لايذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته.[١]

و أخيراً، دخل عيسىٰ عليه السلام في أواخر أيامه مدينة القدس، ممتطياً حماراً مستقبلاً بحفاوة من قبل منتظري ملكوت السموات الذين راحوا يهتفون: «تبارك الآتي، الملك باسم الرب».

(٣٩) فقال له بعض الفرّيسيون من الجمع: يامعلم انتهر تلاميذك (٤٠) فأجاب: أقول لكم: لو سكت هؤلاء لهتفت الحجارة. [٢]

ثم دخل الهيكل بكل أبّهة و إجلال و طرد الصيارفة. و لعل بعض الناس كان يعتقد أن المسيح الموعود يقبل علىٰ فرس و يطيح عرش الملوك الظلمة، إلّا أن الخطوة الوحيدة التي قام بها عيسىٰ المسيح عليه السلام، هو أنه امتطىٰ حماراً كان أخذه عارية، و بعد دخوله الهيكل (**قلب طاولات الصيارفة و مقاعد باعة الحمام**).[٣]

و أراد المسيح بعد هذا أن يبلوَ المجتمع الإسرائيلي، فلمّا رأىٰ مخالفة الفرّيسيين العلنية لمواقفه الإصلاحية، أيقن أن الشرائط لم تتوفر بعد لإجراء تغييرات جذرية، الأمر الذي دعاه إلىٰ مخاطبة مدينة القدس بعد عتاب شديد لها بقوله:

(٣٧) أورشليم، أورشليم يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، فلم تريدوا (٣٨) هوذا بيتكم يترك لكم قفراً (٣٩) فإنّي أقول لكم لاترونني بعد اليوم حتىٰ تقولوا «تبارك الآتي باسم الربّ». [٤]

---

١ ـ متّىٰ: ١٦ / ٢٧ ـ ٢٨، مرقس: ٩ / ١، لوقا: ٩ / ٢٦ ـ ٢٧.

٢ ـ لوقا: ١٩ / ٣٩ ـ ٤٠.

٣ ـ متّىٰ: ٢١، مرقس: ١١، لوقا: ١٩، و يوحنا: ١٢.

٤ ـ متّىٰ: ٢٣ / ٣٧ ـ ٣٩، لوقا: ١٣ / ٣٤ ـ ٣٥.

١٠ ـ ٦ ـ تتميم التوراة

بيّن عيسىٰ عليه السلام الخطوط العريضة لرسالته لما وعظ من علىٰ سفح جبل، و قال:

(١٧) لا تظنوا أنّي جئت لأُبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئتُ لأُبطل بل لأُكمل (١٨) الحق أقول لكم: لن يزول حرف أونقطة من الشريعة حتىٰ يتم كل شيء أو تزول السماء و الأرض (١٩) فمن خالف وصيّة من أصغر تلك الوصايا و علّم الناس أن يفعلوا مثله عُدّ الصغير في ملكوت السموات و أما الذي يعمل بها و يعلّمها فذاك يُعدّ كبيراً في ملكوت السموات.... (٣٨) سمعتم أنه قيل العين بالعين و السنّ بالسنّ (٣٩) أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّير، بل من لَطَمك علىٰ خدّك الأيمن فاعرض له الاخر. (١)

و قد تصور بعضهم أن معنى العبارة الآنفة الذكر هو التسليم و الخضوع أمام الظلم، و لكن هذا التصور ـ كما يبدو ـ بعيد عن الصحة، لاسيما إذا نظرنا إليها باعتبارها موعظة أخلاقية تؤكّد علىٰ ضرورة العفو و التسامح في الأمور الشخصية، و هي نظير ماجاء في القرآن الكريم و الأحاديث الإسلامية و سيرة الأنبياء و الأولياء من التأكيد علىٰ الصبر و العفو عن المذنبين و السلام عليهم و كظم الغيظ عن أفعالهم القبيحة.(٢)

و من أبرز الصفات الحسنة للإنسان المتّقي عند أميرالمؤمنين علي عليه السلام، هي «أن يعفو عمّن ظَلَمه، و يُعطي من حَرَمه، و يصلُ من قَطَعه»(٣)، و أشار عليه السلام إلىٰ شيء من هذا القبيل في كتابه الذي بعثه إلىٰ نجله الإمام الحسن عليه السلام، و أضاف:

---

١ ـ متّىٰ : ٥ / ١٧ ـ ٣٩ .

٢ ـ راجع علىٰ سبيل المثال: النحل / ١٢٦ ـ ١٢٨، المؤمنون / ٩٦، الفرقان / ٦٣ ـ ٧٢، و فصّلت / ٣٤ ـ ٣٦.

٣ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٤.

«إيّاك أن تصنع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله»[١].

و نطالع في رواية عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام أنه نسب القول «إنْ لطمَ أحد خدّك الأيمن، فأعطِ الأيسر» إلى المسيحعليه السلام[٢] و نقرأ في الإنجيل أيضاً:

(٢١) فدنا بطرس و قال له: يا ربّ، كم مرة يخطأ إليّ أخي و أغفر له؟ أ سَبْعَ مرّات؟ (٢٢) فقال له يسوع: لا أقول لك سبع مرات، بل سبعين مرة سبع مرات. [٣]

و ورد في إنجيل يوحنا أنه لّما أُلقي القبض علىٰ عيسىٰعليه السلام، لطمه أحد الحرّاس، فاعترض عليهعليه السلام و قال له: «لماذا تضربني». [٤]

و علىٰ الرغم من أن المسيحعليه السلام وصّىٰ بعدم مقاومة الأشرار، فإن تلامذته و أتباعه لم يرضخوا للظلم، و اعتبروا وصيّته تلك ممّا يتعلّق بالقضايا الشخصية، و كانوا يستمدّون العون من الله في مواجهة الملوك و الأعداء، و يبتهلون إليه تعالىٰ بهذا الدعاء:

(٢٤) يا سيّد، أنت صنعت السماء و الأرض و البحر و كلّ شيء فيها (٢٥) أنت قلت علىٰ لسان أبينا داود عبدك، بوحي روح القدس. لماذا ضجّت الأمم، و إلى الباطل سعت الشعوب؟ (٢٦) ملوك الأرض قاموا، و على الرب و مسيحه تحالف الرؤساء جميعاً (٢٧) تحالف حقاً في هذه المدينة هيرودس و بنطيوس بيلاطس و الوثنيون و شعوب إسرائيل علىٰ عبدك القدّوس يسوع الذي مسحته (٢٨) فاجروا ما خطّته يدك من

---

١ ـ نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

٢ ـ بحارالأنوار: ١٤ / ٢٨٧، و قد جاءت عبارة الإنجيل تلك ضمن مواعظ السيد المسيحعليه السلام في آخر كتاب «تحف العقول» لابن شعبة الحرّاني.

٣ ـ متّىٰ : ١٨ / ٢١ ـ ٢٢، لوقا : ١٧ / ٣ ـ ٤ .

٤ ـ يوحنّا : ١٨ / ٢٢ .

ذي قبل و قضت مشيئتك بحدوثه (٢٩) فانظر الآن يا ربّ إلىٰ تهديداتهم، وهب لعبيدك أن يعلنوا كلمتك بكل جرأة. [١]

و شعر رؤساء الدين اليهودي بأنّ تعليم عيسىٰ يهدّدهم، فتآمروا عليه ليقتلوه، و خانه يهوذا الإسخريوطي أحد الرسل، فأُسلم إلى السلطات الرومانية بتهمة التآمر عليها لإطاحة حكمها الاستعماري، و في آخر ليلة من حياته تناول العشاء مع رسله، و بعد العشاء الأخير قبضت السلطة الرومانية علىٰ عيسىٰ و أحالته علىٰ القضاء، و حكمت عليه بالإعدام، و تعلّمنا الأناجيل أنّ عيسىٰ صلب و مات على الصليب و قُبر.

و بعد ثلاثة أيام أقامه الله من الموت، و ظهر لتلاميذه عدّة مرّات، ثم رُفع إلىٰ السماء و في عيد العَنْصَرَة حلّ روح القدس على التلاميذ، فكون منهم جماعة تحمل رسالة عيسىٰ و تعمل عمله علىٰ مرّ العصور.

٧ـ الرّسل

اختار عيسىٰ المسيح عليه السلام في بداية الدعوة أتباعاً يستعين بهم علىٰ نشرها، و قد أشار إلىٰ ذلك القرآن الكريم في آخر سورة الصف، و نطالع في الإنجيل:

(١٨) و كان يسوع سائراً علىٰ شاطىء بحر الجليل، فرأىٰ أخوين، هما سمعان الذي يقال له بطرس و اندراوس أخوه يُلقيان الشبكة في البحر لأنهما كانا صيّادين (١٩) فقال لهما: اتبعاني أجعلكما صيّادي بشر (٢٠) فتركا الشِّباك من ذلك الحين و تبعاه [٢].

١ ـ أعمال الرسل: ٤ / ٢٤ ـ ٢٩ .

٢ ـ متّىٰ: ٤ / ١٨ ـ ٢٠، مرقس: ١ / ١٦ ـ ١٨ .

١ ـ ٧ ـ الحواريون الإثنىٰ عشر

قد عُرف هؤلاء الأتباع بتلاميذ عيسىٰ، و اختار منهم (١٢) تلميذاً سمّاهم الرسل[1]، و أطلق عليهم القرآن الكريم اسم الحواريين، و ورد بنفس هذا المعنىٰ في اللغة الحبشية.

(٢٨) فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم، أنتم الذين تبعوني متىٰ جلس ابن الإنسان علىٰ عرش مجده عندما يجدّد كل شيّ، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر عرشاً لتدينوا أسباط إسرائيل الإثني عشر.[2]

أما أسماء رسل عيسىٰ الإثني عشر الذين ورد ذكرهم في الأناجيل[3] فهم كالتالي:

١ـ شمعون بن يونا (بطرس).

٢ـ اندراوس (شقيق بطرس).

٣ـ يعقوب بن زبدىٰ.

٤ـ يوحنّا (شقيق يعقوب).

٥ ـ فيليبس.

٦ـ برتلماوس.

٧ـ توماس.

٨ـ متّىٰ العشار.

٩ـ يعقوب بن حلفى.

١٠ـ تدّاوس (يهوذا، شقيق يعقوب).

---

١ ـ لوقا: ٦ / ١٣. ٢ ـ متّىٰ: ١٩ / ٢٨.

٣ ـ متّىٰ: ١٠ / ٢ ـ ٤، مرقس: ٣ / ١٦ ـ ١٩، لوقا: ٦ / ١٤ ـ ١٦، أعمال الرسل: ١ / ١٣.

١١ـ شمعون الغيور.

١٢ـ يهوذا الإسخريوطي.

يُذكر أنّ الأناجيل أفادت ـ و كما تنبّأ عيسىٰ عليه السلام ـ بأنّ جميع الرسل انفضّوا من حوله عليه السلام، حينما أُلقي القبض عليه، و كان يهوذا الإسخريوطي قد خانَ المسيح من قبل، و أرشد إليه الفرّيسيين و الرومان، و سهّل لهم صلبه، و تقاضىٰ منهم علىٰ ذلك أجراً.

و لمّا مضىٰ عيسىٰ عليه السلام، و بغية إكمال عدد الرسل الاثني عشر، تمّ انتخاب (متياس) بدلاً عن يهوذا الإسخريوطي[1].

و يُعدُّ شمعون من كبار الرسل، و قد أطلق عليه عيسىٰ عليه السلام اسم بطرس (أي الصخرة)، لأنه يشكّل الحجر الأساس للكنيسة أو المجتمع المسيحي:

(١٨) و أنا أقول لك: أنت صخر و علىٰ الصخر هذا سأبني كنيستي فلن يقوىٰ عليها سلطان الموت (١٩) و سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فما ربطته في الأرض ربط في السموات، و ما حللته في الأرض حُلّ في السموات.[2]

أصبح يوحنّا رسولاً في سنّ الطفولة[3].

و أكمل إنجيله ـ وفق عقيدة المسيحيين ـ في نهاية القرن الأول و هو في سنّ الشيخوخة، و كتب متّىٰ الرسول أحد الأناجيل، كما نسبت بعض رسائل العهد الجديد إلىٰ بطرس و يوحنّا و بقيّة الرسل، و نسبت إليهم أيضاً أناجيل و رسائل أبوكريفا ـ يُذكر أن بعض الفرق المسيحية تُرجع تاريخ كنائسها إلىٰ بعض الرسل.

---

١ ـ أعمال الرسل: ١ / ١٥ ـ ٢٦.

٢ ـ متّىٰ: ١٦ / ١٨ ـ ١٩، يوحنا: ٢١ / ١٥ ـ ١٩.

٣ ـ يوحنّا: ١٣ / ٢٣ ـ ٢٥ و ٢١ / ٢٠.

٢ ـ ٧ بولس

و على الرغم من أنّ عيسىٰ عليه السلام عيّن بطرس خلفاً له، إلّا أنّ رسولاً آخر هو بولس حاز علىٰ مكانة أفضل حتىٰ عُدّ المؤسس الحقيقي للمسيحية.

و كان اسمه في البداية شاؤول، و هو من الأسماء العبرية، و يُلفظ باليونانية (سَولُس)، ثم بدّل اسمه إلى (بولس) بعد اعتناقه المسيحية.

و كان بولس الروماني الجنسية من اليهود المتطرّفين الذين اضطهدوا المسيحيين بعنف، ثمّ ادّعىٰ أنه بينما كان يسير في طريقه من مدينة القدس إلىٰ دمشق لإلقاء القبض علىٰ بعض المسيحيين، آنس في الطريق نور عيسىٰ عليه السلام، فاعتنق المسيحية بأمره عليه السلام[1].

ثم أخذ ـ بعد هذا التحوّل المفاجىء ـ في التبشير للمسيحية، فتحملّ في هذا السبيل ألواناً من المحن، و كان قد ادّعىٰ الرسالة من قبل المسيح عليه السلام، و طاف مدناً عديدة، و نشر المسيحية إلىٰ سواحل البحر الأبيض المتوسط، و وجّه رسائل إلىٰ حديثي العهد بالمسيحية، نُقل بعضها في العهد الجديد.

و قد أثارت الأفكار الجديدة التي طرحها بولس صراعاً عنيفاً بينه و بين بطرس و سائر الرسل، و انعكس جانب من هذا الصراع في سِفر أعمال الرسل، و في رسائله، فقد كتب يقول:

(١١) و لكن لما قدم صخر [بطرس] إلىٰ أنطاكية، قاومته وجهاً لوجه، لأنه كان يستحق اللوم[2].

كما أشار بولس عند تعداد فضائله و تذليله للعقبات التي واجهته في التبشير، أشار إلىٰ الإخوة الكذّابين، و يريد بهذا الاصطلاح الرسل الذين خالفوا أفكاره:

(٢٢) هم عبرانيون؟ و أنا عبرانيّ، هم إسرائيليون؟ و أنا إسرائيلي،

---

١ ـ أعمال الرسل: ٩ / ١ ـ ٣١.

٢ ـ رسالة إلىٰ أهل غلاطية: ٢ / ١١.

هم من نسل إبراهيم؟ و أنا أيضاً (٢٣) هم خدم المسيح؟ ـ أقول قول أحمق ـ و أنا أفوقهم، أفوقهم في المتاعب، أفوقهم في دخول السجون، أفوقهم كثيراً جدّاً في تحمّل الجلد، في التعرّض لأخطار الموت مراراً (٢٤) جلدني اليهود خمس مرّات أربعين جلدة إلّا واحدة (٢٥) ضربت بالعصيّ ثلاث مرّات، رجمت مرّة واحدة، انكسرت بي السفينة ثلاث مرات، قضيت ليلة و نهاراً في عرض البحر (٢٦) أسفار متعددة، أخطار من الأنهار، أخطار من اللصوص، أخطارمن بني قومي، أخطار من الوثنيين، أخطار في المدينة، أخطار في البرّيّة، أخطار في البحر، أخطار من الإخوة الكذّابين (٢٧) جهد و كدّ، سهر كثير، جوع و عطش، صوم كثير، برد و عري (٢٨) فضلاً عن سائر الأمور من همّي اليوميّ و الاهتمام بجميع الكنائس (٢٩) فمن يكون ضعيفاً و لا أكون ضعيفاً؟ و من تزلّ قدمه و لا أحترق أنا؟ (٣٠) إن كان لابدّ من الافتخار، فسأفتخر بحالات ضعفي (٣١) إنّ الله أبا الربّ يسوع ـ تبارك للأبد ـ عالم لا أكذب (٣٢) كان عامل الملك الحارث في دمشق يأمر بحراسة المدينة للقبض عليّ (٣٣) و لكنّي دُليت في زنبيل من كُوَّة على السور، فنجوت من يديه[١].

توفّي بولس ـ كما يقال ـ في روما في حدود الأعوام ٦٤ ـ ٦٧، و يذهب المسيحيون إلىٰ أنّ عدداً من الرسل مثل بطرس و بولس قد استشهد. يُذكر أنّ ضريح بطرس الواقع علىٰ تلّ الفاتيكان في روما قد حاز علىٰ أهمية كبيرة، و أصبح منذ القدم قاعدة للكاثوليك. وتُعدّ كنيسة (سانت بيتر) وقصورها وحدائقها من أروع الآثار الفنّية في العالم.

هذا، و لم تتعرّض الكتب التاريخية المستقلة لرسل عيسىٰ عليه السلام بشيء.

---

١ ـ الرسالة الثانية إلىٰ أهل قورنتس: ١١ / ٢٢ ـ ٣٣.

٨ـ تأسيس الكنيسة

أشارت الأناجيل إلىٰ سيرة المسيح عليه السلام، و أوردت مقتطفات من كلامه، إلّا أنّ اهتمامها انصبّ بالدرجة الأساسية علىٰ تبشيره عليه السلام. و قد جاءت أخبار صلبه في نهاية الأناجيل الأربعة، و خلاصة ما جاء فيها أنه كان زاهداً، ماضي العزم في إصلاح مجتمعه المُـمزّق البالي، و قد سعىٰ كل السعي في تنفيذ برامجه الإصلاحية علىٰ نطاق واسع، إلّا أنّ النجاح لم يحالفه كثيراً. و لمّا مضىٰ عليه السلام، و تأسّست الكنيسة و المجتمع المسيحي المتمثّل في عدد من تلاميذه و حواريّيه، أخذ هذا الدين ينهض شيئاً فشيئاً. و يعتقد المؤرخون أنّ خطة بولس ـ الذي اعتنق المسيحية بعد المسيح عليه السلام ـ في التبشير كان لها أكبر الأثر في هـذا الشأن، إلّا أنّ الجماعة المسيحية تنسب هذا الدور إلىٰ روح القدس.

و مهما يكن، فقد عرفت الجماعة التي جاء وصفها في أسفار العهد الجديد بـ«الكنيسة الرسولية» أي كنيسة الرسل و أجيال المسيحيين الأوائل، و تمتدّ الحقبة المعينة علىٰ وجه التقدير بين سنة (٣٠) و سنة (١٠٠)، أعني بين العنصرة و تدوين آخر سِفر من أسـفار الكتاب المقدس.

لقد وصف سفر أعمال الرسل حياة الجماعة المسيحية الأولىٰ علىٰ الوجه التالي:

(٤٢) كانوا يواظبون علىٰ تعليم الرسل و المشاركة و كسر الخبز و الصلوات (٤٣) و استولىٰ الخوف علىٰ جميع النفوس لما كان يجري عن أيدي الرسل من الأعاجيب و الآيات (٤٤) و كان جميع الذين آمـنوا جماعة واحدة، يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم (٤٥) يبيعون أملاكهم و أموالهم، و يتقاسمون الثمن علىٰ قدر احتياج كل منهم (٤٦) يلازمون الهيكل كلّ يوم بقلب واحد، و يكسرون الخبز في البيوت، و يتناولون

الطعام بابتهاج و سلامة قلب (٤٧) يسبّحون الله و ينالون حظوة عند الشعب كله.[١]

و لكن هذه (الحظوة) تحوّلت مع الأيام إلىٰ عداوة من جهة اليهود أولاً ثم من قبل الامبراطورية الرومانية.

و انطلقت في أورشليم و بقيادة يعقوب الرسول جماعة مسيحية من أصل يهودي، فكثر عددها في المدينة ثمّ في نواحي فلسطين، كما انطلق مرسلون من أمثال بولس و برنابا، فحملوا البشارة إلىٰ غير اليهود، و لقد قامت في أعقاب ذلك أولىٰ الأزمات التي واجهت الكنيسة، إذ طرح هذا السؤال:

هل ينبغي للوثنيين المهتدين أن يصبحوا أولاً يهوداً، و يخضعوا للشريعة اليهودية قبل أن يسمح لهم باعتناق المسيحية؟

كان موقف بولس ـ و قد تبنّاه أيضاً بطرس و يعقوب ـ أن الله أقام عيسىٰ من الأموات، فأفسح المجال أمام زمن جديد للخلاص، و عليه فلم يَعُد المسيحيون مضطرّين إلى اتباع الشريعة اليهودية.

ثمّ أخذ المهتدون من الوثنية يزدادون عدداً بفضل تبشير الرسل في سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية، فغلب في الكنيسة المسيحية العنصر الآتي من غير اليهودية، و تكوّنت جماعات صغيرة من المؤمنين، توزّعت في مدن الإمبراطورية من سورية الىٰ مصر، فالأناضول، فاليونان، فإيطاليا. و يشير التقليد إلى أن بطرس اعتبر رئيساً لجماعة الرسل في أورشليم أولاً ثم في أنطاكية، و أخيراً في روما حيث أُعدم في أيام نيرون.

---

١ ـ أعمال الرسل : ٢ / ٤٢ ـ ٤٧.

٩ ـ الكتاب المقدّس

يتألّف الكتاب المقدّس من قسمين: **العهد القديم**، و **العهد الجديد**، و يرجع سبب هذه التسمية ـ حسب التصور المسيحي ـ إلىٰ أن الله تعالىٰ أخذ من الإنسان ميثاقين: أحدهما **الميثاق القديم**، و يعود إلى الأنبياء قبل عيسى المسيح عليه السلام، و قد بيّن فيه سبل النجاة من خلال الوعد و الوعيد و القانون و الشريعة، و الآخر **الميثاق الجديد** الذي بدأ بظهور المسيح عليه السلام، و بيّن فيه أن النجاة تكمن في المحبّة. و يعتقد المسيحيون أنّ الإله الابن تجلّىٰ بشكل إنسان مجسّم، تبنّىٰ خطايا البشر، و تحمّل الصلب تكفيراً لذنوبهم. هذه العقيدة ـ مع بُعدها عن العقل و المنطق ـ شكّلت أساس المسيحية. و في هذا الصدد نطالع في إنجيل يوحنّا:

(١٦) فإنّ الله أحبّ العالم حتىٰ أنه جاد بابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (١٧) فإن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم.[١]

إن القسم الذي تحدّث عن الميثاق القديم في الكتاب المقدس أُطلق عليه العهد القديم، أما القسم الذي تحدّث عن الميثاق الجديد، فأطلق عليه العهد الجديد.

و يعتبر العهد القديم ـ في الحقيقة ـ الكتاب السماوي لليهود، و يحظىٰ باحترام المسيحيين، الذين جعلوه في بداية كتابهم المقدّس.

وقد دُوّن العهد الجديد باللغة اليونانية، و تصدّرته أربعة أناجيل، و تعني كلمة «الإنجيل» اليونانية: البشرىٰ، أي البشرىٰ بقرب ملكوت السموات أو بالميثاق الجديد.

و يُعدّ العهد الجديد الذي يخلو من أسفار أبو كريفا موضع اتفاق جميع المسيحيين، ثم

---

١ ـ يوحنّا: ٣ / ١٦ ـ ١٧.

أخذت هذه الأسفار تحظىٰ بالقبول تدريجياً خلال القرون الثلاثة الأولىٰ.

يُذكر أنّ عدد أسفار أبو كريفا العهد الجديد يفوق نظائرها في العهد القديم.

و قد تُرجم الكتاب المقدّس إلىٰ لغات كثيرة من قبل منظّمات عديدة أنشئت لهذا الغرض في جميع أنحاء العالم، منها جمعية الكتب المقدسة التي أُسست في لندن عام (١٨٠٤ م)، و أنشأت لها فروعاً في أكثر الدول.

و يبلغ مجموع أسفار العهد القديم و العهد الجديد (٦٦) سِفراً، منها (٣٩) سِفراً تعود للعهد القديم (سبق الحديث عنها في اليهودية)، و (٢٧) سفراً تخصّ العهد الجديد، الذي يمكن تقسيمه موضوعياً إلىٰ أربعة أقسام:

١ ـ الأناجيل.

٢ ـ أعمال الرسل.

٣ ـ رسائل الرسل.

٤ ـ الرؤيا و المكاشفة.

١ ـ ٩. الأَناجيل

أقدمت نخبة كبيرة من تلاميذ و حواريي عيسىٰ عليه السلام علىٰ تدوين سيرته و دعوته، و أُطلق علىٰ مدوّناتهم فيما بعد اسم الأناجيل. و قد نالت أربعة منها اعترافاً رسمياً، و هُجرت بقية الأناجيل.[1] و الأناجيل المعتمدة، هي:

---

١ ـ لم يعترف المسيحيون بإنجيل برنابا ـ الذي حاز على اهتمام المسلمين، و فيه بشارات عديدة بظهور الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله ـ و اعتبروه إنجيلا مجعولاً. قد ورد اسم إنجيل برنابا في الفهرست الذي نشره البابا جلاسيوس الأول قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله، ولكن المسيحيين يزعمون أن الإنجيل المذكور قد فُقد ولاصلة له بإنجيل برنابا الحالي. و يوجد لدىٰ المسيحيين أيضاً شيء مكتوب حظي باحترامهم، يُعرف برسالة برنابا. ولكن تجدر الإشارة إلىٰ أنّ الرسالة المذكورة هي غير إنجيل برنابا.

١ ـ إنجيل متّىٰ (يستعرض سيرة و مواعظ المسيح مع الإشـارة إلىٰ تـنبؤات العـهد القديم).

٢ ـ إنجيل مرقس (و هو أقدم و أوجز سِفرلمواعظ المسيح و سيرته)

٣ ـ إنجيل لوقا (يستعرض سيرة و مواعظ المسيح استناداً إلىٰ شهود عيان).

٤ ـ إنجيل يوحنّا (و هو أحدث سفر لمواعظ المسيح و سيرته، و فـيه تأكـيد عـلىٰ ألوهيته).

يُذكر أن مصنّفي الإنجيليْن الأول و الرابع كانا من حواريـيّ عـيسىٰ عليه السلام، و مـصنفي الإنجيليْن الثاني و الثالث كانا من حواريي حواريّيه عليه السلام، و هم أشبه بالتابعين.

و يغلب على الأناجيل الثلاثة الأولىٰ طابع الانسجام فيما بينها و تسمّىٰ بـالاناجيل الإزائية.

٢ ـ ٩. أعمال الرسل

دوّنت في القرن الأول كتب كثيرة عن سيرة رسل المسيح عليه السلام، إلّا أنه لم يُقَرّ إلّا واحد منها، عُرف بسفر أعمال الرسل الذي دوّنه لوقا مؤلف ثالث الأناجيل حول سيرة الرسل لاسيما بولس.

٣ ـ ٩. رسائل الرسل

اكتسبت الرسائل التي وجّهها بعض رسل المسيح إلى المجتمعات و الأفراد علىٰ أهمية بالغة، ثمّ أخذت شيئاً فشيئاً طريقها إلىٰ العهد الجديد الذي ضمّ (٢١) رسالة، منها (١٣) رسالة لبولس و فيها الإشارة إلىٰ مواعظه و نقاشاته و سجالاته، و رسالة واحدة لمجهول، و رسالة أخرىٰ ليعقوب الذي كان كثير الانتقاد لبولس، و نُسبت بقية الرسائل الىٰ بطرس و يوحنا و يهوذا و إليك عناوين جميع الرسائل التي اشتمل عليها هذا القسم:

١ ـ رسالة بولس إلىٰ أهل روما.

٢ ـ رسالة بولس الأولىٰ إلىٰ أهل قورنتوس.

٣ ـ رسالة بولس الثانية إلىٰ أهل قورنتوس.

٤ ـ رسالة بولس إلى أهل غلاطية.

٥ ـ رسالة بولس إلىٰ أهل أفسوس.

٦ ـ رسالة بولس إلىٰ أهل فيلبّي.

٧ ـ رسالة بولس إلىٰ أهل كولوس.

٨ ـ رسالة بولس الأولىٰ إلىٰ أهل تسّالونيقي.

٩ ـ رسالة بولس الثانية إلىٰ أهل تسّالونيقي.

١٠ ـ رسالة بولس الأولى إلىٰ تيموثاوس.

١١ ـ رسالة بولس الثانية إلىٰ تيموثاوس.

١٢ ـ رسالة بولس إلىٰ تيطس.

١٣ ـ رسالة بولس إلىٰ فيليمون.

١٤ ـ رسالة إلىٰ العبرانيين.

١٥ ـ رسالة يعقوب (إلىٰ المسيحيين كافّة).

١٦ ـ رسالة بطرس الأولىٰ (إلىٰ المسيحيين كافّة).

١٧ ـ رسالة بطرس الثانية (إلىٰ المسيحيين كافّة).

١٨ ـ رسالة يوحنّا الأولىٰ (إلى المسيحيين كافّة).

١٩ ـ رسالة يوحنّا الثانية (إلىٰ المسيحيين كافّة).

٢٠ ـ رسالة يوحنّا الثالثة (إلىٰ المسيحيين كافّة).

٢١ ـ رسالة يهوذا (إلىٰ المسيحيين كافّة).

٤ ـ ٩. الرؤيا و المكاشفة

راجت قبل ظهور المسيح عليه السلام كتب مكاشفات عديدة في أوساط اليهود، و أبرز نموذج لها هو سفر دانيال في العهد القديم، و قد دوّن المسيحيون أسفاراً في شكل رؤيا أو كشف إلىٰ جانب صياغة سفر الرؤيا في العهد القديم بنحو ينسجم مع أهدافهم.

واستأثرت رؤيا يوحنّا التي جاءت في آخر العهد الجديد باهتمام واسع، وجرى التقليد المسيحي على الاعتقاد بأنّ يوحنّا الذي هو أصغر حواريي عيسىٰ عليه السلام سنّاً، قد فصّل و شرح رؤياه و ختمها بانتصار المسيحية علىٰ قوىٰ الشرّ.

و يشتمل هذا القسم علىٰ سفر واحد، هو رؤيا يوحنّا اللاهوتي.

١٠ـ مكانة الكتاب المقدس

يمكن البحث في مكانة الكتاب المقدس من خلال رؤىً ثلاث:

١ ـ رؤية الكنيسة.

٢ ـ رؤية المفكّرين.

٣ ـ رؤية المسلمين.

١ ـ ١٠ رؤية الكنيسة

حظي الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد بتقديس المسيحيين، و أطلقوا عليه أسماءً و ألقاباً ـ من قبيل كتاب الله أو الوحي ـ لا تُطلق إلّا علىٰ كتاب سماويّ.

و في هذا الصدد، كتب العالم المعاصر توماس ميشال اليسوعي يقول:

يعتقد المسيحيون أنّ أسفار الكتاب المقدس كتبها الله بواسطة مؤلفين من البشر، و عليه فإنهم يقولون بأن للأسفار المقدّسة مؤلّفا إلٰهياً و مؤلّفا بشرياً.

أو بعبارة أخرىٰ : يعتقد المسيحيون أنّ الله ألّف الكتاب المقدس بواسطة إلهامات روح

القدس، دافعاً المؤلفين البشر إلى الكتابة، و موفّراً لهم العون في الكتابة، بحيث عبّروا عن كل ما عناه الله دون سواه.

و يلاحظ المسلمون أنّ المسيحيين يخالفون في ذلك موقف الإسلام، فالله في المعتقد المسيحي هو المؤلف الأخير للكتاب المقدس، إلّا أنه ألّفه من خلال مؤلّف بشري كان عاملاً له تعالىٰ، و هذا المؤلّف البشري هو إنسانٰ عاش في عصر معيّن، و طُبع بطابعه، وقُيِّد بحدود المعرفة و اللغة التي تُقيِّد سائر الآدميين. و المسيحيون علىٰ وجه الإجمال لايقولون بأن الله أملىٰ الكتب المقدّسة على المؤلّف البشري، بل إنه أتاح له أن يعبّر عن الرسالة الإلٰهية بطرقه الخاصة، وفنونه الأدبية الخاصة وأسلوبه الشخصي[١].

يعتقد اليهود والمسيحيون أنّ التوراة من تأليف موسى عليه السلام، وأنّ أسفار الأنبياء التي ورد ذكرها في العهد القديم بأسمائهم، هي من تأليفاتهم.

ويؤمن المسيحيون أيضا بأنّ الأناجيل الأربعة قد دوّنت بعد سنوات من مضي عيسىعليه السلام وأن كتاب الله أطلق في بداية ظهور المسيحية على أسفار العهد القديم فحسب، ولكن أسفار العهد الجديد تغلغلت إلى المجامع المسيحية شيئاً فشيئاً، و اكتسب صبغة إلهية.

ويذهب المسيحيون قاطبة إلى أنّ الأناجيل الحاضرة التي تتناول سيرة المسيحعليه السلام و كلماته هي من تدوين متّىٰ ومرقس ولوقا ويوحنّا. جاء في مطلع إنجيل لوقا:

(١) لما أن أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأمور التي تمت عندنا(٢) كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا عاملين لها(٣) رأيت أنا أيضا، وقد تقصيتها جميعاً من أصولها، أن أكتبها لك مرتبة يا تاوفيلس المكرّم (٤) لتتيقّن صحّة ما تلقيت من تعليم[٢].

١ـ مدخل إلى العقيدة المسيحية، توماس ميشال اليسوعي، ص ١٨، دار المشرق ،بيروت، ط ١٩٩٢ م.

٢ـ لوقا: ١ / ١ ـ ٣.

جدير بالذكر إنّ الأناجيل الحالية تناولت كلمات عيسى عليه السلام دون أن تنسب ما جاء فيها من معارف وحكم إلى الوحي، خلافا للتوراة الحالية التي نسبت بعض نصوصها الى الوحي، إلى جانب استعراضها لسيرة موسى عليه السلام وكلماته.

ويبدو جلياً أن الذكر الحكيم نصّ صراحة على أن الإنجيل الحقيقي نزل على عيسى عليه السلام[١] و هو لا يشبه سائر الأناجيل البتة .

ويتّضح تاريخياً أنّ المسيحيين لم يكونوا يعتقدون بأنّ لعيسى عليه السلام كتاباً، بل أن الأناجيل تمحّضت لبيان سيرته وكلماته فحسب[٢]، وفي هذا الصدد كتب توماس ميشال:

و قد سبق الأناجيل المكتوبة تقليد شفهي، فيسوع مات بحسب المعتقد المسيحي حوالي السنة (٣٠)، وأتباعه الذين عرفوه وشاهدوا أعماله، وسمعوا أقواله، حفظوا ما تذكروه عن يسوع، ولمّا أخذ المسيحيون الأوائل يجتمعون للصلاة، استعادوا في حلقاتهم روايات تلك الأعمال والأقوال، و راحت هذه الروايات تتبلور وتزداد حجما[٣].

إنّ عدم وجود كتاب لعيسى عليه السلام لايذكر صراحة في أي موضع ،لوضوح هذه المسألة عند المسيحيين ،و لايخطر ببال المسيحي قطّ أنّ له عليه السلام كتابا، بل هم يصرّون على إنكار ذلك أحيانا عند حواراتهم مع المسلمين. يقول توماس ميشال:

إنّ المسيحيين لا يدّعون البتة أنّ يسوع حمل كتابا هو الإنجيل. فيسوع في رأيهم لم ينقل وحياً على نحو ما نقل محمد القرآن في رأي المسلمين، بل يعتقد المسيحيون بأن

---

١ ـ آل عمران / ٣، ٦٥، المائدة / ٤٦ ـ ٤٧، مريم / ٣٠، الحديد / ٢٧ .

٢ـ خلافا للمسلمين الذين يعتقدون بأن النبي صلى الله عليه وآله مبين للقرآن الكريم.

٣ـ مدخل إلى العقيدة المسيحية: ٣٤.

يسوع نفسه هو تجسّد وحي الله للبشرية، ولا يحمل رسالة، بل أنه هو الرسالة ونتيجة لذلك لا نبتغي إنجيلاً خطّه يسوع بيده أو أملاه على أحد تلاميذه.

ولمّا كان المسيحيون يؤمنون بأنّ يسوع هو تجسد كلمة الله أو رسالته، فإنهم يعتقدون بأنّ الأناجيل هي ثمرة جهود تلاميذه الملهمة لإعلان إيمانهم بالمسيح ولبيان ما يعنيه هذا الإيمان لجماعة أتباعه. كل من الأناجيل الأربعة يؤدّي شهادة خاصة به، مميّزة للمسيح، وفي حين يختلف بعضها عن بعض بوجهة النظر والتفاصيل، فجميعها متفق جوهرياً في شأن هوية يسوع وماهية رسالة الله إلى أتباعه بواسطته. وعليه فالمسيحيون لايختارون إنجيلاً فيتبعوه بمعزل عن الأناجيل الأخرى، لأنّ إيمانهم مبني على التعاليم الأربعة معاً ويهتدي بهديها. وهم يعتقدون بأنّ إيمانهم غير كامل إن هم تخلوا عن أيٍّ من هذه الأناجيل.

و هذا مايقودنا إلى أمر ثان يعكس هو أيضاً الفرق بين المفهومين المسيحي و الاسلامي للوحي. فالمسيحيون يعترفون بأربعة أناجيل، وبأربعة فقط، ويقرّون بأن هذه الأربعة هي الصحيحة دون سواها، لأن الجماعة المسيحية الأولى اعتبرتها آتية من لدن الله. ومن الثابت أنّ الإيمان المسيحي مبني على إيمان الرسل الحواريين، والمسيحيون الأوائل آمنوا بأن روح الله وفّر الهداية لجماعتهم، أي للكنيسة.

ومن ذلك نفهم أن الله كان يهدي الجماعة ويلهمها بواسطة روح القدس طوال السنين الثلاثين المصيرية (٣٠ ـ ٦٠) التي لم يكن فيها أناجيل مكتوبة، بل كانت أقوال يسوع وأفعاله تنقل مشافهة، والروح بذاته ألهم الإنجيليين الأربعة فكتبوا أناجيلهم، وأودعوها مااختاروا من أقوال يسوع و أفعاله الكثيرة، و ممّا حققه الروح نفسه بنوع خاص أنه كوّن و هدى نظره الإنجيليين اللاهوتية في شأن ما يريد الله أن ينقله إلى البشرية من خلال حياة يسوع وموته وقيامته.

وأخيراً و بهدي من الروح نفسه اعترفت الجماعة المسيحية الأولى، من بين كتابات مسيحية كثيرة بـ(٢٧) كتاباً بما فيها الأناجيل الأربعة، وقررت بأنها حررت بإلهام من الله، و سُمّيت هذه الأسفار كتب العهد الجديد، وهي المرجع الأساسي الجازم للإيمان المسيحي على مدى الأزمان.

و مثل هذا المفهوم للعلاقة بين الكتب المقدسة و الوحي، يختلف عن مفهوم الإسلام لها. فالمسلمون يؤمنون بأن الله أرسل محمداً وأوحى إليه القرآن، وأنّ الأُمة الاسلامية تكوّنت بموجب تعاليم القرآن، أما المسيحيون فيقولون بأن الجماعة المسيحية انتجت و كوّنت بهدي من روح الله، إقرارها الخاص بإيمانها، و كتبها التي تشير إلى وحي الله في يسوع، و على النحو ذاته، فإن الجماعة هي التي قررت أنّ كتبها المقدسة هي كتاب اليهود المقدس والأسفار السبعة والعشرون المذكورة دون سواها.

أما كيف تمّ هذا التحديد، فبنوع من الإجماع، وقد حصل هذا الإجماع باكراً إذ ظهرت أولى لوائح الأسفار الكتابية بين السنة (١٥٠) والسنة (٢٠٠). وبعد عدّة قرون حددت الكنائس تحديداً رسمياً كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية في المجمع التريدنتينيّ عام (١٥٤٦م) أي الأسفار تعتبر من أسفار الكتاب المقدّس، إلّا أنّ تلك القرارات المتأخرة لم تكن سوى تأكيد لما بات اعتقاد المسيحيين التقليدي)[ج].

إنّ عقيدة أهل الكتاب بالكتب السماوية جاءت بالنحو الذي ذكرها القرآن الكريم:

﴿و ما قدروا الله حقّ قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلّمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباءكم قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون﴾[١].

ج ـ مدخل إلى العقيدة المسيحية: ٣٩ ـ ٤١.

١ ـ الأنعام / ٩١.

و قد فسّرت الآية المذكورة في كتاب «التفسير الأمثل» مع أخذ وجهة نظر أهل الكتاب حول التوراة والإنجيل.

٢ ـ ١٠ ـ رؤية المفكّرين

قطعت العلوم الحديثة كل صلة لها بالأديان. فلم يعد الإيمان بما وراء الطبيعة يتمتّع بمنزلة رفيعة في العلوم المختلفة كالتاريخ والاجتماع وعلم الآثار. ويرى العلماء الغربيون أن الكتاب المقدس أثر قديم له جذور تاريخية عميقة، و أنّه أُلِّف على يد البشر، و ذهبوا أيضاً إلى أنّ العلاقة بين الإنسان و خالقه لاتنضوي تحت أيّة مقولة من المقولات العلمية، و أنه من العسير إثبات المعجزة بالعلم. من هنا ساورتهم الشكوك حيال المفاهيم الدينية و الوجود التاريخي للأنبياء، إذ لم تفصح عنهم المصادر التاريخية المستقلة.

و يذهب العلماء إلى أنّ العهد القديم يرجع إلى (٢٥٠٠) سنة، والعهد الجديد إلى (١٩٠٠) سنة، وهو قريب من تاريخ الكنيسة التقليدي.

٣ ـ ١٠ رؤية المسلمين

إنّ إحدى المسائل التي كانت مثاراً للنزاع بين الكلام الإسلامي والكلام المسيحي، هي مسألة التحريف، فقد صرّح القرآن الكريم في العديد من آياته بنزول التوراة والإنجيل (وليس الأناجيل) ﴿... **وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان...**﴾[1].

و يعتقد المسلمون أنّ التوراة و الإنجيل المنزّلين من الله سبحانه قد طرأ عليهما التحريف، و حذفت منهما مسائل من قبيل البشارة بظهور نبي الإسلامﷺ، و أضيفت

---

١ ـ آل عمران / ٣ ـ ٤.

إليهما خرافات و أوهام كجسمانية الله تعالى، ولكن أهل الكتاب رفضوا فكرة تـحريف كتبهم المقدّسة بشدّة، وأظهروا مشاعر الغضب إزاء هذا الإدعاء، ولفتوا الأنظار إلى النسخ الخطية للعهد القديم التي يرجع تاريخها إلى (٢٠٠٠) سنة، وإلى النسخ الخـطية للـعهد الجديد التي يرجع تاريخها الى (١٦٠٠) سنة، والتي تحتفظ بها المـتاحف والمكـتبات الهامّة في العالم، و راحوا يتساءلون عن زمن التحريف وعن مكانه و مغزاه؟

و قد ردّ علماء و محققو الإسلام على هذه التساؤلات بإجابات تستند في معظمها إلى الاعتقاد بنزول التوراة والإنجيل، الأمر الذي أثار دهشة المسيحيين الذين لم يؤمنوا قطّ بأن لعيسى عليه السلام كتاباً.

إنّ إلقاء نظرة سريعة على التوراة والأناجيل تكشف بسهولة عن أنّ هذه الكتب مغايرة للطابع العام للقرآن الكريم، بل هي بالكتب التاريخية أشبه. يذكر أنّ الأناجيل الأربعة لم تنسب أيّ نص من نصوصها إلى الوحي، بل نسبت الأحاديث والحكم الواردة فيها إلى عيسى عليه السلام.

و يعتقد المسيحيون أنّ الأناجيل دوّنها البشر، و أضـفوا عـليها صـبغة إلهـية وفـقاً لمعاييرهم الكلامية الخاصة، و ادّعوا أنه ليس ثمّة كتاب سماوي وراء هذه الكتب.

إنّ الحقيقة التي ينبغي أنّ نعيها لئلّا نكون أكثر كاثوليكية مـن البـابا نـفسه، هـي أن المسيحيين حين يعرضون الأناجيل الأربعة للمسلمين للإيمان بمضامينها لا يدّعون أنها لعيسى عليه السلام كما تقدّم سلفاً، بل يعتقدون أنها دوّنت بعده عليه السلام لأجل تبيان رسالته. مثلما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله مبيّناً للقرآن المجيد.

١١ ـ الذكر الحكيم والتحريف

قد يقال إن مسألة تحريف التوراة والإنجيل وردت في القرآن الكريم. ولكنها لم ترد فيه بنحو صريح. والآيات التي تمّ الاستناد إليها لإثبات التحريف، هي:

الآية الأولى: ﴿**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون**﴾(١).

الآية الثانية: ﴿**و إن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عندالله و ما هو من عندِالله و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون**﴾(٢).

الآية الثالثة: ﴿**من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا و عصينا واسمع غير مسمع و راعنا ليّاً بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهمالله بكفرهم فلايؤمنون إلا قليلاً**﴾(٣).

الآية الرابعة والخامسة: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلبوهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذكروا به ولاتزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**﴾(٤).

و قبل أن نلقي نظرة عامة على الآيات المذكورة، لابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الآيات قد نسبت التحريف إلى اليهود فيما يرتبط بالتوراة فحسب، ومن الصعب بمكان أن نقول للمسيحيين أنّ اليهود حرّفوا إنجيلكم.

ويبدو أنّ القرآن الكريم لم ينص على تحريف كتب اليهود والنصارى صراحة، لأنه:

أولاً: إن الآيات المذكورة لم تصرح بتحريف التوراة والإنجيل، بل جاء فيها ـ كما

---

١ ـ البقرة / ٧٥.
٢ ـ آل عمران / ٧٨.
٣ ـ النساء / ٤٦.
٤ ـ المائدة / ١٣، ومثلها في ٤١.

رأينا في أحد الموارد ـ تعبير «كلام الله» الذي أجمع المفسّرون على أنّه إشارة إلى عمل أحبار اليهود في عصر موسى عليه السلام، و لاعلاقة له بتحريف التوراة والإنجيل بعد بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولعلّ الآية ناظرة إلى السلوك غير المناسب ليهود صدر الإسلام تجاه كلام الله (القرآن الكريم)، حيث كانوا يحرّفون الآيات التي يسمعونها عند نقلها إلى الآخرين بغية النيل منه[١].

و جاء في الموارد الثلاثة المذكورة تعبير «كلم» الذي سنلقي الضوء عليه من خلال الاستعانة بالآية (٤٦) من سورة النساء.

ثانياً: إنّ التحريف المذكور في الآيات عزي إلى السمع واللسان ﴿**يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه**﴾، ﴿**يلوون ألسنتهم بالكتاب**﴾، ﴿**ليّاً بألسنتهم**﴾ و قيل إن القرآن الكريم نص في ثلاثة مواضع على تحريف الكلم، وردت جميعها في الآية (٤٦) من سورة النساء. وإليك هذه التحريفات مشفوعة بشكلها الصحيح:

١ ـ ﴿**سمعنا و عصينا**﴾ بدل ﴿**سمعنا و أطعنا**﴾، ذلك أنّ بعض اليهود كان يحرّف اللفظ العبري (عسنو) الذي يعني فعلنا إلى عصينا بالعربية استهزاءً.

٢ ـ ﴿**اسمع غير مسمع**﴾ بدل «اسمع» فحسب.

٣ ـ ﴿**راعنا**﴾ بدل «**انظرنا**» و (راع) في اللغةالعبرية تعني الشرير...، فراعنا أي شريرنا.

إن التلاعب بالألفاظ و الكلمات لأهداف خاصة كان واحداً من عادات اليهود المذمومة، و تجد نماذج كثيرة من ذلك في التلمود؛ و تحدّثت كتب السير عن أنّ بعض اليهود كان يُحيّي النبي صلى الله عليه وآله بقوله: السام عليك (أي الموت عليك)، فيرد صلى الله عليه وآله عليهم: عليك.

---

١ ـ نظير حيلة بعض اليهود بالإيمان بالاسلام وجه النهار والكفر به آخره بهدف زلزلة إيمان المسلمين [آل عمران / ٧٢].

و نستشف من هذا كله أنّ القرآن الكريم لم ينص على تحريف التوراة والإنجيل بشكل صريح، و إنما تحدث عن تحريف الكلم، و هذا التحريف وقع في الكلمات المتداولة في حوارهم مع الآخرين، ولا علاقة له بالتوراة والإنجيل، إضافة إلى أنّ التحريف المذكور لم يتجاوز مرحلة القول والسمع إلى مرحلة التدوين، كما أنّ آيات التحريف ليست ناظرة إلى كتب التوراة والإنجيل المتواجدة حالياً، وللبتّ في ذلك يجب صرف النظر عن هذه الآيات .

١٢ ـ العقائد

يعني المسيحيون بعلم اللاهوت (أو اللاهوت اختصاراً) سائر مظاهر اجتهاداتهم الفكرية لفهم إيمانهم. و يؤكّد اللاهوتيون الأرثوذكس على أنهم لا يعرفون عن الله عزّوجلّ إلّا ما أوحاه لهم هو نفسه. وعليه فعلم اللاهوت على وجه الدقة: (علم الوحي)، وهو يشمل لدى المسيحيين مجالاً من الدراسات الدينية أوسع من مجال الكلام في الاتجاه الإسلامي.

و من جملة الامور التي تدخل في حدود البحث عن الإلهيات الموضوعات التالية:

- الدراسات المرتبطة بتعليم الكتاب المقدس.
- الاجتهادات لفهم مجموع الحقائق في ضوء التعاليم المسيحية.
- التطورات التاريخية في صيغ التعبير عن الإيمان المسيحي على مر العصور.
- صيانة ما نعرفه عن الله بواسطة العقل وحده.
- تبيان معنى القداسة المسيحية وطرق الوصول اليها.
- مبادىء الأخلاقيات، وتطبيق التعاليم المسيحية عملياً في حياة المسيحيين.

إنّ المسيحية تحاول أن تنأى بنفسها عن وصمة الشرك، وإذا ما وجدت عبارات لا

تليق بالذات الإلهية المقدسة في مصادرهم الدينية القديمة كالتوراة والإنجيل، فإنهم يحاولون تبريرها أو صرف الألفاظ عن معانيها الظاهرة.

يشار إلى أنّنا نواجه شحّة في الألفاظ عند الحديث عن الله و ماوراء الطبيعة، الأمر الذي لا يمكن معه مؤاخذة تلك الكتب، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنّ هذه الكتب لما كانت من تأليف البشر، فأننا ـ نحن المسلمون ـ غير معنيين بتبرير عباراتها، وما على المسلم إلا أن يسلك طريق الإنصاف في تعامله مع أهل الكتاب لاسيما وأن القرآن الكريم قد أكدّ على ذلك. وأمرنا بمجادلتهم بالتي هي أحسن[1].

كما تنبغي الإشارة إلى أنّ ثمّة عبارات مماثلة وردت في القرآن الكريم (كنسبة المكر والكيد والانتقام) إلى الله سبحانه و تعالى، مع هذا الفارق، وهو أن هذه العبارات صادرة عن الله سبحانه، و لهذا فإن الواجب الشرعي والعقلي للمسلمين يحتم عليهم تبريرها وتفسيرها بنحو يليق به سبحانه، في حين يعتقد أهل الكتاب أنّ العبارات الواردة في كتابهم السماوي صادرة عن بشر ضعيف، كثير الزلاّت والهفوات، و على الرغم من هذا الاعتقاد فإنهم لم يهملوها، بل بذلوا الوسع في سبيل تبريرها وحلّ رموزها.

ويشتمل الميراث الديني لأهل الكتاب على بعض المسائل العرفانية الدقيقة، و من أروعها الإلهيات السلبية (Apophatic Theology) التي تسعى جاهدة إلى سلب الصفات البشرية عن الله المتعال، حتّىٰ بلغ بها الأمر إلى القول بأن الله ينبغي أن ينزّه عن اطلاق كلمات مثل (وجود) و (موجود) في حقه، على الرغم من وجوده القطعي.

ونحن كمسلمين نرحب بكل الجهود المبذولة لتنزيه الله سبحانه، ونعتبرها من الشروط اللازمة لفتح باب الحوار مع أهل الكتاب والتعاون معهم.

---

١ ـ العنكبوت / ٤٦.

١ ـ ١٢. الخلفـيات

ورد في القرآن الكريم ﴿... **وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون**﴾[١].

لاحظ المفكرون الغربيون في القرون الأخيرة أنّ ثمّة تشابهاً عجيباً بين المسيحية و الأديان الهندية، و رأوا أنّ كثيراً من عقائد المسيحية كالتثليث والفداء وقصة الصلب هي بعينها موجودة في الأديان الوثنية دون أن يكون لها جذور تـاريخية فـي عـقائد بـني إسرائيل.

و ممّا زاد في حيرتهم و دهشتهم أنهم عثروا على جمل في الإنجيل تشبه الى حد كبير جملاً في كتب الهندوس والبوذيين، كما أنّ بعض الألقاب التي أطلقت على المسيح مثل حمل الله، وابن الله، والفادي وغيرها كانت تطلق على غيره في تلك الأديان.

وعلى ضوء ذلك أكّدوا هذه الحقيقة، وهي أن العقائد والاصطلاحات المسيحية في هذا الباب قد اقتبست من أديان أخرى، باعتبار أنّ جذورها التاريخية أقدم من المسيحية بمراحل.

و قد اكتشفت عام (١٩٤٧ م) طوامير في صحاري فلسطين وفي مغارات ساحل البحر الميّت، أدّت إلى نشوء حركة فكرية حول المسيحية، فقد اشتملت تلك الطوامير عـلى مقاطع من الكتاب المقدس والتفاسير والأدعية يعود تاريخها إلى ماقبل (٢٠٠٠) سنة، أي إلى عصر المسيح عليه السلام تقريباً.

و قد ذهب العلماء بعد مطالعة تلك الطوامير إلى أنّها تتعلق بفرقة الأسينيين ـ التـي مرّت الإشارة إليها في مبحث اليهودية ـ الذين غلبت عليهم حياة التصحر، و راجت بينهم أفكار عرفانية، واستبدّ بهم الشوق لرؤية مسيح بني إسرائيل، و قد أودعوا كتبهم في جرار،

---

١ ـ التوبة / ٣٠.

و أخفوها في مغارات بالقرب من البحر الميّت ثم جُهل مصيرها و انقطعت أخبارها.

إنّ كشف هذه الطوامير انعكس بشكل عجيب على المحافل العلمية في العالم لاسيما بعد أن أثبتت التجارب أنها صحيحة و معتبرة وليست مزيفة كما تصور ذلك بعضهم في بداية الأمر.

قال بعض العلماء: إنّ الطوامير المكتشفة ستغيّر رؤيتنا العلمية تجاه المسيح عليه السلام و بداية المسيحية.

و قد أُلّف العديد من الكتب حول تلك الطوامير، من بينها كتاب «مفهوم طوامير البحر الميّت» لعالم مسيحي متفتح الذهن هو أ. باول. ديفيس، وهو كتاب جدير بالاهتمام. ومما جاء فيه بعد تحليل دقيق لما تضمنته تلك الطوامير:

إنّ اعتقاد أي مسيحي بالمسيحية يتلخّص في أنّ المسيح بشّر بها، ومات كمسيح و منقذ، ثمّ نهض من بين الأموات، و أسس الكنيسة المسيحية التي انتشرت بجهود حوارييه في أرجاء العالم، وأنّه عليه السلام كان يهودياً ورث السنن و الثقافة اليهودية و يعتقد المسيحي أيضاً أن الرسل كانت لهم مدوّنات من بشارة عيسى عليه السلام، و قاموا بنشر تعاليمه، و يقول بأنهم و بسبب صحبتهم لعيسى عليه السلام و ماشاهدوه و ماسمعوه منه وما اكتسبوه من تجارب شخصية قد آمنوا بأنه كان المنقذ و رب البشر و ابن الله.

و على أية حال، فمعتقدات أي مسيحي لاتتجاوز هذا المقدار، دون أن يخطر بباله أبداً أن معظم معتقداته كانت رائجة قبل المسيحية، أو أن كثيراً من أصولها لا يوجد في الكتاب المقدس.

هذا الشي يجهله عامة المسيحيين تماماً، أما العلماء منهم فهم يعلمون أنّ الوثنيين في عصر المسيح عليه السلام و مابعده كانت لديهم آلهة يعبدونها، و أنّ أسماءها جاءت بعينها في العقيدة المسيحية، فميترا كانت منقذة للبشرية، و كذلك تموز و أدونيس و أوزوريس.

إنّ إطلاق الفادي على المسيح عليه السلام والتي تسرّبت أخيراً إلى المسيحية لم تكن عقيدة يهودية، ولم يؤمن بها المسيحيون الأوائل الذين عاشوا في فلسطين.

إنّ المسيح الذي كان ينتظره اليهود و النصارى القدامىٰ ليس هو ابن الله، و إنما هو نبي مبعوث من قبل الله تعالى، و لم يكن من المقرر أن يُقتل تكفيراً عن خطايا البشر، بل كان من المقرر أن يؤسس حكومة على الأرض ينقذ بها البشر، و لم يتطلع المسيحيون القدماء إلى عيسى عليه السلام بإعتباره منقذاً يمنحهم الإذن بالدخول إلىٰ السموات، بل باعتباره مؤسساً لنظام سياسي جديد على الأرض، وهذا هو غاية آمالهم.

و قد راجت العقيدة المسيحية في أوساط الوثنيين حينما نادت بعيسى عليه السلام كإله منقذ. و هذه العقيدة توائم تماماً ماسبقها من أديان خرافية لاسيما ديانة ميترا، فكما يحتفل في (٢٥) كانون الأول (الانقلاب الشتوي) بذكرى مولد ميترا، فإن المسيحيين يحتفلون فيه بذكرى مولد المسيح عليه السلام، و حتى يوم السبت الذي هو سابع الأيام لدى اليهود و الذي حظي في شريعة موسى (التوراة) بتقديس الله سبحانه، قد تمّ استبداله بيوم الأحد نتيجة التأثر بالأفكار الميترائية التي تذهب إلى اعتبار اليوم الأول (الأحد) يوم الشمس الفاتح.

و في زمن انتشار المسيحية لم يبق صقع في حوض البحر المتوسط إلّا و راج فيه التفكير بالأم العذراء وابنها الذي قتل تكفيراً عن خطايا البشر، واقتبس بأسلوب ماهر من أسطورة الهة الأرض العذراء ونجلها فاكهة الأرض الذي يخرج إلى الدنيا لكي يموت ثم يتحول في التراب إلى بذر للفاكهة القادمة، وتبدأ عندها دورة جديدة.

إنّ اختلاف الفصول على الأرض يرتبط باختلاف يماثله في السماء، ذلك أن آلهة برج السنبلة العذراء التي يقترن طلوعها بمرور نجم شعراء اليماني من المشرق معلناً عن ولادة جديدة للشمس،.... و بهذا النحو تفاعلت أسطورة الأرض مع أسطورة السماء، و تفاعلا معاً بحكايات الأبطال الأسطوريين في التاريخ الأثري لتنبثق منها أسطورة البطل الفادي.

و زعم أن الكهف الذي ولد فيه عيسى عليه السلام هو نفسه الذي ولد فيه حوروس، ذلك الإله الذي ذهب ضحية روح الشر، فغشي أمه إيزيس حزن عميق، وقد زخرت الأديان القديمة بأسطورة الفداء و الفادي، و أسهب في شرحها المؤلفون أمثال: فريزر في كتابه الغصن الذهبي (The Golden Bough)، و غيلبر موري الأستاذ المتخصص في الآداب اليونانية والرومانية.

و في المسيحية طقوس غلب عليها الطابع المسيحي على الرغم من اقتباسها من أديان قديمة، فالعشاء الرباني مثلاً اقتبس من ديانة ميترا ثمّ دمج بالعشاء المسيحي الفلسطيني. و لم يقتصر الأمر على هذا الجانب، بل جاوزه إلى اقتباس مجموعة من العقائد كتقديس دم الحمل (او الثور) من عقائد ديانة ميترا، واقتباس مجموعة من التعاليم الأخلاقية من أقوام وثنية اعتنقت المسيحية، و من تعاليم الرواقيين.

فالمسيحية كدين ليست بعيدة في أسسها عن العقائد الوثنية وهناك تشابه كبير بينهما في كثير من الوجوه.

يذكر أنه من النادر إطلاق لقب المعلم على عيسى عليه السلام، واشتهر بألقاب أخرى كالمسيح، و المخلص، و الرب[١].

ثم يضيف مؤلف الكتاب قائلاً:

إنّ ثمّة عاملاً رئيسياً رجح كفة الاعتقاد بالمسيح الفادي عند المسيحية على سائر الأديان التي تؤمن بالفداء، وهو بولس، ذلك القديس اليهودي الذي ظهرت براعته في التوفيق بين المسيحية والوثنية التي كان على دراية تامّة بها. وهو أول من احتضن فكره توثيق الصلة بين اسرائيل و معبد أثينا، معبد اورشليم بمذبح ميترا، ويهوه إله الإسينيين

1- Davies, A.powell, The Meaning of the Dead Sea : New york, New American Library, 1956, pp. 89-91. Scorlls

بالاإله المجهول لتل أورباغوس.

وقد ألّف العلماء الغربيون العديد من الكتب في هذا الصدد، وجاءت خلاصة مباحثهم في كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» لمحمد طاهر التنير، وضم الكتاب العديد من الصور، منها صورة تمثال من تماثيل الديانة الهندية، له رؤوس ثلاثة كرمز للتثليث.

و أطلق على عيسى عليه السلام لقب الكلمة (Logos) الذي استل من فلسفة اليونان القديمة، ويؤمن المسيحيون ـ استناداً إلى إنجيل يوحنّا خاصة ـ بان يسوع انسان تحيا فيه كلمة الله: هذه الرسالة الأزلية التي بها خلق الله الحكيم كل شيء، «نصبت خيمتها» بين البشر، متجسّدة في يسوع الانسان، بيسوع عاشت الرسالة الأزلية في إنسان يعمل لتحصيل لقمة العيش و يأكل و يشرب، له الأصدقاء و الأقارب، يتألّم و يموت.

٢ ـ ١٢. الإله، الرب، و ابـن الله

تطلق كلمة «الإله» في الاسلام على نطاق محدود لاتعرفه سائر الأديان، مثلاً ورد في التوراة الحالية:

«فقال الرب لموسى انظر قد جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك»[١].

و ما ذكرناه يختص بلفظ (الإله)، أما الرب فهو أعم من الخالق و المخلوق، و لذا أطلقه يوسف عليه السلام على ملك مصر ﴿**ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمراً... و قال للذي ظن أنه ناج منهما أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه...**﴾[٢]. فهو بمعنى مولى، ومالك.

و قد أطلق (ابن الله) في الأديان المختلفة على الأنبياء والصالحين، ونطالع في هذا الصدد ماجاء في حق سليمان عليه السلام: «**لأني إياه اخترت لي ابناً وأنا أكون له أباً**»[٣].

---

١ ـ الخروج : ٧ / ١.　　٢ ـ يوسف / ٤١ ـ ٤٢، و ٥٠.

٣ ـ سفر الأخبار الأول : ٢٧ / ٦.

و نقرأ عن بني إسرائيل: «**قال الرب: إسرائيل هو ابني البكر**»[١].

و تكرّر استعمال هذا الاصطلاح في الأناجيل الأربعة، وسائر أسفار العهد الجديد، كالنص التالي المنقول عن عيسى عليه السلام:

(٤٤) أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وصلّوا من أجل مضطهديكم (٤٥) لتصيروا بني أبيكم الذي في السماوات، لأنه يطلع شمسه على الأشرار والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفجّار.[٢]

ويقول يوحنّا، مصنّف الإنجيل الرابع عن حواريي عيسى عليه السلام:

«**أما الذين قبلوه، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم أن يصيروا أبناء الله**».[٣]

ونقرأ أيضاً في القرآن الكريم: ﴿**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله و أحبّاؤه**﴾.[٤]و[٥]

إنّ الاسلام مع قبوله لبعض المعاني الرمزية مثل يد الله، و بيت الله، إلّا أنّه حرّم استعمال لقب «ابن الله»، لأنه أوجب ضلال أهل الكتاب.

و قد طرأ هذا التحريم بعنوان ثانوي، نظير تحريم جملة ﴿راعنا﴾[٦].

و ليس ثمّة نص على التثليث في كتاب العهد الجديد، وعبارات مثل «**الأب و الابن و روح القدس**»[٧] لاتعطي هذا المدلول، لأي شخص لا يحمل هذه الفكرة مسبقا، و لا تخدش بألاف الشواهد (في العهدين القديم والجديد) التي تؤكد على التوحيد، نظير اقتران اسم الله بالنبي و الملائكة في القرآن الكريم، فإنه يخلو من أي دلالة على التثليث.

١ـ الخروج: ٤ / ٢٢.
٢ـ متّىٰ: ٥ / ٤٤ـ ٤٥.
٣ـ يوحنّا: ١ / ١٢.
٤ـ المائدة / ١٨.
٥ـ وفي القرن الأخير تفقد غاندي زعيم ثورة الهند طبقة المنبوذين واصفاً إيّاهم بأبناء الله.
٦ـ سورة البقرة / ١٠٤.
٧ـ متّىٰ: ٢٨ / ١٩.

إن عدم وجود النص على التثليث في العهد الجديد، حدا ببعض الجهّال إلى بذل الوسع لتحريف الأناجيل بغية جعل التثليث فيها، ولكن ذلك لم يتيسّر لهم، لأنّ مضامينها كانت معروفة، الأمر الذي دعاهم إلى تحريف رسالة يوحنّا الاولى [٥ / ٧ – ٨]، وتضمينها نصا يدل على وحدة الأب والابن وروح القدس.

و قد أثبت المحققون الغربيون (بعد مقارنة النسخ الخطية بعضها ببعض) أن النسخ الخطية المتأخرة تشتمل على النص المذكور دون النسخ المتقدمة.

إنّ فقدان النص الدال على التثليث، وإجمال العبارات المتعلقة بألوهية عيسى عليه السلام، دعا المسيحيين إلى توسيع لقب «ابن الله»، ونقله من معناه الرمزي إلى معناه الحقيقي، وظلّت مسألة ألوهية عيسى عليه السلام خلال القرون الثلاثة الاولى من ظهور المسيحية، ظلت موضع اختلاف وجدل إلى أن نهض في أوائل القرن الرابع الاسقف آريوس، فوقف بوجه الإعتقاد بألوهية عيسى عليه السلام، ثمّ ازدادت المواجهة حدة، ممّا دعا قسطنطين (وهو أول امبراطور مسيحي) إلى عقد اجتماع في مدينة نيقية بآسيا الصغرى عام (٣٢٥ م) حضره (٣٠٠) أُسقفٍ، ناقشوا خلاله رسائل تمّت إلى الايمان والسلوك، وتمت فيه المصادقة على ألوهية عيسى عليه السلام بأغلبية ساحقة، والإعلان عن شجب رأي آريوس، وإصدار القانون النيقاوي المعروف، وها نحن نورد منه الفقرة التي تتعلق بعيسى عليه السلام.

«نؤمن باله واحد، أب، ضابط الكل، خالق كل الاشياء ما يرىٰ و مالايرىٰ و برب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود فى الأب المولود الوحيد أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيءٍ في السماء و علىٰ الأرض الذي من أجلنا نحن البشر و من أجل خلاصنا نزل و تجسّد و تأنس و تألم، وقام أيضاً في اليوم الثالث وصعد إلىٰ السماء

و سيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات و بالروح القدس.

وأما الذين يقولون انه كان زمان لم يوجد فيه و انه لم يكن له وجود قبل أن وُلِد و أنّه خُلِق من العدم أو أنّه من مادة أخرىٰ أو جوهر آخر أو أن ابن الله مخلوق أو أنه قابل التغيير أو متغير فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية»[١].

و قد دلّت أخبار الأئمة الطاهرين عليهم السلام و أقوال علماء الإسلام و المحققين الغربيين على أن عقائد المسيحية تبلورت على يد بولس الذي كتب في رسالته التي بعثها إلى أهل قولسي «**أن عيسى عليه السلام هو صورة الله الذي لايرى و بكر كل خليقة**»[٢].

أما في رسالته التي بعثها إلى أهل فيلبي، فيقول:

(٦)فمع أنه في صورة الله لم يعد مساواته لله غنيمة (٧) بل تجرد من ذاته متخذا صورة العبد، و صار على مثال البشر، وظهر في هيئة إنسان (٨) فوضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب[٣].

و قد جاء شرح سيرة بولس وأفكاره في سفر أعمال الرسل وفي رسائله، و تعرض لانتقاد شديد في أول إنجيل برنابا[٤] و آخره، في حين نسبت بعض الأحاديث الإسلامية[٥] ضلال المسيحيين إلى بولس (المتوفّى حدود ٦٤أو ٦٧ م).

و وفقا لعقيدة المسيحيين فإن الأناجيل (الإزائية) التي يسودها طابع الانسجام دونت قبل إنجيل يوحنّا بعدة عقود، ودون انجيل يوحنا حدود عام (١٠٠ م) أي بعد (٣٠) سنة

---

١ ـ نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، جيمس أنس الأميركاني: ١ / ١٢٢، بيروت، ط الثانية، ١٨٩٠ م.

٢ ـ رسالة إلى أهل قولسي : ١ / ١٥ .

٣ـ رسالة إلى أهل فيلبي : ٢ / ٦ـ ٨.

٤ـ ينكر المسيحيون إنجيل برنابا.

٥ـ راجع في هذا الصدد : بحار الأنوار للعلامة المجلسي : ٨ / ٣١١.

من وفاة بولس.

و يتضح من خلال مقايسة إجمالية بين محتوى الأناجيل الثلاثة الأولى وإنجيل يوحنّا، أن الأناجيل المذكورة لم تغال كثيرا في عيسى عليه السلام خلافا لإنجيل يوحنّا الذي شحن بالغلو، كالقول بألوهيته عليه السلام، فقد جاء فيه: «**إن سبب مخالفة اليهود لعيسى عليه السلام يعود إلى أنه عليه السلام جعل من نفسه إلها**»[١].

يشار إلى أن الكلام المثبت للسيد المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة، تضمّن و لمرّات عديدة تعبير (إلهي) عند ذكره عليه السلام لله عز وجل، مثال ذلك ما جاء في إنجيل يوحنّا:

«**إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**»[٢].

و هذا مشهود في صلاته و عبادته و تضرّعه إلى الله، و نطالع في متى : ٢٧ / ٢٦، و مرقس: ١٥ / ٣٤، أنّ آخر صرخة لعيسى عليه السلام كانت: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني» .

٣ـ ١٢. الثالوث

لم ترد كلمة «ثالوث» في الكتاب المقدّس قطّ، و أول استعمال معروف لها في تاريخ المسيحية كان على لسان ثاوفيلس الأنطاكي عام (١٨٠)، بيد أن أسس مفهوم الثالوث تلمس في العهد الجديد، وقد أفصحت عنها عبارة إعطاء حق التعميد الوارد في انجيل متى: «عمّدوهم باسم الأب، و الابن، والروح القدس».

و قد دأب مؤلفو الكتب المقدّسة على تسمية الله بالأب، و هي الكلمة التي ورثوها عن اليهودية، كما علّم عيسى عليه السلام تلاميذه أن يصلّوا قائلين: «أبانا الذي في السماوات»[٣].

و قال عليه السلام أيضا: «إنه يرجع إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[٤].

و قد ركن المؤلّفون المسيحيون العرب ـ لأجل وصف العلاقة بين الله و عيسى ـ إلى

١ـ أنظر : يوحنّا : ١٠ / ٣١ – ٣٨.

٢ـ يوحنّا : ٢٠ / ١٧.

٣ـ متّى : ٦ / ٩.

٤ـ يوحنّا : ٢٠ / ١٧.

مفهومي الحلول و الاتحاد المذكورين في كـتابات الصـوفيين. و بسـبب هـذه العـلاقة الخاصة، دُعي عيسى ابن الله، و لا يفهم من ذلك بتاتاً أنه ولد ولادة جسدية، لأن فهماً من هذا القبيل تكرهه المسيحية على نحو ما يكرهه الإسلام، و غالباً ما يطلق العهد الجديد اسم روح القدس على روح الله، و لكن مفهوم المسيحية لروح القدس يختلف عنه فـي الإسلام، فالكتب المقدسة عندهم لا تقول أن روح القدس هو الملك جبرائيل، أو أنّه خلقٌ من خلائق الله، بل تذهب إلى أنه الله نفسه، و أنه يحيا في قلوب البشر و العالم المخلوق و يعمل فيها، أي أنه وجود الله القادر الفعّال في العالم، و عيسى حملت به أمّه بـقوة روح القدس، و قاده الروح إلى البرية قبيل انطلاقه للتبشير، كما أن الأناجيل تظهر روح القدس حالاً على عيسى في صورة حمامة ساعة تعميده في نهر الأردن، وهو (روح القـدس) يرشد المجتمع المسيحي ويعلمه، و يكشف عـن أسـرار الله، ويـلهم مـحرري الكـتب المقدسة، و يدّعى في أسفار العهد الجديد: المعزّي، وروح الحكـمة والايـمان، و روح الشجاعة، والمحبّة والسرور.

و يدّعي المسيحيون على مر العصور وطوال تاريخ الكنيسة أنّ طبيعة الله الثالوثية هي سرّ من الأسرار، لا يمكن تبيينه بـعبارات بشـرية. و مـع أن الكـتّاب و المـتصوفين و المتكلمين المسيحيين حاولوا الاستعانة بمعطيات العهد الجديد لإدراك بعض ما يمتّ إلى طبيعة الله، إلّا أنهم اعترفوا جميعاً بأنّ جهودهم مهما عظمت، ستظل قاصرة.

و قد لجأ المفكّرون المسيحيون على مرّ الأجيال إلى المفاهيم والنظم الفلسفية السائدة في أيّامهم للتعبير عن سرّ الثالوث، وأقر الباباوات والمجامع الكـنيسيّة أنّ بـعض صـيغ التعبير مغلوطة، ولكنهم لم يقصروا صيغ التعبير الأخرى على ما حددوه.

و لما كان المسيحيون يؤمنون بأن روح القدس لا ينفك يرشد الكنيسة، فإننا نـقول مؤمنين بأن تفهمنا سرّ الثالوث سيظل ينمو ويتطور بفضل مساهمة الباباوات و المجامع

والمفكّرين والمتصوفين ،وقد أعلنت المجامع الكنيسية الأولى التي انعقدت في نيقية وأفسوس وخلقيدونية والقسطنطينية أنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم، ويمكن تعريب كلمة «أقنوم» اليونانية الأصل بعبارة (طريقة للوجود)، وعلى هذا الأساس، فالأقانيم الثلاثة في الله تعني ثلاث طرق أو ثلاث حالات لوجود الله وعمله.

و لأجل إيصال مفهوم الثالوث، استفاد الكتّاب المسيحيون العرب من الكلمة اليونانية الأصل «أقنوم» و من كلمة صفة (ميزة،مظهر) وتساوي كلمة «أقنوم» كلمة (persona) اللاتينية، وتعني القناع.

١٣ ـ الأسرار السبعة

يؤمن المسيحيون بأنّ المسيح القائم من الأموات يحيا في مجتمعه و معه، و أنه ما زال ينجّز الأعمال التي كان ينجّزها مدّة حياته في بلاد فلسطين من تعليم، و صلاة، و خدمات، و شفاء المرضى، و إطعام الجياع، و مسامحة الخطاة، و تكبد الآلام والموت، تلك الأعمال غير المنظورة التي قام بها المسيح تصبح منظورة في الحياة التي تحياها الكنيسة بالأسرار، أو بعبارة أخرى؛ عندما يشترك المسيحي في أحد الأسرار فإنه يؤمن إذ ذاك بأنه يلتقي المسيح الذي قام من الموت ومنحه نعمة الله المخلّص.

هذا، و يتفق جميع المسيحيين تقريبا على أن السرّيْن الأساسيين هما التعميد و العشاء الرباني، وثمّة خمسة أسرار أخرى يعتقد بها المسيحيون الأرثوذكس و الكاثوليك، فيكون مجموع الأسرار سبعة.

أما البروتستانت فإنهم يختلفون في عدد الاسرار التي يعتقدون بها باختلاف طوائفهم، على الرغم من أن السواد الأعظم منهم يقبل السّريْن الأساسيين التعميد والعشاء الرباني. وثمة كنائس بروتستانتية قليلة لا أسرار عندها مثل «الكويكرز» و «جيش الخلاص».

١ – ١٣. التعميد

أول الأسرار وأساسها الذي لابدّ منه، هو سرّ التعميد، انه الدخول في الجماعة المسيحية، وبه يأخذ الفرد على عاتقه رسالة الكنيسة عبر الأجيال، ألا وهي الشهادة لأعمال الله الخلاصية في عيسى، ويؤمن المسيحي بأن التعميد هو الوسيلة التي بها يمنحه الله سائر المفاعيل الناتجة عن حياة عيسى و موته، و المسيحي، لا يعمد إلّا مرّة واحدة، وذلك حينما يدخل في الجماعة المسيحية.

أما كيفية التعميد، فهي ترتبط دائما بنوع من الغطس في الماء، ففي بعض الكنائس يتم سكب الماء على رأس من يطلب التعميد، وفي بعضها يغطس المتعمد في حوض من الماء ثم يخرج منه، ويتم التعميد في عدد من الكنائس باللجوء إلى المياه في وسط الطبيعة، أي إلى الأنهار أو البحيرات، ويقرأ القسيس عند التعميد هذه العبارة المقتبسة من إنجيل متّىٰ: «**إني أعمدك باسم الأب والابن و روح القدس**». وتعمد بعض الكنائس البروتستانتية باسم يسوع فقط.

و يقام عيد الفصح في أول يوم أحد من صيرورة القمر بدراً عقب الاعتدال الربيعي في ٢٢ آذار إلى ٢٥ نيسان، ويقام عيد الفصح اليهودي ـ وهو ذكرى نجاة بني اسرائيل من يد الفراعنة ـ على مدار الأسبوع من ١٦ الى ٢١ (وفي خارج فلسطين الى ٢٢) نيسان العبري، ويتزامن في بعض السنين مع عيد الفصح المسيحي.

و تجري في هذا العيد مراسم خاصة، مثل: الأسحار، تلاوة الكتاب المقدس، المناجاة، الدعاء، إقامة العشاء الرباني، البحث الرمزي عن جسد عيسى عليه السلام و اعلام بعثه، الاحتفالات والمهرجانات، وإهداء البيض الملوّن... .

و ثمّة مراسم مفصّلة تقام قبل عيد الفصح وبعده، ولأجل الوقوف على جانب منها، يجب السفر في الزمان المناسب إلى بعض الدول المسيحية كإيطاليا لمشاهدتها عن كثب،

وإلّا فإن شرح هذه المراسم في الكتب أو مشاهدة الأفلام الخاصة بها يـثير كـثيرا مـن التساؤل والاستفسار.

و قد درجت العادة منذ غابر الازمان أن يعمّد أعضاء الجماعة الجدد في أثناء أهـمّ أعياد المسيحيين و هو يوم الفصح، و يستمر هذا العيد ثلاثة أيام، و يحل في الربيع غير بعيد عن عيد فصح اليهود، وقوام العيد أعمال عبادية ثلاثة، يركز كل منها على حدث من الاحداث التي جرت في حياة عيسى عليه السلام والتي يستند إليها الإيمان المسيحي:

١ ـ في مساء يوم الخميس، يقام تذكار عشاء عيسى الأخير.

٢ ـ يوم الجمعة (عند الظهر تقريبا) يتذكّر المسيحيون موت عيسى عليه السلام على الصليب.

٣ ـ بين مساء السبت وصباح الأحد يتمّ الاحتفال الفصحي بقيامة عيسى، وعودته الى حياة جديدة.

و أهمّ تلك الأعياد هو الاحتفال الفصحي، وكان يقام في السابق مساء يوم السبت، و يستمر ليلا إلى أن ينبلج فجر يوم الأحد ،و هـو وقت قـيامة المسـيح بـحسب روايـة الأناجيل. أما في عصرنا الحاضر، فتتراوح مدّة الاحتفال بين ساعتين إلى أربع ساعات، يعلن في أثنائها المنتمون الجدد الى الجماعة المسيحية إيمانهم و يعمّدون، في حين يقوم الاعضاء القدماء بتجديد إعلان إيمانهم والالتزام بحياة مسيحية حقة.

٢ – ١٣. التثبيت

السرّ الثاني التثبيت، وهو القسم الثاني من طقس التدرج في المسيحية، ففي التعميد يكون التركيز على الخلاص من الخطيئة، إذ يصالح الله تعالى الخاطئ ويدعوه إلى حياة الإيمان والطاعة، أما في التثبيت، فيكون التشديد على النـاحية الايـجابية فـي تأديـة الشهادة لما حققه الله من أجل البشرية في عيسى، و على استمداد القوة من روح القدس للقيام بهذا الواجب. ولما كان الخلاص غير مقتصر على غفران الخطايا، بل هـو دعـوة

لمتابعة رسالة عيسى بتبديل العالم على نحو ما يريده الله سبحانه و تعالى، فإن التثبيت يقوي مَنْ يتقبله ليتحمل أعباء مسؤولياته في المجتمع على ما يليق بالمسيحي الراشد.

التثبيت يمنحه الأسقف أو من ينوب عنه، وقوامه أن يمسح طالبه بالزيت في حين يقال له: «**تقبل روح القدس لتستطيع تأدية الشهادة للمسيح**». وقد تختلف تلك العبارة الأساسية اختلافا بسيطا باختلاف الكنائس مع المحافظة على جوهرها.

و إذا كان الداخلون في الكنيسة من البالغين، فإنهم يتقبّلون سري التعميد و التثبيت معا على أنهما قسمان في طقس واحد، أما إذا كان المعمّدون أطفالا، فيتم تثبيتهم في وقت لاحق وهم على عتبة البلوغ بين الثالثة عشر و السادسة عشر، و بعض الكنائس البروتستانتية لا تعمّد الأطفال لقولها بأن التعميد يجب أن يسبقه قرار واع باتباع المسيح.

٣ - ١٣. الزواج المسيحي

يرى المسيحيون أن الزواج ليس من الامور الدنيوية، فهو يرمز إلى حب الله للبشرية، ولما كان الزواج وحده حب بين شخصين يلتزمان العيش معا في الأمانة المتبادلة و التعاون، و يسعيان لخلق جو يساعد على انجاب الأولاد وتربيتهم بحيث يعيشون في الإيمان و حب الله، فإن المسيحيين يعتبرونه رمزا بشريا للطريقة التي يعامل الله بها الإنسانية. ذلك بأن الله سبحانه يحب الناس و يهتمّ بهم و يظل أمينا لوعوده لهم. و في الزواج يعد المسيحيون بأن يجعلوا من اتحاد الرجل بامرأته علاقة حبه لحب الله للبشر و لحب المسيح لجماعة تلاميذه. و لهذا السبب يرون أن الزواج التزام مدى الحياة، ولا يوافقون على الطلاق وإعادة الزواج مادام القرين حيًّا.

٤ - ١٣. الدرجات المقدسة

بهذا السر يكرس المرء حياته لخدمة الجماعة المسيحية، ومن خلالها جميع بني البشر، و هناك ثلاث درجات أساسية:

الاولى: **المطران**، يمثل المسيح في منطقة معينة تدعى الابرشيّة، فينوب عنه معلماً، وإماماً لمراسم العبادة، وخادماً.

الثانية: **الكاهن** أو **القسيس**، يعاون المطران في مهامّه الثلاث المذكورة على صعيد جماعة واحدة.

الثالثة: **الشمّاس**، يبشّر بكلمة الله، ويساعد الفقراء والمسنين والمرضى والمحتضرين.

أما سائر الالقاب الكنيسية، مثل البابا، والبطريرك، ورئيس الأساقفة[١]، والكردينال، والأرشمندريت، والمونسنيور، وسواها، فهي تشير إلى وظائف معينة في الجماعة، ولا مدلول لها على صعيد الأسرار.

٥ - ١٣. المصالحة

في سرّ التوبة أو المصالحة يتقبل المسيحيون غفران الله، و هم يؤمنون بأنه إذا ما تابوا غفر لهم تعالى، كما أنه يغفر للمسلمين واليهود وغيرهم عندما يتوبون عن خطاياهم. ويأتي المسيحيون إلى سرّ المصالحة ليسمعوا كلام الغفران الالهي، و ليتذكروا كيف أن الله حقق مغفرته هذه الحاضرة أبدا، بواسطة أفعال الخلاص التي أجراها المسيح في أثناء حياته. و حيث أنّ الخطيئة إهانة لا تمس الله وحده، بل لها مضاعفات ونتائج على الصعيد الإجتماعي، فالمسيحيون يتقبّلون علامة غفران الله في إطار جماعة الكنيسة.

و قد اتخذ سر التوبة وجوها مختلفة على مر القرون، ففي العصور الاولى من تاريخ الكنيسة كانت التوبة تتم على نحو علني. ثم في العصور المتأخرة درجت عادة الاعتراف الفردي بالخطايا. واليوم يتم التشديد في سر التوبة على الناحية الجماعية.

---

١ ـ جمع أسقف ، و هي كلمة يونانية الأصل، معناها الناظر.

٦ – ١٣. مسحة المرضى

إن كانت الخطيئة (وهي مرض النفس) تهدد علاقة المرء بالله، فمرض الجسد هو أزمة بشرية.تهدد بوضع حد للحياة الأرضية نفسها، وفي كلتا الحالتين يأتي المسيح لسماع رسالة الله الخلاصية، و هو يؤمن بأن الله أرسل المسيح ليكون إلى جانب المرضى فيعزيهم و يشفيهم و يهيّئهم لساعة الموت، و سرّ مسحة المرضى علامة تشير إلى وجود الله و حبه، وتذكر أنّ الله لم يتخل عن الممتحنين بالأمراض.

و بعبارة أخرى، إنّ الغاية من هذا السر، مواجهة العزلة الأليمة التي غالبا ما يشعر بها المرضى، لا سيما إذا ما راح الجسد يذوب شيئاً فشيئاً في طريقه إلى الموت. مسحة المرضى بالزيت المقدس تؤكد للمريض أنه ليس وحده، بل إن المسيح معه يقوده إلى الله تعالى، و أنّ ثمّة جماعة من إخوانه المؤمنين تدعو له ومعه.

٧ ـ ١٣. العشاء الرباني (الإفخارستيّا)

ليس العشاء الرباني في نظر المسيحي واحدا من الأسرار السبعة فحسب، بل هو العمل الأساسي في الإيمان المسيحي و شعائر العبادة المسيحية، وأنه في الوقت نفسه ذكرى لعشاء المسيح الأخير مع تلاميذه في الليلة التي سبقت موته، في أثناء ذلك العشاء أعطى المسيح تلاميذه الخبز و الخمر على أنهما جسده و دمه، ويؤمن المسيحيون أنهم حين يشتركون في هذا العشاء، يكون المسيح موجودا معهم وجوداً جسديا، و يؤمنون أيضا أنه كما أبرم العهد بين الله والشعب اليهودي بدم الذبائح على جبل سيناء، فكذلك يبرم العهد الجديد بين الله والبشر بدم عيسى المسيح.

لقد ابتكرت كل الكنائس المسيحية طقوسها أو شعائرها الخاصة للاحتفال بالعشاء الرباني، إلّا أنّ هناك عنصرين أساسيين ثابتين في سائر تلك الطقوس، هما:

١ ـ القراءات في الكتاب المقدس (اثنتان أو ثلاث).

٢ ـ تناول القربان المقدس.

في أثناء مباركة الخبز و الخمر يتلو المترئس كلمات المسيح في العشاء الأخير، و في الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية لا يترأس الاحتفال إلّا الأسقف أو من ينوب عنه، أي الكاهن. وبالإضافة إلى القراءات والتناول ثمّة تراتيل وصلوات للتوسل والشكران، وعظة قوامها شرح مقاطع الكتاب المقدّس التي تليت، وتطبيقها على حياة المسيحيين اليومية، وتبادل السلام.

يشعر الكثير من البروتستانت بأن العشاء الرباني بالغ الخطورة، بحيث ينبغي التهيّؤ له على أتم وجه، فلا يحتفل به إلّا في بعض المناسبات، و بناء على ذلك يقيم الكثيرون منهم عشاء الرب أربع مرّات في السنة أو مرّة واحدة في الشهر، أما الأرثوذكس فيحتفلون به في أيّام الأحد والأعياد، في حين يرى الكاثوليك أن العشاء الرباني قلب عبادة الله اليومية، وهذا ما يحدوهم إلى الاحتفال به في كل يوم.

١٤ - أسباب انتشار المسيحية

ثمّة عاملان رئيسيان يؤثّران في نمو وانتشار أي ديـن : **أحدهما** : **تحمّل الضغوط** و المصاعب في سبيله، و**الثاني**: التبليغ، فالدين إذا أهمل يموت.

و قد تعرّض المسيحيون طيلة (٣٠٠) سنة من ظهور المسيحية إلى ألوان من المحن و الاضطهاد، و قدّموا ضحايا كثيرة في هذا السبيل، حتى تمكّنوا في هذه المدّة من وضع أسس الدين، ومن نشره بين أقوام مختلفة، ولكن جهودهم لم تكن تخلو من إخفاقات.

إنّ ازدياد عدد المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية أدّى إلى الاعتراف بهذا الدين رسميا في النصف الاول من القرن الرابع، وعلى إثر العامل الثاني، أي التبليغ و التبشير، أخذ ينتشر في أرجاء واسعة من العالم.

إنّ بعض الأديان مثل اليهودية لاتفتقر إلى التبليغ، إيماناً منها بأن كثرة الأتباع لا يعزّز كيانها، بينما أولت أديان أخرىٰ كالإسلام والمسيحية اهتماماً كبيراً بالتبليغ، فالوفود والهيئات التبشيرية المسيحية بعثت قديماً إلىٰ معظم أرجاء العالم لنشر الدين المسيحي، وفي القرون الأخيرة وعلىٰ إثر ازدهار الحضارة الغربية وظهور الاستعمار والغزو الثقافي أخذت المسيحية تنتشر في الشرق أيضاً.

١٥ ـ ظهور الجدل الكلامي

انتشرت المسيحية في أرجاء الامبراطورية الرومانية، وأخذ المفكّرون يستعملون المصطلحات الفلسفية والمفاهيم السائدة في أيّامهم للتعبير عن العلاقة القائمة بين الله و عيسىٰ، وبهذه الطريقة تبلور علم اللاهوت المسيحي.

بعض المسيحيين الأوائل تأثّروا بالأفكار الغنوصية، فانكروا إنسانيّة عيسىٰ عليه السلام. وكان الغنوصيون يعدّونه ملاكاً حمل معه معرفة سرية لله. وإلى جانب هؤلاء، قام الظاهريون فقالوا بأنّ عيسى ظهر فقط بمظهر البشر، ولم يكن له جسم بشري، ولم يمت على الصليب. أما الكنائس المسيحية، فقد شجبت في القرن الثاني تعاليم الغنوصيين والظاهريين، وأكدت علىٰ حقيقة الإنسانية في عيسىٰ عليه السلام .

١٦ ـ المسيحية في روما

لما استقامت انكنائس، نهض الأساقفة بإعباء كل كنيسة من الكنائس المحلّية، يعاونهم في ذلك القسّيسون، واهتم الشمامسة بشؤون المعجزة و البائسين، و قدّموا ألواناً من أعمال البرّ و الإحسان، و ظهر في المجتمع المسيحي بالإضافة إلىٰ هؤلاء أفراد ذو مواهب خاصة قاموا بخدمة الكنيسة وترسيخها، فكانت ثمّة رسل وأنبياء يتحدّثون بإلهام من روح الله، و مبشّرون، و دعاة، و معلّمون.

أما موقف السلطات الرومانية من الكنيسة، فكان متسامحاً في بعض الأحيان، ولكن غالباً ما لجأ الولاة إلىٰ اضطهاد الأتباع و قتل الكثيرين منهم، بما فيهم بطرس و بولس. و مع مرور الزمن بدأت بعض المراكز كروما و أورشليم و الإسكندرية و أنطاكية تكتسب أهمية خاصة و قدرة متميّزة. و كان لهذه المدن الأربع بطاركة يرعون شؤونها. كما أنشئت في مناطقهم مقاطعات عرفت باسم «الابرشيات» يتولىٰ أمورها الأساقفة.

و لما بنىٰ قسطنطين عاصمته الجديدة القسطنطينية (اسطنبول) في القرن الرابع، اصبحت هذه المدينة من المراكز الهامّة التي يرعىٰ كنيستها أحد البطاركة.

وقد تحول المسيحيون في أيام قسطنطين (المتوفّىٰ ٣٣٧ م) من مجموعة تضطهدها سلطات الامبراطورية الرومانية إلىٰ كيان ذي شأن عبر الاعتراف الرسمي بالكنيسة، الأمر الذي أسفر عن تحولات كبيرة في حياتها، ففي ظل الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية أصبح أغلب الناس ـ باستثناء اليهود ـ مسيحيين. ولما تمّ الانشقاق بين الكنائس الشرقية والغربية، فإن كلاً من الجانبين اتخذ أسلوباً مستقلاً في المراسم العبادية والفلسفية و اللاهوتية.

و لمّا ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن السابع الميلادي و راح الولاة المسلمون يديرون شؤون المناطق التي سبق ان كانت مسيحية في مصر وبلاد الشام وما بين النهرين وشمال إفريقيا، اضطرّ المسيحيون إلىٰ أن يأخذوا بعين الاعتبار الاسلام ديناً والمسلمين رفاقاً في الإيمان والمواطنة لا بل حكّاماً في أغلب الأحيان، وفي العصر الأموي ألّف يوحنّا الدمشقي أول كتاب مسيحي يبحث في المعتقدات الإسلامية.

و في القرن الحادي عشر وحتىٰ الثالث عشر، شنّت الدول الأوروبيّة الحروب الصليبية، فكان من آثارها العداء و التوجّس الذي استمرّ إلىٰ اليوم لا بين المسلمين و المسيحيين فحسب، بل بين مسيحيي غرب أوروبّا ومسيحيي الديار البيزنطية أيضاً.

وكان لأعمال التدمير والتنكيل والتقتيل التي مارسها الصليبيون في هجومهم على القدس (١٠٩٩ م) والقسطنطينية (١٠٢٤ م) أسوأ الأثر سواء عند المسلمين أو المسيحيين الشرقيين.

١٧ ـ الانشقاق في الكنيسة

تدلّ كلمة «الانشقاق» على انقسام لاعلاقة له بالعقيدة بين جماعتين من المسيحيين، و أهمّ الانشقاقات في تاريخ الكنيسة، هو ذلك الذي حصل بين كنيستي القسطنطينية و روما، وقد عرف احياناً بـ «**الانشقاق بين الشرق والغرب**» ، فقد ذهبت الكنيسة الرومانية إلىٰ أن الذين يرعون الكنائس ويسوسونها، هم أساقفة العالم، عاملين معاً في جسم واحد يشرف عليه أسقف روما، أما كنيسة القسطنطينية فترىٰ أنّ خمسة مراكز للمسيحية تتساوىٰ في السلطة، و هي: أورشليم و أنطاكية و روما و الإسكندرية والقسطنطينية.

و على الرغم من هذا الاختلاف في مفهوم السلطة، ظلّ المسيحيون التابعون لروما و القسطنطينية متحدين حتىٰ القرن التاسع عندما حصل أول انقسام مؤقت في زمن فوتيوس بطريرك القسطنطينية. و في القرون اللاحقة تصالحت الكنيستان لفترات معينة، كانت تعقبها الانقسامات إلىٰ أن تمّ الانشقاق الأخير بين روما والقسطنطينية سنة (١٠٤٥ م).

و مما لاشكّ فيه أن أغلب الانشقاقات كانت تنشأ لأسباب سياسية، إلّا أنّ عنصراً عقائدياً دخل في الانشقاق الأخير، وقوامه استعمال عبارة «والابن» في قانون الإيمان. فالكاثوليك و كذلك البروتستانت يستعملون هذه العبارة للدلالة علىٰ إيمانهم بأن روح القدس منبثق من الله الأب ومن عيسى الابن العاملين معاً.

أما الأرثوذكس فإنهم يتمسكون بالصيغة الأصلية، ولا يستخدمون عبارة «والابن» و

يقولون بأن روح القدس منبثق من الله الأب فحسب.

وعلى الرغم من أن تلك المسألة كانت موضع نقاش محتدم بين المسيحيين الشرقيين والغربيين في العصور المتقدمة، فانّها في الحقيقة ليست سبباً هامّاً للخلاف، والمسيحيون الغربيون يقبلون بالصيغة التقليدية التي يتمسك بها الشرقيون، والمشكلة لا تعني في الواقع إلّا علماء اللاهوت، أما عامة المسيحيين فهم بعيدون عن هذا الجدال.

وفي العقود الأخيرة نشط السعي إلى الوحدة بين كنيستي القسطنطينية و روما، و في هذا الإطار زار الباباوات: يوحنّا الثالث والعشرون، وبولس السادس، و يوحنا بولس الثاني، البطريركين المسكونييّن أثيناغوراس و ديمتريوس في اسطنبول، وقد ردّ هذان الزيارة بالذهاب إلى روما. كما أنشأت الكنيستان لجاناً أنيط بها حل المشاكل بطريق يمكن معها تحقيق الوحدة.

١٨ ـ الامبراطورية المقدّسة

ما إن اعتنق قسطنطين قيصر الروم المسيحية في مطلع القرن الرابع الميلادي، حتىٰ أخذ نفوذ الكنيسة يتصاعد بالتدريج، وبدأ تدخّلها في السياسة يأخذ منحىً صعودياً. و في عام (٨٠٠ م) توّج البابا زعيم المسيحيين شارلمان ملك فرنسا، فكانت هذه الخطوة بداية لتأسيس الامبراطورية الرومانية المقدسة. ومنذ ذلك الحين أصبح تدخّل رجال الدين المسيحي في السياسة أمراً علنياً. وفي ذلك العصر كان اندلاع الحروب الصليبية وإنشاء محاكم التفتيش، واستمر ذلك التدخل إلىٰ عام (١٨٠٦ م)، فاعلن فيه رسمياً عن إنهاء تدخّل الكنيسة في الشؤون السياسية.

إنّ إحدىٰ أفجع الحوادث التي مُنيت بها الإنسانية في القرون الأخيرة، هي صيحات الاعتراض التي رفعها رجال الكنيسة بوجه العلماء والمفكرين الغربيين في سعيهم

الدؤوب نحو التقدم والرقيّ. هذا السلوك غير اللائق أساء إلى الوجه المشرق للدين، و دفع بالناس إلىٰ إعلان رفضهم للكنيسة.

و علىٰ اثر تدخّل الكنيسة في الشؤون السياسية والاجتماعية، وصل علماء الغرب و مفكروهم إلىٰ هذه النتيجة، وهي انّ تدخّل الدين في السياسة يحقق المنافع لرجال الدين، ويجلب المضار للناس كافة. وقد نالت هذه الفكرة تأييداً واسعاً من قبل قطاعات كبيرة من الشعب الذي سخط ضغوط الكنيسة، وخاض نضالاً فكرياً و مسلحاً ضدها، انتهىٰ الى التحرر من قيودها.

و قد بحثت العلوم السياسية في أوروبا في القرون الوسطىٰ عن دور الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أو الامبراطورية الرومانية المقدسة، وعمّن يقدّم على الاخر، و احتدم الجدل حولهما، فتوماس الاكويني (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤ م) دافع في كتابه «الخلاصة اللاهوتية» عن دور الكنيسة، بينما دافع دانته ألياري (١٢٦٥ ـ ١٣٢١ م) في كتابه «حول السلطنة» عن المسيحية المتحدة تحت لواء الامبراطور والبابا.

و في عام (١٣٠٩ م) انتقل الكرسي البابوي من روما بإيطاليا إلىٰ مدينة افينيون بفرنسا إثر الضغوط التي مارسها الامبراطور فيليب الرابع، واستمر هذاالوضع حتىٰ عام (١٣٧٧م) أي مايقرب من سبعين عاماً، و أطلق علىٰ هذه الحقبة بالجلاء البابلي للباباوات، تشبيهاً لها بجلاء اليهود الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد.

و لما أعيد الكرسي البابوي إلىٰ روما، عارض ذلك باباوات افينيون و أصرّوا علىٰ إبقائه في مدينتهم، فكان هذا الأمر بداية للانشقاق الكبير الذي برز عام (١٣٧٧ م) و دام أربعين سنة، أي حتىٰ عام (١٤١٧ م).

و في مطلع القرن الخامس عشر اشتدالنزاع علىالكرسي البابوي بين ثلاثة من الباباوات، و هم: غريغوريس الثاني عشر بابا روما، ومعارضه بنديكتس الثالث بابا أفينيون، و جان

الثالث والعشرون مرشّح الامبراطور، و بهذا واجهت الكنيسة و في وقت واحـد نـزاعـاً بين الباباوات المذكورين الذين ادّعىٰ كل واحد منهم أنّ الحقّ إلىٰ جانبه. ولأجل بـحث هذه المسألة ومسائل أخرىٰ تمّ تشكيل مجمع كونستانس (١٤١٤ ـ ١٤١٨ م) الذي تقرّر فيه عزل الباباوات الثلاثة، وتعيين البابا مرتينس الخامس، و بهذا الإجـراء وُضِـعَ حـدّ للانشقاق المذكور.

و في القرن السادس عشر الميلادي بحث نيكولا ماكيا فيلي (١٤٦٩ ـ ١٥٠٠م) في كتابه «الامير» المعايير اللازم توفّرها في الحاكم المـقتدر، و أوصـىٰ أصـحاب النـفوذ بضرورة طمس القيم الأخلاقية في سبيل الوصول إلى الحكم، تطبيقاً لمبدأ: «الغاية تبرّر الوسيلة».

و في القرن السابع عشر، كتب توماس هابز يقول: لا يجب الحد من صلاحية الحاكم و قدرته، لأنها نشأت من عقد اجتماعي، و بناءً علىٰ ذلك فإنّ من واجبات الحكومة توفير الأمن الاجتماعي و الاستجابة لمطالب الشعب. و أكّد جون لاك علىٰ هذا الموضوع بقوله: إذا تنصلت حكومة ما للوعود التي قطعتها علىٰ نفسها قبال الشعب فلابد من تنحيتها عن الحكم.

و في أواخر القرن الثامن عشر، و بعد سنوات من الهدوء، آل النفوذ السياسي للبابا إلى الضعف، حيث عمد ملوك فرنسا و ايطاليا و بموافقة الرأي العام إلى الاستيلاء بالقوة علىٰ قصور و أملاك البابا و مصادرتها، و بذلك قوّضوا النفوذ السياسي للكرسي البـابوي، و أطاحوا به.

إنّ اخضاع الباباوات لهذا الوضع لم يكن بالأمر الهيّن، ولهذا أعـادت إيـطاليا طـبقاً لقانون الضمانات الصادر في (١٨) أكتوبر عدداً من قصور البابا، ومنحته قدرة سياسية محدودة، إلّا أن البابا لم يوافق على القانون المذكور، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ قطع العلاقات

الدبلوماسية بين الفاتيكان وإيطاليا، واستمرت القطيعة (٦٠) عاماً. وأخيراً وبعد محادثات طويلة استغرقت (٣) سنوات، تمّ عقد معاهدة لاتران (١١ شباط ١٩٢٩ م)، الّتي حلّت فيها مسألة روما، وفي عام (١٩٨٤ م) تمّ التوقيع علىٰ معاهدة جديدة بين الطرفين كبديلة عن معاهدة لاتران.

١٩ ـ الحركة الرهبانيّة

منذ أيام الرسل كان هناك بعض المسيحيين قد اختاروا اتّباع المسيح في حياة ا التبتّل والتقشّف، فعيسىٰ عليه السلام نفسه لم يتزوّج قطّ و قد علّم أنّ ثمّة من يظلون على البتولية في سبيل «ملكوت الله». علماً إنّ أغلبية الرسل بمن فيهم بطرس كانوا متزوّجين في حين كان بولس بتولاً، وحالته نادرة. وفي البداية كانت البتولية مرتبطة بالاعتقاد بعودة عيسىٰ الوشيكة، وبمجيء اليوم الأخير، إلّا أنه مع مرور الزمن ولما تبيّن أنّ مجيء عيسىٰ الثاني لم يكن وشيكاً، اختار بعض المسيحيين البتولية علامة للحياة الجديدة التي ينبغي إيجادها في المسيح، وللعلاقات الجديدة ضمن الجماعة المسيحية، وهي علاقات مبنيّة لا علىٰ وشائج الدم والقرابة، بل على الإيمان بالله.

و لابدّ من التذكر أنه منذ أيام الرسل كانت الحياة الزوجية في نظر المسيحيين الحالة الطبيعية لاتّباع المسيح وتأدية الشهادة لتعاليمه. والبتولية كانت ومازالت طوال تاريخ المسيحية سبيلاً استثنائياً لعدد محدود من المسيحيين يشعرون بأنهم مدعوون دعوة خاصة إلى السير فيه ليحيوا حياتهم الإيمانية.

و في القرون الأولىٰ حيث عصفت الاضطهادات الهوجاء، كوّن المسيحيون جماعة صغيرة مشدودة الروابط، اتبعت طريق الإنجيل وسط المخاطر الجسيمة التي أحاطت بكل الأفراد. و لكن لما أصبحت المسيحية في زمن قسطنطين دين الدولة، و اعتنقها

أغلبية سكان الامبراطورية الرومانية، بات من الطبيعي أن تتدنىٰ المستويات، و راح الكثير من المسيحيين يعيشون علىٰ نحو لا يعكس تعاليم عيسىٰ، و من هذا الوضع الاجتماعي المتبدّل نتجت الحركة في اتجاه الترهّب في الصحراء. و معلوم أن اليهود سبقوا المسيحيين في هذا المجال إذ قامت عندهم قبل المسيح جماعات الإسينيين، و كان لها أديرة بالقرب من قمران علىٰ شاطىء البحر الميت. وكانت تلك الجماعات ترىٰ أن المجتمع العلماني شرير لايمكنه الخلاص، و تحاول أن تُبعد أعضاءها عن التجارب وفساد المجتمع باللجوء إلىٰ طريقتهم الخاصة و العيش في الصحراء.

و في القرنين الثالث والرابع سلك بعض المسيحيين تلك الطريقة نفسها، فتركوا المدن كالإسكندرية و أنطاكية، و طلبوا العزلة في البرّيّة ليعيشوا فيها عيشة التوحد و الصلاة و التقشف، و ما كاد يذيع صيت أحد الرهبان القدّيسين المقيمين في خلوة الصحراء، حتىٰ يتوافد عليه الكثيرون بغية استرشاده، والتتلمذ عليه، وامضاء الوقت معه في الصلاة. وكان بعضهم يختار البقاء معه ليعيش علىٰ غراره مقتدياً بمثاله. و هكذا قامت حول صوامع النساك والمتوحدين أولىٰ الجماعات الرهبانية ذات الحياة المشتركة.

و هذه الظاهرة بدأت أول ما بدأت في برّية مصر، ثم سرعان ما انتشرت في المناطق الصحراوية بسورية و الجزيرة العربية و من أوائل النسّاك انطونيوس (المتوفّىٰ ٣٥٦ م) و مقّار (المتوفّىٰ ٣٩٩م)، و قد مارسا أشدّ صنوف التقشّف. أما باخوميوس (المتوفّىٰ ٣٤٦م) فقد استقطب حوله رفاقاً وتلاميذ، وبنىٰ تسعة أديرة في كل منها مائة راهب.

وكان باخوميوس أول من دوّن قانوناً لتنظيم الحياة الرهبانية الجماعية.

في مقابل ذلك اختلف مفهوم الحياة الرهبانية في رأي الآباء القيادوقيين: باسيليوس وغريغوريوس النزينزي وغريغورس النيصيّ، فإنهم قالوا بعدم فساد المجتمع البشري، وبالتالي بعدم الحاجة إلىٰ نبذه. وكلّ من هؤلاء الأساقفة الثلاثة كان كثير الانشغال ملتزماً

فعّالاً في المجادلات اللاهوتية و الأوضاع السياسية الراهنة، إلّا أنّهم واظبوا جميعاً علىٰ العودة حيناً بعد حين إلى الصحراء للصلاة و التفكير، و بذلك شعروا أنهم يستطيعون كبح جماح الأشغال، والتذكّر أن هدف الحياة إنما هو اتباع تعاليم الإنجيل علىٰ أكمل وجه.

و قد سنّ باسيليوس قانوناً للرهبان مازال متبعاً في الكنائس الشرقية، وأنشئت الأديار «الباسيلية» في سائر أنحاء البراري السورية والعربية وفي المناطق القليلة السكان بالاناضول و اليونان و كان الرهبان يسدون الإرشاد و النصائح في أمور الدين إلىٰ أهل المدن الوافدين عليهم، كما أنهم كانوا يوفرون الضيافة والملجأ و إمكانية الإخلاد إلى الهدوء للمسافرين الذين يضلّون طريقهم في الصحراء أو للمضطهدين والواقعين في بعض المشاكل.

۲۰ ـ الإصلاح الديني

أفرزت حياة الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطىٰ الكثير من الآفات، لعل أبشعها و أخبثها السيمونية، وهي بيع الوظائف الدينية والامتيازات الكنسية، إلى ذلك كان البابوات و الأساقفة و الكهنة يستأثرون أو يكادون بالأدوار الأساسية في حياة الكنيسة في حين لا دور يذكر للعلمانيين الذين ظلّوا في جهل مطبق إزاء الإيمان و الدين، إلّا أنّ كنيسة العصور الوسطىٰ لم تعدم الحركات الإصلاحية بعضها قبل بسلطة البابا و حاول استئصال الفساد الذي شوّه وجهِ الكنيسة، و بعضها الآخر نبذ الكنيسة الكاثوليكية وحاول أن يحيا حياة مسيحية أفضل وأنقىٰ فبرزت عنده في بعض الاحيان عناصر لاتوافق الإيمان التقليدي في الكنائس فاتّهم بالهرطقة وقد تعقبت الكنيسة والدولة معاً تلك البدع و حاربتها بكثير من القساوة في أغلب الأحيان.

١ ـ ٢٠ ـ الإنتفاضات القديمة

و أشهر تلك الإنتفاضات كانت حركات البُوكوميل في البلقان (من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر)، و الألبيجيّن في جنوب فرنسا (بين القرنين الثاني عشر و الثالث عشر) و الفَلدييّن في شمال إيطاليا (منذ القرن الثاني عشر و حتّىٰ هذه الأيّام)، و ويكْلِف في انكلترا (القرن الرابع عشر) و هوس في بُوهيميا (القرن الخامس عشر)، و أنشئت محاكم التفتيش سنة (١٢٣٢ م) للتحقيق في البدع القائمة، و إصدار حكم الإعدام علىٰ كل من وُجد علىٰ ضلالة، و لم يكن مستعدّاً للتوبة.

٢ ـ ٢٠ ـ مارتن لوثر

في وقت كان الكثيرون في الكنيسة يدعون إلىٰ الاصلاح تفجّرت قضيّة (صكوك الغفران) و راحت تدقّ إسفين الانقسام في كنيسة أوروبّا الغربية. ذلك أنّ عدداً من الوعّاظ المتحمّسين أخذوا يجوبون الأقطار الأوروبيّة مدّعين أنّ كل مؤمن يستطيع النجاة من عقاب الخطيئة في حال تبرّعه للكنيسة بقدر من المال. فهبّ مارتن لوثر (المتوفّىٰ ١٥٤٦م) و نشر عام (١٥١٧ م) لائحة أدرج فيها (٩٥) فقرة، خالف فيها الكاثوليكية. و إليك نص بعض هذه الفقرات:

ـ الخلاص يتمّ بالإيمان وحده.

ـ الكتاب المقدّس هو المرجع الوحيد للإيمان المسيحي.

ـ لا يجب الاعتقاد بأن العشاء الربّاني قرباناً.

ـ بطلان الرهبانية والنذر لأجلها.

ـ إيلاء العلمانيين دوراً أهم في طقوس العبادة وشؤون الرعاية.

ـ استقلال الكنيسة المحلّية عن روما.

ـ رفض بعض ممارسات الكاثوليك كالحج والصوم والاعتراف بالخطايا.

ـ معارضة التجاوزات كبيع صكوك الغفران، والسيمونية.

وكان لوثر يبتغي إصلاح الكنيسة بحسب تعاليم الكتاب المقدس الأصلية (لذا سمّيت حركته بالإصلاح الإنجيلي)، وكذلك العودة إلىٰ إيمان الجماعة المسيحية الأولىٰ. وقد حثّ لوثر الأمراء الألمان علىٰ نبذ سلطة البابا وفرض إصلاحه الإنجيلي. و في العصر الحاضر تنتشر الكنائس الإنجيلية الإصلاحية في بلاد أوروبّا الشمالية (ألمانيا، النرويج، السويد، الدانمارك، و فنلاندا).

٣ ـ ٢٠. المصلحون الآخرون

ما إن انبثقت حركة الإصلاح، حتّىٰ ظهرت الاختلافات بين أتباع لوثر في عدّة أمور تمّت إلى الإيمان، و راح بعضهم يؤسّس كنائس خاصّة به. ففي سويسرا تزعم زفينكلي (Zwingli) (المتوفّىٰ ١٥٣١ م) حركة الإصلاح فيها. و انفصل عن لوثر في مسألة حضورالمسيح في العشاء الرّباني. أما جان كلفان (Calvin) (المتوفّىٰ ١٥٦٤ م) وهو أحد ألمع المصلحين، فقد رفض مفهوم الكهنوت و أدخل فكرة الاختيار المسبق، و برز تأثيره أكثر مابرز في سويسرا و هولندا و فرنسا واسكتلندا.

أما (الأناباتيست) أي تجديديّو التعميد، فلم يكونوا حركة واحدة، بل عدّة نزعات بروتستانتية رفضت تعميد الأطفال، و ركّزت علىٰ القبول الشخصي بعيسىٰ مخلّصا، وشدّدت على التقوىٰ الباطنة، و عمل روح القدس في المسيحي، وبساطة العيش و المسالمة، و رفض العنف، و نبذ السلطة الدينية و المدنية، والكنائس المنبثقة عن هذا التيار هي كنائس الكويكرز (جمعية الأصدقاء الدينية) والموراقيين والمنّونيّين والمعمدانيّين.

٤ ـ ٢٠. الإصلاح في إنجلترا

بدأ الإصلاح البروتستانتي في إنجلترا مع انشقاق حصل في أيّام هنري الثامن، فقد رفض هذا الملك سلطة روما، في حين ظلّ محافظاً على العقيدة الكاثوليكية. و مازالت

كنيسة إنجلترا تتّسم بهذا الطابع و تكوّن مع شقيقات لها في بلدان أخرىٰ (كنائس الشركة الأنكليكانية). و في عهد ابنة هنري الثامن الملكة اليزابث. وجد الكثير من عناصر البروتستانتية طريقه الىٰ كنسية انجلترا. و علىٰ وجه التحديد ظهرت الأوجه الإنجليزية للإصلاح عند الطهوريين (puritans) الذين أرادوا تطهير كنيسة إنجلترا علىٰ نحو ما فعل كلفان و أتباعه، و الميثوديين (Methodists) الذين انطلقوا بهمّة جون ويزلي (j.wesley) و ركّزوا على التقوىٰ الباطنة في معارضة الإيمان المبني علىٰ الصيغ اللاهوتية.

يذكر أنّ جميع تلك التيارات البروتستانتية انتقلت إلى الولايات المتحدة الإميركية (وهي اليوم أعظم دولة ذات أغلبية بروتستانتية في العالم) و إلىٰ أستراليا و نيوزلندا و إفريقيا الجنوبية، كما نقلها المرسلون إلىٰ آسيا و الشرق الأوسط و إفريقيا.

٥ ـ ٢٠. الإصلاح الكاثوليكي المضاد

اضطرّت الكنيسة الكاثوليكية إلى الاعتراف بصواب العديد من التّهم التي وجّهها إليها المصلحون، و رأىٰ الكثيرون من أبنائها أنّ التجاوزات التي اعترض عليها المصلحون هي حقيقة راهنة، و ينبغي الكفّ عنها دون إبطاء، و من جهة ثانية لاحظ الكاثوليك أن المصلحين أهملوا باندفاعهم الإصلاحي عناصر أساسية من الإيمان المسيحي ومن ثم انطلقت حركة تسعىٰ إلى إصلاح الكنيسة الكاثوليكة من الداخل، سمّيت بـ «الإصلاح المضاد». و كانت الخطوة الأولىٰ في هذه الحركة دعوة وجّهها البابا لعقد مجمع إصلاح إلتأم بين عامي ١٥٤٥م، و ١٥٦٣م، وعرف بالمجمع التريدنتينيّ (نسبة إلى المدينة التي استضافته)، ولم يشترك فيه لا الارثوذكس ولا البروتستانت.

و قد وضع المجمع التريدنتيني حدّاً لأغلب التجاوزات التي ندّد بها المصلحون، كما أنه أعلن مجدداً و دحضاً للمصلحين، التعليم الكاثوليكي التقليدي. ومن الذين عملوا بنشاط لإرساء الإصلاح المضادّ أعضاء رهبانيّات حديثة التأسيس كالكبّوشيين

واليسوعييّن، وسعىٰ الجميع إلىٰ إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من الداخل بالانصياع إلىٰ سلطة البابا لابالخروج عنها. و البلدان التي طالها نشاط الإصلاح المضاد هي التي يغلب فيها الكاثوليك كاسبانيا و إيطاليا و بولونيا و ايرلندا.

٦ ـ ٢٠. الكنائس الأرثوذكسية والإصلاح

ازدهرت الدراسات اللاهوتية في الكنيسة الأرثوذكسية طوال قيام الامبراطورية البيزنطية، واستمرّت علىٰ ازدهارها بعد سقوط القسطنطينية، متأصلة في تقاليد عريقة. وفي القرن السادس عشر رأىٰ الأرثوذكس أنه يجب عليهم توضيح موقفهم من المسائل العالقة بين الكاثوليك والبروتستانت. وعلىٰ الرغم من أن أحد بطاركة القسطنطينية المدعو كيرلّس لوكاريس (المتوفّىٰ ١٦٣٨ م) كان ميّالاً إلىٰ مواقف كلفان، فأَنَّ الكنائس الأرثوذكسية أقرّت بأنها تتمسك في أغلب المسائل المطروحة بالمواقف التقليدية علىٰ نحو ما فعلت الكنيسة الكاثوليكية.

٧ ـ ٢٠. المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م)

انعقد آخر المجامع المسكونية في الكنيسة بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين، و كان يهدف إلى تجديد الكنيسة الكاثوليكية بمقتضىٰ حاجات العصر الحديث. وقد شارك في المجمع أساقفة كاثوليك من جميع أرجاء العالم، وحضر إلىٰ جانبهم مراقبون من الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية. فضلاً عن ضيوف ينتمون إلى الإسلام واليهودية وديانات أخرىٰ.

وقد صدرت عن المجمع الفاتيكاني هذا ست عشرة وثيقة، كانت الغاية منها تجديد سائر مظاهر الإيمان المسيحي و ممارساته. و إليك أهمّ تعاليم المجمع:

١ ـ مكانة الكتاب المقدّس المميّزة في إيمان الكنيسة.

٢ ـ كهنوت جميع المسيحيين.

٣ـ الالتزام بمتابعة العمل في سبيل الوحدة المسيحية.

٤ ـ الالتزام الفعّال بالنضال من أجل العدالة و السلام و حقوق الإنسان.

٥ ـ إقامة شعائر العبادة باللغات المحلّيّة.

٦ ـ خلاص الله لاتباع سائر الديانات.

و ثمّة وثيقة صادرة عن المجمع بعنوان «تصريح حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية» والفصل الخاص منها بالاسلام، هو أول كتابة عالجت فيها الكنيسة موضوع المسلمين معالجة رسمية، و فيما يلي مختصر لمضمون التصريح:

ـ علىٰ المسيحيين أن يحترموا المسلمين ويولوهم كل الاعتبار.

ـ المسلمون والمسيحيون يعبدون الإله الواحد، خالق السماء والأرض، القدير، الرحيم، المكلّم البشر.

ـ المسلمون والمسيحيون على السواء يجتهدون في أن يخضعوا لأوامره تعالىٰ.

ـ كلا الفريقين يستند في إيمانه إلىٰ إيمان إبراهيم.

ـ المسلمون يجلّون عيسىٰ عليه‌السلام نبيّاً ويكرمون مريم العذراء.

ـ المسلمون والمسيحيون ينتظرون يوم الدين وقيامة الأموات.

ـ المسلمون يولون الحياة الأخلاقية اهتماماً خاصّا.

ـ و يعبدون الله لاسيما بالصلاة والصوم والزكاة.

و اختتم المجمع تصريحه حول الإسلام بهذا الكلام:

«و لئن نشأت علىٰ مرّ القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين، فالمجمع يحضّ الجميع علىٰ أن يتناسوا الماضي، و ينصرفوا باخلاص الى التفاهم، و يصونوا ويعززوا معاً السلام والحرية والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية لصالح جميع الناس».

و في سنة (١٩٦٥ م) أنشأ البابا بولس السادس أمانة للحوار مع الأديان في الفاتيكان،

ألحقها بعد ذلك بلجنة للحوار مع الإسلام، كان من مهامّها: تعزيز الاحترام المتبادل و التفاهم بين المسيحيين و المسلمين عن طريق المحاضرات الأكاديمية و الدراسات و المشاريع المشتركة في ميادين الشؤون الاجتماعية وقضايا التنمية والأخلاق.

٢١ ـ الفرق المسيحية

ظهرت في المسيحية كسائر الأديان فرق ومذاهب متعددة، كان بعضها قديماً وبعضها الآخر متأخراً نسبياً، وكثر أتباع بعض منها، وقلّ أتباع بعض آخر.

ويطلق المسيحيون على الفرقة اسم الكنيسة، وثمّة ثلاث فرق أو كنائس كبرىٰ في المسيحية إلىٰ جانب فرق صغرىٰ، والإختلاف بين بعضها كالكاثوليك والارثوذكس جزئي للغاية، في حين كان كبيراً بين بعضها الآخر، كما هو الحال بين الكاثوليك والبروتستانت. وقد مرّ الحديث عن بعض الفرق لدىٰ استعراض مبحث الإصلاح الديني. وفيما يلي نشير إلىٰ الفرق أو الكنائس الثلاث الكبرىٰ في المسيحية.

١ ـ ٢١. الكنيسة الكاثوليكية

و هي قديمة للغاية، يعود تاريخها الىٰ عصر الحواريين (اي نحو ٢٠٠٠ سنة). وللكاثوليك رئيس روحي واحد هو البابا (pope) أي الأب. وظهرت لهم منذ تبشير رسل عيسىٰ عليه السلام خمس كنائس كبرىٰ أقيمت في كل من: أورشليم والإسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية و روما.

و قد تمّ تأسيس كنيسة روما علىٰ يد بطرس، وتزعّمها بولس لبرهة من الزمان. وقد اعتبرت كنيسة روما نفسها أفضل من سائر الكنائس، وبالفعل أصبح تفوقها أمراً واضحاً. وللكنيسة الكاثوليكية أسقف أعظم هو البابا. يقضي في الخصومات والمرافعات التي تجري بين الكنائس، ويسلّم إلىٰ رأيه و فتواه. و كان يطلق علىٰ أساقفة الكنائس الخمس

الآنفة الذكر ـ وقبل انتقال كرسي الامبراطورية إلىٰ بيزنطة ـ اسم بطريرك. إلاّ أن أسقف روما لم يرتض هذا اللقب، واكتفىٰ بعنوان البابا كامتياز له. يشار إلى أنّ معنىٰ الكاثوليكية (Catholic) في اللغة اليونانية: الجامع.

٢ ـ ٢١. الكنيسة الأرثوذكسية

ظهرت هذه الفرقة قبل ألف سنة، وهي لا تختلف في عقائدها عن فرقة الكاثوليك، غير أنها لاتعترف بسلطة روحية واحدة، بل تذهب إلىٰ أنّ أسقف روما (البابا) هو كسائر الزعماء الروحيين.

وتضمّ الكنائس الأرثوذكسية البطريركيات الأربع القديمة: القسطنطينية، و الإسكندرية، و أنطاكية، و أورشليم إلىٰ جانب البطريركيات الحديثة: روسيا، وصربيا، و رومانيا، و بلغاريا، و جيورجيا فضلاً عن الكنائس الأرثوذكسية في قبرص و اليونان، و الجمهوريتين التشيكية و السلوفاكية، و بولونيا و ألبانيا.

و ينضوي المسيحيون الأرمن في عداد الأرثوذكس في العقائد. و كانت أرمينيا أول دولة في التاريخ تعتنق المسيحية ديناً رسمياً لها، و ذلك لما تنصّر ملكها «تريدات الثاني» سنة (٣٠١ م) علىٰ يد القدّيس غريغوريوس المنوّر. ولم تقبل الكنيسة الأرمنية بمجمع خلقيدونية ولذا فهي ليست متحدة بالكنائس الكاثوليكية أو الأرثوذكسية، والزعيم الروحي لتلك الكنيسة هو كاثوليكوس (جاثليق) إتْشمِيدَزين.

و يختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في بعض المسائل الكلامية، فهم يعتقدون مثلاً أنّ روح القدس صادر عن الأب فقط، بينما يعتقد الكاثوليك و البروتستانت أنه صادر عن الأب والابن معاً. وينكر الأرثوذكس وجود المَطْهَر و هو مكان تطهر الانفس فيه بعد الموت يشار إلىٰ أن معنىٰ أرثوذكس (Orthodox) في اللغة اليونانية: المستقيم الرأي.

٣ـ ٢١. الكنيسة البروتستانتية.

منذ حوالي (٥٠٠) سنة و حتّىٰ اليوم، برزت في المسيحية فرق بروتستانتية لاحصرلها. والكنيسة البروتستانتية لا تعترف بزعامة روحية و مركزية، و لاتقيم وزناً للرهبنة، و ترفض عقائد الفرق الأخرىٰ. و تؤمن بمسيحية معرّاة منها، كما أنها حافظت علىٰ عقائد غير عقلانية كالتثليث والفداء. يشار إلىٰ أن البروتستانت (Protestant) إصطلاح فرنسي مشتقّ من اللاتينية، معناه المحتج.

٢٢. الديانة المسيحية في العصر الحاضر

كانت الجماعة المسيحية تؤمن في بداية الأمر بأنّ عيسىٰ عليه‌السلام لن يلبث ان يعود في المجد، فراحت تنتظر بفارغ الصبر «اليوم الأخير». وعكست ذلك الانتظار وذلك التشوق الأسفار الأولىٰ من أسفار العهد الجديد (كالرسالتين إلى أهل تسالونيقي)، في حين انصبّ اهتمام الأسفار اللاحقة (كالرسالتين إلىٰ طيموتاوس والرسالة إلىٰ تيطس و رسالتي القديس بطرس) علىٰ تنظيم الجماعة وتوجيهها، بحيث تسير سيرة مسيحية في هذه الدنيا.

و لئن أدرك السواد الأعظم من المسيحيين مع مرور الزمن أنّ عودة المسيح ليست بوشيكة، فقد ظلّت قلة منهم تعتقد بأن عيسىٰ عليه‌السلام سيعود عما قريب، ذلك بأنهم فسّروا ما ورد في سفر الرؤيا عن القتال بين الخير والشرّ تفسيراً حرفياً، فراحوا ينتظرون عودة عيسىٰ الوشيكة ليؤسّس ملكاً يدوم ألف سنة. يليها يوم الدينونة. و لطالما قامت في تاريخ المسيحية شيع صغيرة عرفت بـ«الأخيريّة» أو «الألفية» دأبت على الاستعداد لمجيء المسيح في آخر الزمان.

و قد ظلّت المسيحية يراودها الشوق والأمل بعودة المسيح عليه‌السلام بعد ذهابه، بناءً علىٰ

فكرة انتظار الموعود، و تتلهّف لرؤيته كلما اقتربت من الألفية الأولىٰ والثانية.

و منذ بداية ظهورها، أولت المسيحية أهمّية بالغة للتبشير، و جاب المبشّرون معظم أرجاء العالم بهدف التبشير، و بذلوا قصارى الجهد في تعلّم اللغات المختلفة و ترجمة الكتاب المقدس و إعداد كراسات تبشيرية، تساندهم في هذه المهمّة الدول الغربية.

الخلاصة

آ ـ ولد عيسىٰ عليه السلام في بيت لحم و هي التي ولد فيها داود قبل حدود ١٠٠٠ عام من الميلاد، و تعتبر سنة ولادة المسيح بداية التاريخ الميلادي، ولكن يصعب تحديد سنة ولادته علىٰ وجه الدقة.

وكان عليه السلام قد شرع في التبشير و هو في الثلاثين من عمره و قام تعليمه الأساسي علىٰ أمرين:

١ ـ توبوا، أي توبوا عن الخطيئة و توبوا إلىٰ الله.

٢ ـ اقبلوا ولاية الله علىٰ حياتكم.

ب ـ اختار عيسىٰ عليه السلام في بداية الدعوة اتباعاً يستعين بهم علىٰ نشرها، و اختار منهم ١٢ تلميذاً سمّاهم الرسل و أطلق عليهم القرآن اسم الحواريين.

و يعدّ شمعون من كبار الرسل و قد أطلق عليه المسيح اسم بطرس، اي الصخرة.

ج ـ و علىٰ الرغم من أنّ عيسىٰ عليه السلام عيّن بطرساً خلفاً له إلّا أنّ رسولاً آخر هو بولس حاز علىٰ مكانة أفضل حتّىٰ عدّ المؤسس الحقيقي للمسيحية.

كان اسمه في البداية شاؤول ثمّ بدّل اسمه إلىٰ بولس بعد اعتناقه المسيحية، وقد أثارت الأفكار الجديدة التي طرحها صراعا عنيفاً بينه و بين بطرس وسائر الرسل، توفّي بولس في روما في حدود الأعوام ٦٤ ـ ٦٧.

د ـ يعتبر العهد الجديد الكتاب المقدّس للمسيحيين و قد دوّن باللغة اليونانية، و يضمّ ٢٧ سفراً.

و ينقسم موضوعياً إلىٰ أربعة أقسام: الأناجيل ـ أعمال الرسل ـ رسائل الرسل ـ الرؤيا و المكاشفة.

هـ ـ يؤمن المسيحيون بأنّ الأناجيل أربعة و هي: إنجيل متّىٰ ـ إنجيل مرقس ـ إنجيل

لوقا ـ إنجيل يوحنّا قد دوّنت بعد سنوات من مضي عيسىٰ عليه السلام و هي تتناول سيرته و كلماته، و لم يكونوا يعتقدون بأنّ له عليه السلام كتاباً، و لم يكونوا يختارون انجيلا فيتبعونه بمعزل عن الأناجيل الأخرىٰ، لأنّ ايمانهم مبني علىٰ الإناجيل الأربعة معاً، و هم يعتقدون بأنّ إيمانهم غير كامل ان هم تخلوا عن أيّ من هذه الأناجيل.

و ـ يعني المسيحيون بعمل اللاهوت سائر مظاهر اجتهاداتهم الفكرية لفهم إيمانهم و يؤكّد اللاهوتيون الأرثوذكس علىٰ أنهم لايعرفون عن الله إلّا ما أوحاه لهم هو نفسه، و عليه فعلم اللاهوت علىٰ وجه الدقة علم الوحي، و هو يشتمل لدىٰ المسيحيين مجالاً من الدراسات الدينية أوسع من مجال الكلام في الإتجاه الإسلامي.

ز ـ لاحظ المفكّرون الغربيون في القرون الأخيرة أنّ ثمّة تشابها عجيباً بين المسيحية و الأديان الهندية و رأوا أنّ كثيراً من عقائد المسيحية كالتثليث و الفداء و قصة الصلب هي بعينها موجودة في الأديان الوثنية دون ان يكون لها جذور تاريخية في عقائد بني إسرائيل.

ح ـ لم ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدّس و أوّل استعمال معروف لها في تاريخ المسيحية كان علىٰ لسان ثاو فيلس الأنطاكي عام ١٨٠ م بيد أنّ أسس مفهوم الثالوث تلمس في العهد الجديد و قد افصحت عنها عبارة إعطاء حق التعميد في إنجيل متّىٰ «عمدوهم باسم الأب و الإبن و روح القدس».

ط ـ يتفق جميع المسيحيين علىٰ أنّ السرّين الأساسيين هما التعميد و العشاء الرباني، و ثمّة خمسة أسرار أخرىٰ يعتقد بها المسيحيون الأرثوذكس و الكاثوليك فيكون مجموع الأسرار سبعة، و هي : التعميد ، التثبيت ، الزواج المسيحي ، الدرجات المقدسة ، المصالحة، مسحة المرضىٰ و العشاء الرباني.

ي ـ إنّ أهمّ الفرق أو الكنائس المسيحية هي: الكنيسة الكاثوليكية ، الكنيسة الارثوذكسية و الكنيسة البروتستانتية.

تمارين

١ ـ ما هو العهد الجديد، و ما هي أقسامه الرئيسية؟

٢ ـ لماذا عُدّ بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية؟

٣ ـ اذكر تعريفا للكلمات التالية: الثالوث ، أقنوم ، الكويكرز ، الافخارستيا و السيمونية.

٤ ـ ما هي الأسرار السبعة؟

٥ ـ اشرح باختصار الإمبراطورية المقدسة؟

٦ ـ ما هو الإصلاح الكاثوليكي المضاد؟

مصادر البحث

١ ـ أبلنغ، غ، «**لوثر، مدخل إلىٰ فكره**»، لندن، ١٩٧٠.

٢ ـ إمرسون، هري، «**مارتن لوثر**» (بالفارسية)، ترجمة: فريدون بدرهاي، طهران، منشورات الثورة الإسلامية، ١٣٦٨.

٣ ـ أولمان، و، «**تاريخ مختصر للبابوية في العصور الوسطىٰ**»، لندن، ١٩٧٢.

٤ ـ بولتمان، س، «**يسوع المسيح والأساطير**»، نيويورك، ١٩٥٨.

٥ ـ **ترجمة الكتاب المقدّس**، لندن، ١٩٩٥.

٦ ـ التنير، محمد طاهر، «**العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**» طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣.

٧ ـ تيسن، هنري، «**إلهيات مسيحي**»، ترجمة: ط. ميكائيليان، منشورات الحياة الأدبية.

٨ ـ جانيل، ب «**الإصلاح الكاثوليكي**»، لندن، ١٩٧١.

٩ ـ الدر، جون، «**إصلاحات كليسا**» (بالفارسية)، طهران، منشورات نور جهان، ١٣٢٦.

١٠ ـ روبرتسون، آ، «**عيسىٰ: أسطورة يا تاريخ**» (بالفارسية)، ترجمة حسين توفيقي، قم، مركز بحوث الأديان والمذاهب، ١٣٧٨.

١١ ـ سايكس، س، «**المسيح: العقيدة والتاريخ**» كمبردج، ١٩٧٢.

١٢ ـ فورتمان، ي، «**الإله المثلث: دراسة تاريخية لعقيدة التثليث**»، لندن، ١٩٧١.

١٣ ـ فيرمس، غ، «**مخطوطات البحر الميت**»، نيويورك، ١٩٦٧.

١٤ ـ فيلسون، ف، «**كليد عهد جديد**» (بالفارسية)، ترجمة: مسعود رجب نيا،

منشورات نور جهان، طهران، ١٣٣٣.

١٥ ـ كيللي، ج، «**المذاهب المسيحية القديمة**»، لندن، ١٩٥٨.

١٦ ـ ماكواري، ج، «**مبادىء اللاهوت المسيحي**»، لندن ١٩٦٦.

١٧ ـ مولند، أ، «**جهان مسيحيت**» (بالفارسية)، ترجمة: مسيح المهاجري ومحمد باقر الأنصاري، طهران، منشورات امير كبير، ١٣٦٨.

١٨ ـ ميشال، توماس، «**المدخل إلىٰ العقيدة المسيحية**» بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م.

١٩ ـ ميلر، ويليم، «**تاريخ كليساى قديم**» (بالفارسية)، ترجمة: علي نخستين، طهران، منشورات الحياة الأبدية، ١٩٨١.

٢٠ ـ نوس، جون، «**تاريخ جامع أديان**» (بالفارسية)، ترجمة: علي اصغر حكمت، طهران، منشورات الثورة الإسلامية، ١٣٧٠.

٢١ ـ ولف، ك، «**إنجيلها**» (بالفارسية)، ترجمة: محمد القاضي، طهران، ١٣٤٨.

٢٢ ـ هوردرن، ويليم، «**إلهيات پروتستان**» (بالفارسية) طهران، شركة المنشورات العلمية والثقافية، ١٣٦٨.

٢٣ ـ هيوم، روبرت، «**أديان زنده جهان**» (بالفارسية)، ترجمة: عبد الرحيم كواهي، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣.

24 - Arberry , A.J. (ed) , Religion in the Middle East, Cambrige Cambrige University press , 1969.

25 -Cross, F.L. (ed) , The Oxford Dictionery of the Christian Church, London: Oxford Uneversity Press, 1974.

26- Kang , Hans, Christianity , New York : The continum publishing Company , 1995.

27 - Mcmanners, John (ed) , The Oxford illustrated History of Christianity , Oxford : Oxford University press, 1992 .

28 - Noll, Mark A, History OF Christianity in the United States and Canada Grand Rapids Michigan: William B. Eerdmans Company , 1992.

29 - Rahner, Karl , Theological Investigation, London: Patron, Longman and todd, 1974.

30 - Van Voorst, Robert , E., Readings in Christianity, Belmont CA: Wedsworth Publishing Company , 1997.